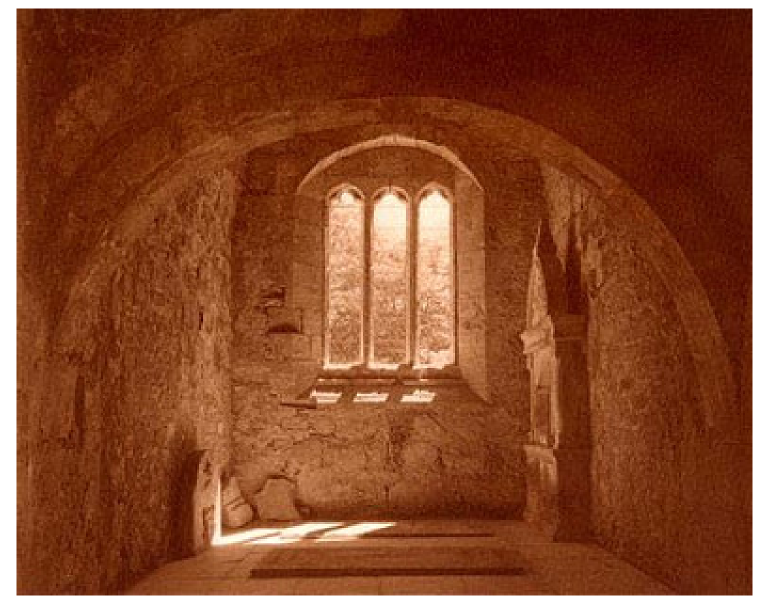
زبيبة والملك



صـــــــــدام حسين

إعداد الكتاب الالكتروني:

صادق فؤاد

ما أكثر الغرائب والعجائب.بل البطولات ومستوى الفعل العظيم.وحتى المعجزات في العراق إلا تتسع الحياة لما هو مألوف وغير مألوف..السياق الدارج والصعود من غير تدرج يسبقه؟ بل هل يمكن أن يكون لها عمق ما لم يردف غير المألوف ما هو مألوف فيها؟وهل تكون الأرض المستوية جميلة لناظرها من غير علامات بعضها قمم؟

ألا يعرف وصف الحال بنقيضه،ويعرف اللون بما يجاوره من ألوان أخرى؟ .. وتعرف قيمة المرتفع بما يجاوره من ارض مستوية؟ألا يمتد العراق بين الأرض والسماء وما بينهما من الصفحات الأولى في الأزل؟

الم يقم فيه وليس في غيرة بناء بارتفاع شاهق،امتد بين الأرض والسماء،وعندما لم تتحمل قاعدته الثقل بين القمة والسفح،أوعندما غضبت السماء،انهارت القمة، وجزء مما هو بين القمة والقاعدة من الأعلى،وبقيت القاعدة وجزء منها يمتدان إلى مسافة ما قبل القمة،مثلما حصل في الزقورة الشهيرة في أبي غريب،التي شيدت في بداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد.؟

ثم،ألم تكن فيه،وليس في غيرة،واحدة من بين سبع عجائب الدنيا هي الجنائن المعلقة في بابل،ولو كان الحكم منصفاً لسمي نصف من العجائب السبع فيه وانتسب إليه ...

الم يهبط ادم وحواء إلى العراق بأمر الله؟ ويولد إبراهيم علية السلام فيه؟وتنتسب إليه النبوة والأنبياء لمرحلة ما بعد نبي الله إبراهيم وما بعد ذلك إلى آخر رسول نبي هو محمد صلى الله علية وسلم؟

أليس هو،أو جباله،أو هضبة(النجف) فيه، موطن نبوة نوح علية السلام؟هي المرحلة الثانية بعد نبي الله آدم علية السلام .

وهل ثمة من يستغرب من أي غريب، قياساً بالسياق الدارج، إذاً ما حصل خارج السياق في العراق؟

الم تنهض روح رسالة الأمة من جديد في العراق ، معطرة بأريج النبوة وبركتها ،بل وما يوصل الحي بما هو في ذمة الخلود من نبض دمائه،قبل وإثناء أم المعارك الخالدة لترتفع راية الأمة العربية من جديد،بعد أن لطخها العملاء والضعفاء،ممن

نسبوا إلى الأمة زورا بعارهم،وبعد أن طغت الصهيونية وتجبرت هي وتحالفها البغيض مع أمريكا،حتى صار من شبة المستحيل معه أن تجد من يتصور قبل ألان،حتى ولو للحظة واحدة ،إن كابوس الاستحواذ على العالم، وإذعان العالم له،يمكن أن تكون له نهاية ، في أمر ليس بعيدا جدا،أو أن يكون ثمة طائل وجدوى من مقاومته، وان هذا الضعف ليس ضعف حكام فحسب، وإنما ضعف من ضعفوا، حتى من مسميات كانت تدرج حتى وقت قريب ضمن قائمة الأحزاب والحركات والشخصيات التقدمية والثورية؟؟

أليس من العجب العجاب، بل وما يقرب من وصف معجزة أن ينهض راكبا حصانة، ممتشقا حسامه ليقول:ها أنذا العراق، وحدي على الأرض.. أقول بصوت مسموع، وجنان ثابت:قف مكانك، أو تراجع أيها الظلم والطغيان.. هنا ارض الرسالات والأنبياء .. في الوقت الذي يرعاه ربة من اعلي سماء ويصدح بصوت مدو:لا، لن نركع إلا لله ، وليخسأ كل **** ،أو عميل، أو وطني يضلع ..لا ، لن نستسلم، وليخسأ كل عربي نسي انه يعربي، وأنه إلى الله وحدة يسلم .

كان العراق، إذن بلد النبوة والرسالة .. بلد الحضارة والتجارة والطهارة، فيه نبت الزرع أولاً، ووجد اللبن مجراه في الضرع ليعلن الحياة، وليبدأ العالم بطهارته وخطيئته، بالحلو مع المر من الحياة.. على الأرض التي منها تفتح الباب إلى السماء، حيث عليين ، أو إلى النار لمن يصليه الجحيم.

في العراق بلد سومر ، وأكد، وبابل، وأشور، والحضر، وبغداد، وسامراء ..بلد كل صقر أغر، وكل ماجدة بهية، من غيرها ما كانت الشمس لتخلق ، ولا وجد القمر سبيله في السماء، ولا استقام نبت على ساقه ، يعجب الزراع ، ليغيظ به الكفار، ولما كان المطر ...

فأرض العراق مثلما هي غنية بقصص الفروسية والعمل والبناء ,والإيمان، في السهل والجبل. وفي الهور حيث ينعكس في ليلة مقمرة على سطح مائة الجدي وزحل ، تجد الغرائب إلى جانبها، والنقائض إلى جانب ما يعجبك منها .. ولكن في العراق، لا يفرخ الدجل ، ولا يوجد فيه هزال ، وليس فيه صفة الهزل.. فيه: كان يا ما كان.. هكذا روت عجوز من قريتنا، اسكنها أهلي وكنت أناديها: جدتي، وكانت حكيمة ذكية، يعود أهل القرية إليها، نساء ورجالا.لينهلوا منها النصيحة والحكمة، بل وكانت طبيبة القرية أيضاً، يحبها الصبيان والصبايا كثيرا، ويستمعون إلى حكمها وحكاياتها إلى جانب الكبار، رجالا ونساء..، حكت لنا يوما فقالت:

كان في قديم الزمان، ملك عظيم المكانة والشأن .. بسط نفوذه، وانطوت له الأجنحة احتراما، وسلاما ,ومحبة، وإيماناً، أو هيبة وخوفا من الخائفين من فعل أنفسهم.. كان ذلك قبل أن يريد الله عن طريق رسله وأنبيائه ، وضع حدود واضحة لما يعد حلالا أو حراما ، أو قبل أن يكون الناس مستقرين على قاعدته ، طائعين لمعانيها وشرائعها ، أو طقوسها ، بنفس الدقة والوضوح اللذين صاروا عليها في ما بعد.. سلم ناسه له ، بين طائع أو مجبر , بعد أن صار ملك زمانه: ملك الجهات الأربع، وهكذا كان من يريد أن تنحني له الرقاب طائعة إلى مدى وعمق أعمق من عمق المكان الذي يحل فيه عرشه ويؤثر فيه ، من ملوك لا ينتسبون إليه، ويحكمون خارج مقر حكمة ، في أعماق العالم القديم ، والى المدى الذي صار من يخشون سطوته، إن لم يقنعوا بحكمهم شعبهم ، باسمة، يحكمون ويعلنون ويطاعون.

انقطعت الجدة عن الكلام لمتابعة شأن من شؤونها في تلك الليلة الشتائية، ونحن نتحلق قرب نار لا تكاد تدفئ إلا من كان لصيقا بها، ولم اعرف مغزى هذه الرواية العجيبة، لكنني اعرف هذه المرأة جيدا ، واعرف أنها كانت حكيمة بما يكفي ، قياسا بأهل زمانها، ضمن حدود المكان الذي كانت تعيش فيه مع أهل قريتها الغافية على نهر الزاب، على مقربة من جبل مكحول، إلى الشمال الشرقي منه وعلى الضفة الشرقية من نهر دجلة قبالة مدينة الشرقاط ، حيث أثار مدينة أشور التي يعود تأسيسها إلى الألف الثالث قبل الميلاد، في العصر الأشوري الأول.

اعرف بأن الجدة هذه كانت تتعمد أن تلتقط لنا حكايات ، ربما بعضها مبتكر، وبعضها الآخر من قصص التراث الشعبي، مع ما يمكن أن تدخله عليها، أو تحذفه منها ، بما يجعلها ملائمة للمغزى الذي تريد أن نلتقطه منها ، ويؤثر فينا بما يحقق هدفها..، وكانت جدتي مثلما هو شأن كل الجدات المربيات لأجيال من الشباب والشابات، من أبناء بناتهن أو أبناء أولادهن ، تحرص على أن تظهر مع تركيز خاص لما تريد أن نمتنع ونتخلى عنة، أو نتمسك ونعمل به، من خلال قصة أو رواية ، وكل حال حسب ظرفه وهدفه.

هكذا كانت الجدات، بل العمات والخالات أيضاً، ممن تكون أعمارهن في الأغلب ، اكبر من أعمار الأمهات، يعتنين لهذا النوع من القصص ، وكن لما يروينه من روايات أو أمثال وحكم كأنهن تلفزيون بيت، بل وليت تلفزيونات هذا العصر تصل في جوانبها التربوية إلى عشر معشار ما كنا نتلقى من دروس على أيديهن ..
وكان بعض الرجال يروي في المضايف والدواوين، أو في البيوت بين الأهل ,ما

هو شبيه بهذا، بما يربي معاني الفروسية والتقاليد الطيبة بين الفتية والشباب..
واصلت الحكيمة حكايتها فقالت:

ضاق صدر الملك من وحدته في قصره، فخرج طالبا الفلاة خارج المدينة , ولاح له قصر من بعيد.. وبعد أن سار هو وموكبه باتجاه بما يقرب من نصف ساعة في حسابات الزمن لهذا العصر ، بين أن يهذبوا على الخيول ، أو يغيروا، أو يسيروا بصورة اعتيادية، اقترب الملك وموكبه من القصر، ورآه كأنة قصره الذي خرج منة لتوه، ولكنة اصغر حجما منة، بقليل... وعندما سأل عن عائدية القصر، قيل له أنة لتاجر كبير، صديق للكثرة الكاثرة من الأمراء، ويقيم فيه الدعوات الفخمة.. أما المزرعة وما فيها، فقد أهداها له، أو لوالدة، واحد من الملوك السابقين..

هنا حاولت الراوية الحكيمة أن تمزح معنا: ألا ينبغي أن يكون أصدقاء الأمراء ، ومن يتقبلون الدعوات ليكونوا على موائدهم، من العناوين الكبيرة: تجارا كبارا، إقطاعيين كبارا.. أصحاب نفوذ كبار ..متعهدي دور العبادة.. حتى سماسرة كبارا؟.. ثم أليس الملوك كرماء من أموال الشعب لغير الشعب؟.. أليس كرمهم للأغنياء، يا أبنائي، أم تعتقدون إنكم تصيبون شيئاً منه؟

هكذا أكرم احد الملوك صاحب القصر المنيف حسقيل بما أكرمه، وبقيتم انتم على هذا الحال مع جدتكم، في هذا (الخربوش) الذي بالكاد يصمد لريح الشتاء، أما المطر فيتخلل من سقفه كلما ابتل بنقاط قليلة منه..

قالت ذلك وهي تضحك، بل وتقهقه أحياناً، كنا لشقاوتنا نضحك عندما تظهر أسنانها متفرقة، حيث الزمن هدم جزءا منها ,وجزء أخر هناك، بالكاد بقي نصف الأسنان بين فكيها، بعد أن برى الزمن ما براه منها حتى أبقى جذورها وما فوقها بقليل.

وعندما كانت تتحدث عن الملك والملك والملكية، كانت تلوك الكلمات، وتحبس كل واحدة منها بين شفتيها لحظة من الزمن، حتى تتحول إلى أحرف، كأنها بهذا تجبر خاطرها وما فيها من قصور في الجاه والملكية والقدر ...

وعندما تتذكر كيف زفوها لابن عمها ، لقاء صداق لم يتجاوز لعشرة نعاج ,قبضها والدها، دون أن يعطيها واحدة منها، أو يشتري لها حتى ولو ثوبا(دشداشة) جديداً واحدا، تتجرع الحسرات، برغم أن ذلك قد حصل منذ ما يقرب من الأربعين عاما على الأقل.

نبهتنا الراوية لكي لا تتحول عن حكاية أو قصة الملك إلى قصتها هي، فعادت لتقول:

- استغرب الملك مما سمعة عن حسقيل وقصره ، ولكنة تابع السير باتجاه كوخ صغير كان الأقرب إلى السياج الخارجي لقصر حسقيل، فتبعة حسقيل على ظهر جواد، بعد أن عرف أن الملك جاء إلى قصره، ولكنة لم يدخله... وكان الملك قد أمر الحرس بأن يمنعوه من أن يدنو منه، منذ أن اقترب من الكوخ، الذي خرجت منة فتاة جميلة في مقتبل العمر ,اسمها ز ب ي به...

رحبت زبيبة بالملك، وناشدته بمنطق عالي المستوى، وبأدب جم، أن يترجل، لتقوم بخدمة الضيافة ..

وكان شيخ طاعن في السن يقف إلى جانب زبيبة، استطاع أن يقدر أنة من عائلتها ..

ترجل الملك..

وعندما التمست ز ب ي به من الملك أن يدخل الكوخ، دخلة فعلا ، وأجلسته على كرسي صنع من سعف النخيل.. ولكن الملك لا حظ أن الكوخ نظيف من الداخل، وان أشياءه وضعت وفق ترتيب وتناسق خاصين.

أليست تعقيدات القصور، وأشيائها، وجدرانها السميكة مما تعافه نفس من لا يكون فقير معنا، يتشبث بالمظاهر غير الضرورية، إلى الحد الذي تميت نفسه، وحتى ذوقه؟ ألا تنتمي هذه الصلة المباشرة بالطبيعة، كما هي، الذوق، قدرة اختيار الألوان المناسبة، مثلما ينمي الهواء الطلق الصحة والبناء النفسي للإنسان؟ ..

أجابت زبيبة عن كل تساؤلات الملك حول حياتهم، وأشياؤهم، وظروفهم، بما بهر الملك، وخاصة عندما كانت تتوسع في الإجابة بطريقة أبقت الملك بحاجة ليستمع المزيد.. وكانت كلما خاطبت الملك، أو أجابت عن شيء، تردفه بمستوى عال من اللياقة والأدب، إلى جانب البساطة وليس التعقيد وبما يريح النفس، ويغني المعرفة.

أعجب الملك بـ زبيبة ..

أليست بساطة زبيبة، وذكائها الفطري المختبر بتجربته، وعدم تصنعها في السلوك، هو ما يحتاج إليها القابع في قصره، والذي لا يرى ولا يسمع إلا ما هو جزء محسوب مسبقا في سياق ممل وثقيل ؟ ..

نعود إلى ما قالته لنا تلك العجوز عن ذلك الملك الذي تدور حول محورة روايتنا هذه:

بعد أن أكثر التردد على بيتها، وبعد إن صارت زبيبة تزوره ومن وفق ما سيأتي ذكره لاحقا، انتهى الملك إلى أن حبا زبيبة حبا جما، لم يرتقي إلية حب أي امرأة حبها تحت أي عنوان، ومن ذلك زوجاته وحبيباته..كانت إذا مشت على الأرض يفلت قلبه خارج قفص صدره ليباريها ، أو يتدحرج إمامها ليحميها ، أو يعقبها خلفه ليعرف إلى أين مسراها، ويكون مشعلا أو شمعة لها عندما تخرج من قصره..

ولكنه لم يفاتح زبيبة بحبة لها ، وكان يحاول أن لا تكتشف أنه يرتبط بأكثر من رابطة علاقة تريحه مع واحدة من الشعب، لأنة في الغالب محصور بين جدران القصور وتقييداتها..

وبعد أن كان الملك لا يسأل عن أي شيء وحال تفعله مع زوجها، ولا يغار عليه منها، باعتباره زوجها صار يغار عليها حتى من الهواء والماء.. وربما من لقمة الطعام وهي في فمها، _نعم _ أقول _من حق الملك أن يغار على فم زبيبة، ومن حق الزوج أن يغار على فم زوجته.. أليس الفم مما ينبغي أن يغار المرء عليه؟ أليس هو من خصوصيات المرأة التي تجذب الرجل أو تنفره منها ؟ مما يقتضي أن تراعي المرأة الذكية ذلك فيها،فتستخدمه كعنصر قوة على الرجل، لينجذب إليها، ولا يفلت ..

وتداري ما فيه من عيب ، لئلا يهرب عنها بعد آت يقترب منها؟ ألا يقبل كثر من الرجال المرأة أكثر بكثير من أي تفاصيل أخرى فيها ؟.. إلا يكتفي بعضهم، تعبيرا منه عن الزهد في الجنس ، أو ليثبت لحبيبته في أي مرحلة من مراحل العلاقة والعشرة أنة يتسق بها ، ليس حبا بالجنس، وإنما حبا بها فحسب، بالقبلة والتقبيل، ويقول إن هذا هو الأساس ، سواء حضر الجنس أو غاب عنهما ؟ أو

هكذا يدعي من يدعي.. وإذا كان الفم على هذا الوصف ، إلا يحق للرجل ، بل أليس من دواعي واجباته تجاه من يحب، أن يغار على فمها . . ضحكتها حركة شفتيها؟ ثم بعد هذا ألا يصبح مفهوماً أكثر لماذا كانت أمهاتنا وجداتنا يضعن (الفوطة) على أفواههن إمام الغريب ولا يأكلن إلا إمام ذي محرم ؟ ومن هذا مغزى الآية الكريمة التي تدعو النساء ليضربن بخمرهن على جيوبهن ,ومن ذلك الفم ....

لقد أحب ملك زمانه ذاك زبيبة حبا عظيما.. أما كيف أحبها فإليكم هذا:

ابلغ الملك كبير الحرس بأن يسمحوا لضيف الملك، عندما تأتي ، بالدخول إلى جناحه الخاص بالقصر، ولم يعطهم أي تفاصيل عنها، ومع أن كبير الحرس استغرب أن يأتي الإبلاغ عن حضور ضيف ، هذه المرة، من الملك مباشرة، وليس عن طريقة ، فإنه لم يسأل أحدا عن السبب، أو يفضي له بهاجس الغموض في نفسه.. ولكنة جمع حرس الباب الرئيس , وطلب منهم أن يرتدوا لباسهم الرسمي، وان يتهيئوا لاستقبال ضيف الملك..

- هكذا ينبغي أن يفتح طرفا الباب مرة واحدة من قبل جنديين من الحرس

- قال لهم أمر الحرس _ وان تكون حركة ارتداد قسمي الباب إلى الخلف، حيث ينفتح الباب على سياق موحد

من السرعة والبطء، بحيث لا يسبق احدهما صاحبه عند بداية الحركة، ولا بدرجة الحركة وسرعتها.. وأن

اسم ضيف الملك زبيبة...

عندما لفظ الاسم (زبيبة) لم يوح له هذا الاسم بما ينبئه بأنه يعرف شيئا ، أو يتذكر ما يفيد عنها...

هم أحد الحراس بأن يضحك عندما سمع الاسم (ز ب ي ب ة) ، ولكنة كتم ضحكته، واكتفى بابتسامة عندما لاحظ أن قفا كبير الحرس صار قبالته وليس وجهه...

انصرف كبير الحرس .. وتضاحك الحرس في ما بينهم عندما قال أحدهم:
- أنا اشتهي ***ب هذه الليلة..

أجابه أحد الحرس :

- من أين يأتينا بالـ زبيب ، يا ترى؟

قال آخر :

-إن فلانا غالبا ما يشتهي ما هو غير قادر عليه ..

قال أخر:

- وهل حرام علينا، يا أخ، أن نشتهي نظريا ما لم نستطع أن نحوزه عمليا؟

قال أخر:

- لا . ولكن من يمني نفسه بما لا يستطيعه يعذبها.

أجابه صاحبه:

- لكن النفس الإنسانية لا تستطيع أن تعيش بما يقدر عليه الإنسان في اللحظة حسب، من غير أفق يشرق بأمل لما يتجاوز اللحظة وإمكاناتها...

أجابه صاحبه:

- إن تصور الأمل حالة اقتدار يراها الإنسان في نفسه، آو يتحسسها قبل أن يغدوا قادرا على أن يضعها في إطار الممكن .. فمن أين لنا القدرة على تصور ما هو أمل لنا ؟.. أليس مكتوبا علينا أن نبقى على صفتنا هذه في الحراسة حتى يستغني عن خدمتنا، في ما نرى ونلاحظ آن الناس لا يحبون أهل القصر بل وقد لا يحبوننا أيضاً؟

-ولكن أليس محظوظين بأن نكون بين حرس الملك , ونشبع بطوننا بما ينعم

علينا، في الوقت الذي يموت آخرون جوعا، أو يفتك بهم المرض لعدم قدرتهم على جعل وجبات طعامهم ممكنة ومنتظمة وكافيه ليعيشوا؟.

-ولكن هل يكفي أن تشبع البطن، عندما تقلق النفس ولا ترضى ، أو لا يكون العقل مقنعا، والضمير مشغولا بهواجسه؟..

أجابه آخر:

قطع عليهم النقاش اكبر هم سنا بأن قال:

- إن حلم صاحبنا الذي قادة ليشتهي الـ زبيب غير واقعي، لان من ذكرته بهذا هو ضيف جلالة الملك، ومن اسمها يبدو أن الملك لن يهتم بها كثيرا، وربما لن يقيم لها وليمة عشاء ..إنها على الأغلب من صنفنا، أو ربما جاءتها النعمة قريبا.. ولا نعرف كيف ، وان الملك أراد أن يراها لدقائق لأمر ما ثم يصرفها .. وفي كل الأحوال فهي زبيبة وليست زبيبا .. ماذا يمكنك أن تشتهي من زبيبة واحدة؟ إنها لو كانت أكياس من ألـ زبيب ربما انطوت أمنيتك في ما تشتهيه على قدر من الواقعية.. فأغلقوا أفواهكم ولينصرف كل إلى عملة!

ضحك وضحك الجميع..

وبينما كان حرس الباب يذرع بخطواته الأرض جيئة وذهابا، سمع وقع أقدام، وعندما حدق في الظلام، وركز أمامه، لاح له شبح إنسان واحد من بعيد.. تهيأ وأمسك بقوسه في يده جيدا، والتقط سهما من كنانته المعلقة على كتفه , وأيقظ النائمين حوله، وصاح بالقادم إلية.. بصوت مسموع :

- قف .. مكانك!!

صاحت زبيبة .. بصوت مرتجف متقطع:

- أرجوكم لا تطلقوا علي .. إنا ز بـ ي..... بة ، أنا ضيف... ألملـ..ك

قالتها متقطعة من شدة خوفها ..

قال الحارس باستغراب، بعد أن ركض صوبها:

- زبيبة ؟ أنت ضيف الملك؟

- نعم، قالتها بعناء شديد، يعاونها في ذالك تأكيد من حركة رأسها :

- نعم..

- تفضلي ..تفضلي

قال الحارس..

- عفوك سيدتي، لم نعرفك.. تصورنا ..

- ماذا تصورتم ؟

أعاد احتراك الحرس لها ثقتها بنفسها ؟ وصارت قادرة على الكلام بنوع من الثبات.. ولما لم يجب الحارس .. قالت زبيبة :

- أنا أقول لكم ماذا تصورتم.. عندما لم يتحقق تصوركم، أخطأتم مرة أخرى في تصور أنني محض متطفل ، أو ربما يتسلل يقصد سوءا بالقصر وأهله.. لقد تصورتم أن أتيكم بعربة تجرها خيول، وربما خلفي وأمامي عربات أخرى أيضا.. أما أن تروا إنسانة منكم ومثلكم تأتي مرغوباً فيها إلى هذا القصر فقد كان ذلك خارج خيالكم .. أليس هكذا ؟

قال الجميع :

- نعم يا سيدة..

وقال الحرس كبير السن:

- ولكن ، اعذرينا يا سيدتي فإن التصور أو الخيال جزء من القدرة عليه.. انه جزء من قدرة أن يتصور أو يتخيل، والقدرة لا تنفصل عن الواقع كثيراً، ومن ذالك إمكانية التحقق، فكيف تريدين منا أن نتصور أن واحدة من الشعب مثلك.. منا.. هي صاحبة الحظ وفي موعد مع جلالة الملك .. مع أن هذا لم يحصل من قبل ؟
أضافت زبيبة إلى كلامه وهي تبتسم:
- وأن يكون اسمها زبيبة، أليس كذالك ؟
- نعم ، يا سيدتي ...
وهم أن يبتسم هو ومن حوله من الحرس، لولا أن تذكروا أنها ضيف الملك ، وأن الياقة تقتضي أن لا يبتسموا أمام الملك وضيوفه ، وإنما أن يستعدوا لهم أصولياً على أساس تقاليد الحرس الملكي فحسب..
عقبت زبيبة مازحة، وهي تبتسم ، بل وتضحك بهدوء :
_أتعرفون كيف ، ولماذا سماني أهلي زبيبة؟
قال الجميع فرحين:
- لماذا؟ وكيف يا سيدتي؟
قالت:

عندما حملتني أمي.. وكنا نعمل عند مالك إقطاعية كبيرة من الأرض ، اقتطعها له والد جلالة الملك هذا أو جدة ، تقديرا له لسبب أجهله ولم أتبينه رغم أنني سألت عنه .. ولكن هل يستدعي الأمر سببا واضحا لان يقتطع الملوك أراضي الوطن إلى من يهبونها لهم .أو يقضون بها دينا استحق عليهم جراء لعبة قمار، أو يتنازلون عنها للغزاة بعد أن يغلبوا ؟

ومع أن قسما منهم جفلوا، فقد استهوتهم جرأة زبـ ي ب ة ونوع كلامها ... ولذلك ابتسم بعضهم في ما بقي بعضهم الأخر صامت من غير إشارة في وجهه إلى علامة رضا أو رفض.. ألا تبدأ حياة المعارضة بكلام كهذا ، لتختبر النفوس واتجاه هواها ؟ ومن ذلك تلتقط عيناتها وتنمو بعد أن يركز عليها وفق مناهج خاصة تعدها المعارضة لتدفع إليه صاحب الشأن إلى الحد والاتجاه الذي تريد!؟
قالت زبيبة :

- توحمت والدتي ، واشتهت آنذاك زبيبا، ولان ذلك كان فوق مستوى خيالها،لان قدرتها وقدرت والدي اعجز من أن تجعل هذا ممكنا .قالت في نفسها : ولو زبيبة واحدة .. وأمر طبيعي أن يعجز منالها عن ذلك أيضا.. لذلك وعندما وضعتني ، سمتني ز ب ي ب ة ، وهذا حق للمرأة أن تسمي مولودها إذا كان أنثى .. هكذا

حققت حلمها في عن طريق اسمي ، بعد أن عجزت عن الحصول حتى على زبيبة واحدة مما كانت قد اشتهته نفسها .. حققت اسمها في .. وبذلك تواصلت روحها، مع أمالها بعد أن عجزت قدراتها عن ذلك ، رحمها الله، لأنها ماتت بعد الوضع .. ولو لم يكن اسمي زبيبة ، لما اختارني الملك لأكون إحدى من تحضى بحبه لها .. أوعلى الأقل للارتياح إزاءها ..

أتعرفون لماذا ؟..

وقبل أن يجيب الحرس قالت:

-لان مكان الـ زبيب هو مخازن الذوات أو التجار ، أو على موائد الملك وكبار الميسورين فحسب..عندما أتمكن سوف أجعلكم تتذوقون ألـ زبيب، وربما الجوز .. من يدري !؟

قالت ز بـ ي ب ة ذلك، وهي تبتسم بفرح غامر بعد أن عاودها رونقها .. ورغم أن ملابسها بسيطة، فقد حرصت على أن تجعلها نظيفة نسبيا، وان ترتب شعر رأسها المغطى جزئيا بوشاح..

نادى عليهم أمر الحرس بعد أن جاءهم يتبختر:

- لماذا تجتمعون تفرق .. كل إلى مكانه..

قال له كبير السن فيهم:

- سيدي .. إنها ضيف الملك .. إنها السيدة زبيبة

ماذا؟

-نعم سيدي.. زبيبة ضيف الملك

عندما لاحظ آمر الحرس أن امرأة تتوسطهم، قال:

-أصحيح ما تقول

ثم اقترب وسألها باستغراب:

- أأنت زبيبة ؟

- نعم يا سيدي ، أنا زبيبة .. أنا ضيف الملك.. الم يخبركم جلالة الملك بأنني سأكون ضيفة هذه الليلة ؟ قالت ذلك بثقة ، وكنوع من المناكدة مع آمر الحرس، وبأسلوب واثق ينطوي على قدر ظاهر من الاعتزاز بالنفس، و بأنها ضيف الملك .

قال آمر الحرس:

- عفوك ، ولكن..

- ماذا يا حضرة آمر الحرس .. إلا إنني مواطنة من الشعب لا أصلح أن أكون ضيف الملك ؟ أتريد ان تعدل على قرار جلالة الملك ورغبته؟

-لا..لا..... كيف لي أو لغيري أن يجرؤ على إجراء تعديل على أي قرار من قرارات الملك ، آو رغباته؟ عفوك يا سيدة زبيبة، ولكننا الشعب. من قبل،أن يكون بين ضيوف الملك وزائريه خاصة في الليل، مواطن آو مواطنة من الشعب .. كان الملك يظهر في احتفالات رسمية بعينها أحيانا، ليرى كيف يحييه الشعب من بعيد، ولكن لم يسبق لنا أن تعاملنا مع حال كحالك.

وبعد أن صعدت في رأسها نشوة الإحساس بالتفرد في حضوة الملك ، قالت:

- لكن البداية .. هل يستغرب إلى هذا الحد أن يكون من بين جلاس الملك ومن يستمع إليهم وربما من بين محظياتة واحد من الشعب؟

ألا يكفي العناوين الكبيرة من تجار .. وقادة جيوش كبار.. ووزراء ..وأمراء.. أن

يحتكروا الملك والملك كل هذا الوقت!؟ إذا فليبقوا يحتكرون الملك والمال ... ويتركون لنا الملك ..

ابتسمت وتوجهت بالسؤال إلى الحرس الذين كانوا يسمعون كل ما دار بين أمر الحرس و زبيبة :

- أليس هذا عدلا يا جماعة؟

قال الجميع

- نعم يا سيدتي .. إنه عدل..

قال آمر الحرس، بعد أن رمق الحرس بنظرة عدم ارتياح من مطاوعتهم زبيبة بالقول إن كلامها عدل، فيما يفترض بهم أن يصمتوا:

- ولكن عفوك سيدي ، أريد أن اتصل بكبير حجاب الملك..

فهمت زبيبة أنه حتى تلك اللحظة لم يكن مقتنعا بأنها ، هي فعلا ، ضيف الملك المقصود ، أو أنه يصعب عليه تصديق ذلك ..

قالت زبيبة :

-افعل ما يمليه عليك واجبك..

وبعد أن انصرف أمر الحرس عنها..

قالت زبيبة لنفسها :

- أليس الإخلاص، وأداء العمل وفق وصفه المشروع، هو واجب كل منا؟ إذن علي أن لا أتضايق ، وأنا أرى أمر الحرس يعمل وفق قياسات واجبة ليتأكد من أن قولي صحيح وليس محض ادعاء ... وإنني أنا ضيف الملك ،

وليس غيري، وأن اسمي ينطبق على و ليس اسم ترف مما اعتاد آمر الحرس وهو يهرول :

- عفوك سيدتي .. ارجوا صفحك.. وغير ذلك من كلمات المجاملة والتودد مردفا كلماته من حين إلى آخر بانحناء ليستمليها بالرضا عنه..
عرفت زبيبة كل أسباب ذلك، لأنها قدرت أن كبير المرافقين زجره وأنتبه على تأخيرها.. وربما فعل الملك نفسه ذلك معه.. وان لم يكن الملك خشنا في التعامل بوجه عام.

ربما كان الملك نفسه قد عنفه ..

وأجابت:

- قد لا يكون الملك ممن يفعل ذاك ، ولكن ، أليس من يحيطون بالملك عادة هم الأكثر خشونة منه ؟إنهم، وليس الملك، ملائمون أكثر لتأديب أمثال آمر الحرس !؟

ثم قالت مع نفسها :

- أليس من ضمن ما ينبغي أن يؤدي آمر الحرس واجبة فماذا لو عكسنا الحال؟ فلو لم يتأكد مني، وأدخلني على الملك ، وظهر أنني لست المطلوبة، فما عساه يفعل ؟ أليس البعيد عن الملك والملك أكثر حرية؟ وأجابت بنفسها

بعيدا عن الملك إن يكون ولكن ليس انأ .. هذه فرصتي ، وغبية من تدع فرصتها تفلت من بين يديها وبخاصة، عندما تكون فرصتها مع ملك .. والملك هو ملك بلادنا..؟! أما بعيدا عن الملك ، فمعنا هذا أن يكون بلا وسيلة مؤثرة في الحياة لأنه يعني أن يكون بعيدا عن الملك و والسلطان، سواء أكانت الملكية شخصية أم ملكية الدولة ، ومن يكن دون ملكية ، يعش اعزل أمام الحياة والطبيعة والمخلوقات ، ومن يكن اعزل أمام الطبيعة والمخلوقات ، تكن الطبيعة والمخلوقات قادرتين عليه ، فإما أن تستبعداه ، أو تفترساه , ومن يفترس يموت ويفقد حريته ، لان موته ليس نضالا استجوبته الحياة، وانما اختيارا غبيا في التعامل معها .. ومن يستبعد يفقد حريته .. إن الطبيعة ومخلوقاتها غير الإنسانية اقوي من الإنسان إذا تجرد من عقله ، وان قيمة تفوق عقل الإنسان تكمن في أنه قادر على اختراع أو ابتكار الوسائل المناسبة ليتفوق بها على المخلوقات الحية

ويتكيف مع الطبيعة، ولن يكون قادرا على ذلك إلا عندما يحوز تلك الوسائل ، والملكية نوع من الحيازة إن كان باسم العامة من الناس ، أو باسم أفراد.. وتحت هذه العناوين : العقل .. الدولة وما تحوزه.. الفرد وعقلة وما يحوزه ، يتحقق التفوق، مع شروط أخرى، كل ضمن حالها على أساس وصفة وظرفه.. لذلك إذا أردنا الحرية ، ينبغي أن لا نتنازل لعناوين بعينها لتملك ما تشاء ، ويتجرد الشعب من الحرية، وإلا فالحديث عن الحرية والمساواة في الفرص يغدوا هراء، فإما أن يملك الجميع عند خط البداية ويحوز ما ينبغي أن يحوزوه عند خط البداية ، وبصورة متساوية ، أو أن يجردوا من كل شيء ينطوي على ما يعتقد انه فائض على الحاجة الإنسانية لمن يريد التمتع بالحرية، أو دخول مسابقة ضمن طريق يحمل وصفها وعنوانها.. وإلا حتى لو بداء التسابق على خط عرضي مستقيم يصطف عليه الجميع في تسابقهم على عمق أو ارتفاع بعينة، فإنهم سيكونون غير متساويين في ما يسجله كل واحد منهم لنفسه.. ألا يضيعنا التباين في الوسائل أمام نتائج متباينة بعد خط الشروع بالانطلاق، بغض النظر عن النيات!؟..

قالت زبيبة كل هذا مع نفسها ، وهي تمشي إلى جانب آمر الحرس .. إلى حيث كبير الحرس، ثم مع الأخير، إلى حيث الباب الداخلي لقصر الملك..

وعندما دلفت زبيبة إلى باب القصر، إلى جانب كبير الحرس، كانت تدقق في تفاصيل ممر القصر الذي يمتد بعد الباب، وكادت تصطدم بالملك الذي كان يقف وسط الممر وهو ينتظرها , لولا أن لاحظت أن كبير الحرس وقف فجأة، وأدى التحية العسكرية ، بعد أن ضرب رجليه في الأرض، وبقي مسمرا في مكانة، إلى أن قال له الملك:

- أشكرك.. اترك زبيبة وانصرف.

وهكذا استدار بصورة نظامية أيضاً ، وتركهما وحدهما.

حيت زبيبة الملك ، بعد أن ثنت ركبتيها ، مع إشارة من رأسها ، وهي تمسك بطرفي ثوبها، حتى تخالها فراشة رغم أن ثوبها لم يكن ثوب قصور ،ولا يشبه ثياب الأميرات وزوجات وبنات الذوات اللاتي يرتدن القصر عادة في المناسبات العامة والخاصة ، بل ولا يشبه حتى ثياب الجواري.

ابتسم الملك، مرحبا بضيفة:

- أهلاً... أهلاً... أهلاً وسهلاً..

وتقدم إليها خطوتين، حتى التصق بها وربت على رأسها،ورفعه قليلا وهو يقول:

- (مشتاقين) يا حلوة ...

انشغلت زبيبة بوصف الملك لها بالحلوة ,وراحت تداور كلمة(حلوة) مع نفسها ، وهي تقول:

- هل يراني الملك حلوة فعلا، أم انه أراد أن يجاملني وهو يرحب بي فحسب؟

بالكيف ، ولماذا يعتبرني حلوة، وهو يرى طرازاً خاصاً من النساء غيري داخل قصره ومن يأتين إلى قصره من بنات الأعيان والأمراء فهن كثيراتّ!؟

- عفوك، يا جلالة الملك.. كيف، ولماذا اعتبرتني حلوة؟
- إن وصفي لك بالحلوة وصف تستحقينه يا زبيبة ، وقد رأيتك واستقر وصفك في نفسي مثلما أقوله لك الآن منذ أن زرتكم في بيتكم وتكررت زياراتي إليكم في ما بعد، عندما كنتم في مزرعة ذلك العاق الذي طردناه من الأرض التي كان احد الملوك السابقين قد اقتطعها له ..

أشار إلى هذا ليذكر كيف أن احد الملوك السابقين اقتطع لأحد الأعيان من أصحاب المصالح الخاصة ارض واسعة ، وراح يربي فيها مختلف الـ زبي**ات بالإضافة إلى الزراعة ,وكان يربي فيها خلايا نحل يبيع عسلها إلى من يشتريه، وقد صار ذلك الرجل في ما بعد يعمل في التجارة داخل المملكة وخارجها ، حتى أصبح ما يملكه يعد ضمن الأرقام الأسطورية من الشيقلات(معناها أساسا معيار وزن، من الفضة أو الذهب استخدمه الاكديون والبابليون والأشوريون ثم استخدم كعملة في العهد الأشوري، وبعد اسر اليهود الأول والثاني في عامي ٥٨٩و ٥٨٧ ق.م . على يد نبو خذ نصر أخذه اليهود من البابليين ونسبوه لأنفسهم.) وكان كلما التقى الملك في مناسبة ذكره بما لدية من عسل طبيعي و لذيذ ينفرد به عن سائر ما يسمعه الملك عن العسل الذي يباع في الأسواق وحتى العسل الذي يجمعه المسئولون من مناحل في مزارعهم البعيدة عن مزارع الملك وحدائق قصوره، إلى أن أمر الملك احد التابعين بان يذهب إلية ليشتري منة للقصر كمية كبيرة من العسل، ولكن ما أن فحص العسل بالتذوق عن طريق خبراء في هذا حتى اكتشفوا

أن العسل مغشوش، وان اقل غش فيه هو أن ذلك التاجر الشره كان لا يبقي النحل في الخلية أي بقايا عسل ، وانما يخلي كل الخلية منه ويستبدله بشيء مما يأكله النحل مضطراً في فصل الشتاء حيث يركن النحل في السبات داخل أماكنه في الخلية ، وعند ذلك يعتبر طعم العسل ويكون من النوع الرديء بخلاف العسل الذي ينتجه النحل فيما لو أكل من العسل في ذلك الفصل ، بالإضافة إلى رحيق الإزهار والورود الذي يمتصه في الفصول الأخرى غير فصل الشتاء ، ولذلك صادر الملك مزرعة هذا التاجر اللعين ، وأعادها إلى ملكية الدولة..
ويوم ذاك ، كان أبو زبيبة يعمل في مزرعته ، وعندما أعيدت المزرعة إلى الدولة، ابقي الملك من أراد فيها من العمال والفلاحين ،ومنهم والد زبيبة ، الذي تزوج منذ وقت ليس ببعيد ، وعندما زار الملك تلك المزرعة ، رأى زبيبة وأعجب بها ، وأعجبت هي به ، حتى أحبته وأحبها من خلال تردده على المزرعة من حين إلى أخر ..هكذا، إذن عرف الملك زبيبة وأحبها..

قال الملك:

- إن وصف حلوة ليس شكلا فحسب يا زبيبة ، إنه وصف معنى وصورة، وكلاهما ينطبق عليك ..

- لكن هناك من هن أجمل مني، يا جلالة الملك وقد رأيت الكثير منهن.. اعذرني في صراحتي، أو شيء من وقاحتي ، إذا قلت:

ربما تكون عاشرت كثير منهن..

- لكن لم أر واحدة منهن حلوة القلب والروح والشخصية والشكل مثلك يا زبيبة!!
- كيف يا جلالة الملك ؟

- لقد رأيت من يقتربن من الملك أملا في التاج وتأثيره وليس اقترابا من معان أخرى ، مع أنني لا أرى التاج أهم مميزاتي يا زبيبة ..

- وهل ينفصل الشكل عن الجوهر يا جلالة الملك ؟.. ها أنت قلت أنني حلوة وعددت الأسباب، وأضفت أنني جميلة الشكل أيضا.. أليس التاج شكلا لك ؟
_قد يكون التاج جزءا من منظري ولكن ليس الشكل كله .. ثم إنني لا أرى أن الشكل يحتل نفس المكانة في شخص الرجل مثلما يحتل في شخصية المرأة، إلى

جانب الصفات الأخرى.. إن التاج شيء يا زبيبة .. هل يجوز أن يكون كل مدخل التقويم إلى الملك هو الشيء أو الأشياء فحسب؟

- لا، يا جلالة الملك ، إن المدخل إلى الإنسان ينبغي أن يكون ما يشكل الجوهر من الصفات والطباع ، وقد يكون الشكل مكملا أو مضافا ، ومن يجعل الشيء هو المدخل الحاسم في تقويم الأشياء يكون كما الشيء قيمته في التداول والاستعمال وليس بحد ذاته .. لذلك فان من يقوم الناس على أساس أشيائهم فحسب، قد يصلح كشيء للتداول، وليس كقيمة للخلق والتقويم وسند يركن إليه ..مع أنني لا استطيع أن أتصور الإنسان شيئا حتى على غرار ذلك الملعون الذي طردته من المزرعة ، وجردته من ملكيتها ..

- لقد أردت من كلامي التخصيص في الملك ولم أرد من ذلك التعميم ليشمل الحكم العامة أيضا..

- بل العامة أيضا يشملهم هذا الحكم يا جلالة الملك.. انه يشمل الإنسان. اليس الناس ناسين !؟

لم يعلق الملك على كلام زبيبة لكنه قال:

قلت يا زبيبة انك لا تتصورين حتى ذلك الملعون الذي طردناه من المزرعة شيئا : الم تقولي ذالك؟

- نعم ، يا جلالة الملك ..

أتقصدين انه من غير قيمة؟ حتى ولو كانت تافهة بحيث لا يصلح لان يسمى شيئا يا ز ب ي ة !؟

- لا ، يا جلالة الملك أنا لا اقصد هذا ، وانما أردت أن أقول:

مع انه ملعون وان قرارك يصدده عادل، ولكن لا يجوز أن نعتبره شيئا ، ذالك لأنة في حقيقته آدمي وان كان فقد إنسانيته، أو أنها ضعفت فيه لان أي آدمي مهما بلغ من السوء، لا بد أن يكون فيه شيء من إنسان، وان كانت خواصه وطباعه، المرجحة للسيئ من الصفات فيه، قد جعلته قريبا من شيء ..

قال الملك:

- ولكن هل يمكن أن نجعل الجزء الصغير الايجابي في شخصية كائن من يكون بديلا عن الأرجحية السيئة فيه ، يا زبيبة؟

- قد يحاول المصلحون، يا جلالة الملك، على هذه - أجابت زبيبة - قد ينمون الجزء الايجابي فيه ليكون السمة الغالبة، فيما يتراجع السلبي ، أو السيئ فيه لينحصر في زاوية ..

- ولكن الملك ليس مصلحا اجتماعيا يا زبيبة..

- آه لو كان بإمكان الحاكم أن يكون مصلحا اجتماعيا ، إلى جانب كونه مصدر قرارات أخرى لكان الحال حالا أخر.. قالت زبيبة.

- ليس كل ما يتمنى المرء يدركه يا زبيبة. أجاب الملك ..

- ولكن أليس بالإمكان تكليف من يقوم بهذا؟ من غير أن ينشغل بتفاصيل الحكم وتسلسل حلقاته ومن غير أن يتحمل الحكم أيضاً مسؤولية عمله!؟

- ليس هناك ما هو مستحيل يا زبيبة ..

- ولكن لم أناقش هذا مع نفسي من قبل.. هل فكرت، يا جلالة الملك، بأن تكون منتميا إلى جمع منظم؟

- بل فكرت بان يكون لي جمع منظم تابع للسلطة، يا زبيبة!!

- إن الجمع المنظم الذي يفيد الدولة، يا جلالة الملك هو الجمع الذي يخلق السلطة، وليس الذي تخلقه السلطة.. وأن ينتمي إليه الملك لا أن يكون مجرد تابع للملك!؟ وعندها يمكن أن تكلف الجمع المنظم الذي هو على وصفي ، بان يتولى

قيادة الشعب قيادة مباشرة ، وأن يتولى إصلاح ما يقدر على إصلاحه، في الوقت الذي تتكفل أنت بالحكم وفق تسلسله، أنت ومن يعاونك ..

- لكننا الآن واقعيا بلا جمع منظم، يا زبيبة، وأنا ومن يعاونني نقود السلطة.. وهذا يعني أن السلطة لم يخلقها جمع منظم، بل إن الحكم سبق فكرة وجود جمع منظم، مع أنني اقر بأننا بحاجة إلى عصبة مؤمنة بعقيدة تسمونها جمعا منظما، وطالما تفضلون هذه التسمية فليكن ..

- إن السلطة التلقائية يمكنها أن تخلق الجمع المنظم الذي تريده.. ولكن هل تريد جمعا منظما يكون محض شكل أو أحد الأغطية في الحكومة، بما يزين طريقة الحكم شكليا؟أم تريد جمعا منظما يبني المجتمع ويقوم الانحراف؟

- بل أريد الصنف الأخير، يا زبيبة.. ولكن عليك أن تقولي ما يعد واقعيا، وليس خياليا .

- هل تقصد بالواقعية، يا جلالة الملك، أن نتلاءم وننسجم مع الواقع مثلما هو فحسب، أم أن نغيره تغييرا عميقا، مع ما يسبق التغيير من وصف للواقع ، وطبيعة القوى والوسائل ، وتأثير كل منها بقدر وزنة! ؟
- بل اقصد المفهوم الأخير يا زبيبة.. مع أن تشكيل جمع منظم يقوم بمهمة تغيير المجتمع تغييرا عميقا إلى أعلا وأمام ليس من مهمات السلطة، وانما من مهمات المناضلين والثوار، وعند ذاك تكون السلطة وليدته ، وليس هو وليدها، وتكون أهدافها أهداف الأمة، ويكون الممكن هدفا نضاليا، وليس رشح الملموس مثلما هو فحسب.

- أقول ,ليس مستحيلا أن يشكل جمع منظم حتى في ظل السلطة.. ويمكن أن تكون له بعض سمات الجمع بصفاته وتطلعه الأصيلين، وليس كلها، وبما يغير جانبا من حياة الناس نحو الأفضل وليس كلها..

- وكيف يا زبيبة؟

- عندما يشكل جمع منظم وأنت جزء منة ، اجعله جزء من الشعب، ولا تعتمد في انتمائه على أصحاب النفوذ الطارئ، والعناوين الكبيرة والملكية الباذخة، وإنما

على الناس العاديين .. واجعل قاعدته الأساس من الناس الأقل ملكية في المجتمع، ولن تتمكن من هذا إذا لم تكن جزءا من الشعب ..

- كيف أكون جزءا من الشعب ، وأنا واقعيا ملك الشعب، والشعب رعيتي، يا زبيبة؟

- أن تكون في روحك، وضميرك، وتصرفك، وتفكيرك جزء من الشعب، وان تنشئ للشعب والجمع المنظم أهدافا كبيرة، بما يناسب بلدنا ودورنا في الحياة ورسالة الإنسان فيها، وان تقود الشعب والجمع المنظم لبلوغها بنزاهة وأمانة ، وان ترفض المساومة على المبادئ وتدعوا لكل ما هو شريف في التصور والتصرف، وان تلزم نفسك بعمل ما تدعوا إليه الشعب والجمع المنظم ، وان تكون صادقا وعادلاً عند خط البداية وعلى طول الخط ..

- ولكن، أليس هذا صعب يا زبيبة ؟

- نعم يا جلالة الملك ولأنه صعب سيثبت ما تقطعه فيه من شوط ولن تهزه الرياح لتغير حاله كما هي الانجازات والأعمال السهلة فما يأتي سهلا لن يكون الحرص عليه كبيرا ويذهب خارج ميدانه سهل بفعل الآخر..

- نعم هذا صحيح وأنا أريد أن نستمر بالحوار حتى نهتدي إلى ما هو أفضل ولكن فيما بعد يا زبيبة.

- مثلما ترى يا جلالة الملك..

- ولكن قبل أن نغلق باب الحوار في هذا أخشى أن يحصل تناقض بين رجال الجمع المنظم ورجال السلطة وربما زاحم رجال الجمع المنظم رجال السلطة على امتيازاتهم بما في ذالك جانبها الشكلي أكثر مما ينشغلون في المباراة على ما هو مفيد للشعب والدولة ..

- قد يحصل هذا يا جلالة الملك إذا بقى الحال على ما هو عليه أي مجرد أن يضاف إلى مؤسسات الدولة عنوان جديد جمع منظم.. أما إذا سارت الأمور وفق ما أوضحناه قبل قليل على أساس أن تنشئ للجمع النظم مهمات نضالية في ضوء

الأهداف الكبيرة التي تخدم الشعب عندما يدخل الجمع المنظم معترك الحياة مع هامش جدي للمخاطرة والتضحية فإنه سيكتسب استحقاق ودور القيادة في المجتمع بما يرضي المجتمع من غير قسر وستنظم الأدوار الكبيرة على أساس أن لكل واجباته بحيث لا يكون ثمة تعارض أو تنافس غير مشروع بين رجال الجمع المنظم أو رجال الحكم.. مع أنني اقر بان الفصل المطلق في هذين الوصفين غير ممكن من الناحية العملية على طول الخط وعلى كل المستويات وفي كل الظروف. كان الممر الذي يسلكانه في القصر طويل ومعتم بعض الشيء ذلك لان الشموع التي وضعت على الجانبين لم تكن تكفي إلا ليتبينا طريقهما إلى حيث جناح الملك.

قالت زبيبة:

ألا ترى أن هذا الممر، بل والقصر كله ، يبدوا موحشا، يا جلالة الملك؟

- قد يكون ذلك ، لان الممر وبعض فضاءات القصر ليس فيها نوافذ إلى الخارج .. أو ربما لأنك تدخلين قصرا أول مرة ، فكيف، إذا كان قصر الملك!؟ قال ذلك وابتسم..

- أما إني ادخل قصر ملك أول مرة فنعم ، واحمد إلهنا أن وفر لي فرصة لقائك وحنانك وعطفك ، يا جلالة الملك ولكنها ليست المرة الأولى التي ادخل فيها قصرا.. لقد دخلت قصر صاحب المزرعة الذي طردته ، وهو مثلما تعرف مشابه لقصرك تقريبا، بل وإنهم قالوا أنه مثله وحاول أن يتزوج من محظيات والدك الصغيرات بعد وفاته ذلك أن صاحب المزرعة حرص على أن يتشبه بالملك ، فتصور أنه يملك العرش إذا ملك قصرا كقصر الملك وملك زوجات هن من بين محظيات ملك سابق .. قالت ذلك ، وضحكت بصوت مسموع ،.. ثم استدارت إلى الملك بانحناءة ، قائلة:

- عفوك يا جلالة الملك ، هذا ليس أنا ، نفسي إنما نفسي التي ضحكت على عقل هذا الطراز من الناس أصحاب العقد والعقول والنفوس الصغيرة..

- كيف لا تكونين أنت التي ضحكت ، وانما نفسك؟

- نعم يا جلالة الملك، لو خيرتني بين تصرفين لاخترت أن لا اضحك في حضور

مقامك ولكن نفسي التي لم تعتد بعد على تهذيب القصور ، هي التي فلتت خارج سياجها فضحكت ..

- أحسنت ، يا زبيبة، ولكن لماذا تجبرين نفسك على غير طبيعتها يا زبيبة؟

أفضل أن تتركي لنفسك الحرية لتكون على طبيعتها.

- أيحب ملك الحرية لإنسان بسيط مثلي ؟ قالتها وكأن نفسها قالت ذلك ، وليس هي..

ضحك الملك .. أردفت، وهي لا تزال في نشوة شعور خاص اجتاحها:

- أنا ملك بلادي العظيمة ، أحب الحرية لشعبي ، أحب أن امزح أحيانا مع أي إنسان لا يحمل عنوانا عاليا عن نفسي أيضاً حتى وان لم أكن أريد هذا دائما.

قالت زبيبة :

- نعم يا جلالة الملك ، إن التبسيط مع الناس من أصحاب العناوين العالية يقرب العناوين إلى معانيها الإنسانية ، ولكن مع صنائعهم قد يشجعهم على التمرد عليهم

أردفت:

- على أي حال .. إذا كان هذا هو فعلا ما تريد، يا جلالة الملك ,فلماذا تحصر نفسك في قصر؟

- وهل أنا محصور يا زبيبة ؟ إن الحرس الذين رايتهم ليسوا حرس حصار علي.. وإنما حرس حماية ، مع ما هو مضاف لهيبة الملك.

- إنهم يحاصرونك.. أولئك الحرس، والأبواب المتعددة المغلقة وهذا الممر الموحش والقصر الذي لم أتبين فيه حتى الآن حركة حياة إلا في روحك المتطلعة

في جوهرها يا جلالة الملك .. .كل هذا يحاصرك، من غير قصد من الحرس والخدم الذين ينفذون علية الحصار فعلا ومن غير قرار من جهة محددة بصورة مباشرة ولكنك محاصر بل مسجون يا جلالة الملك.. كيف تحب الحرية وتبني قصورا بلا نوافذ كافيه لاستقبال النور الهواء؟ كيف تحب كل شيء طبيعي وتدعوني لأتصرف على طبيعتي ولا تتعامل مع الطبيعة بصورة مباشرة أو تراها من خلال النوافذ على الأقل؟

- هوني عليك . يا زبيبة سأشرح لك.. أما أن النوافذ في القصر قليلة ، فهذا من دواعي امن القصر إذ كلما كثرت النوافذ في القصر صعبت حراسته وتأمين حمايته

- ولكن هذا يجعل القصر موحشا يا جلالة الملك... أليس الشعور بالوحشة عدوا لدودا لمن يحكم ؟ وما الذي يبدد الوحشة غير الخروج منها ؟ اخرج من وحشة القصور يا جلالة الملك ودع نفسك تتصرف وفق ما هو طبيعي فيها... اخرج إلى الطبيعة والناس ... فليس ما هو أفضل منهما ليبدد الخوف من نفسك ..

- لقد كنت هكذا أو قريبا مما تقولين يا زبيبة... عندما دخلت القصر أول مرة ولكنني وجدت أن من في القصر استغربوا من سلوكي ذاك بل وعابوني عليه ربما اعتبر بعضهم الخروج على تقاليد القصور ينطوي عليه شيء من خفة أو عدم معرفة باللياقة حتى اضطررت لأن اعتاد على ما إنا عليه .... أليس الاعتياد ممكنا لمن يعيش في هذا القصر منذ سبع سنوات؟

- بلى يا جلالة الملك _ أجابت زبيبة _ يكون الاعتياد ممكنا لمن لا يرفض العادة وأسبابها إذا كانت غير صحيحة أو غير مشروعة ولذلك لابد لكل إنسان أن يمعن النظر دوما ليرى ما إذا كانت مشروعة أم غير مشروعة وها أنت اعتدت لأنك لم ترفضها وتضحي من اجل موقفك لتثبته أما أنا فلم اعتد على هذا بعد ولأنني لا أريد أن اعتاد فأغلب الظن أنني لن اعتاد .. ذلك لأنني أرفض الأسباب التي تقودني إلى الأعياد على هذا وبخاصة عندما يكون البديل ممكنا...

- وما هو البديل يا زبيبة؟

- أن تخرج من هذا القصر لتكون بين الناس ، تعيش قريبا منهم ومن وسائلهم .. أترى يا جلالة الملك سمك جدران قصرك العامرة بك إنها سميكة وبلا نوافذ إلى

الحد الذي لا تدعك تسمع وترى ما هو خارج قصرك بل إن فضاءات القصر مصممة لكي لا ترى حتى من هم داخل القصر ..

- وفق مقتضيات الحاجة للحكم والحماية ، يا زبيبة يستخدم أي شيء ليحقق غرضه أو أغراضه .

- إن كل ما أراه وحتى جانبا كبيرا مما اسمعه منك الآن يا جلالة الملك يشكل عبئا عليك وليس وسيلة تحريك وتحقق أغراض الملك بوسائل مريحة لنفس الملك ومريحة لنفس الشعب إن قصرك على ما هو علية مفخرة للشياطين يا جلالة الملك!!

ذلك لان الشياطين تفرخ في القصور المهجورة وبما أن قصرك هذا موحش وجدرانه سميكة وليس فيه نوافذ كافية و مظلم وهوائه في الداخل فاسد والحركة فيه محددة على وفق إيقاع لا يتغير فإنه يصلح بصفات مهيأة على صورة ما يريد الشيطان ليجعله مكانا يتكاثر فيه مسرحا لهواه.

ومع الشيطان تكثر المؤامرات وتفرخ حسدا ورغبة في الملك وطمعا في السلطان ... ومثلما لا تجعل جدران قصرك تسمع ما هو خارجة ولا ترى النور وتتعامل مع الهواء الطلق في الخارج فإنها تمنع صوتك عندما يهاجمك متآمرون من أن يظهر في الخارج وتقطع عليك الطريق والنجدة وتمنع عنك المناورة بالقتال عندما تهاجم كما أن زواياه المظلمة تساعد في إخفاء كل الخناجر المبيتة بنية سوء وكل السهام التي تتربص بك يا جلالة الملك .

- نعم يا زبيبة .. كلامك هذا حق وعدل ولكن هل تريدين مني أن أتنازل عن الملك وأكون خارج القصر مثلما عشت حياة الإهمال من والدي رحمة الله بمؤامرة من إخوتي وأبناء الجواري !؟

عند هذه اللحظة وصلا إلى مخدع الملك... وبعد حين من الحديث في شأنيهما فحسب . عادت زبيبة لتقول للملك:

عفوك يا جلالة الملك ، أتمانع في أن نعود إلى كلامنا؟

- لا...لا .... تفضلي وقولي ما تريدين قولة ، يا زبيبة.

- سألتني باستغراب عما قصدته عندما قلت رأيي بان تكون خارج القصر مثلما كنت في الأيام التي عشت فيها حياة الإهمال من والدك الملك السابق ، وقلت إن ذلك قد تم بمؤامرة من إخوتك أبناء الجواري.. وقبل إن أجيبك يا جلالة الملك أذنت لي بأن اسمع منك قصتك هذه وكأنك أردت أن تقول انك كنت تعيش خارج القصر مهملا ، وليس داخل القصر مثلما كان يعيش إخوتك وأمراء آخرون ... أليس هذا ما سمعته؟

- نعم يا زبيبة ...

- إذن ، أرجوك لو سمحت بتطفلي أن اسمع منك قصتك قبل أن أجيب عن تساؤلك..

- عفوك يا جلالة الملك فانا لا امتنع عن الإجابة أو تنفيذ رغبات سيدي... ولكنني التمس منك ذلك لأنك عندما تحقق رغبتي المشروعة تعطيني فرصة التمتع بنفسي والتصرف بها بحرية وتشحن نفسي وعقلي بما يمنحها قدرة إبداع في الإجابة وهذا ما التمسه منك ... أعطني قدرا من شعور التكافؤ حتى لو بمعناه الإنساني العام وأعطيك ما يريحك ومن غير هذا الشعور يا جلالة الملك لن أكون في وضع يريح نفسي ولن أكون قادرة على أن أكون مفيدة جديا لك ولنفسي حتى في ما هو شخصي أو خاص وحتى إذا قمت بدور تمثيلي فحسب.

- عليك إن تنصرفي إلي اهلك الآن لأنصرف إنا إلى عملي وسأشرح لك هذا في وقت ويوم آخر يا زبيبة .

قالت زبيبة:

- أمرك . يا جلالة الملك .. متى تأمر بأن أعود إليك؟

قال الملك:

- لا أمرك. يا زبيبة . بل أرى

- وهل رؤية الملك غير أمر ، يا جلالة الملك!؟

- إذن فأنا اقترح ، إذا كان هذا التعبير يريحك ، يا زبيبة!؟

إنني ارتاح حتى لو جاءت الصلة بأمر الملك ، إذ أن المهم هو الجوهر وليس الشكل، وطالما عرفت جوهرك في التعامل معي فلن اهتم بالشكل، .... متى تريدني أن احضر ، يا جلالة الملك ؟ اليوم الاثنين، هل الجمعة مناسب !؟ ولكن عفوك يا جلالة الملك ، إن يوم الجمعة يوم نعبد فيه إلهنا، ونصلي له وفق شعائر خاصة.
- إذن ليكن السبت إذا كان السبت مناسباً لك يا زبيبة.

- نعم يا جلالة الملك وأشكرك على هذا مرتين ، مرة لأنك تتواصل معي ، ولا تنقطع عني في رغبة اللقاء ، ومرة أخرى لأنك احترمت مشاعري الدينية ، السبت مناسب ...

وحيت الملك وانصرفت .

عندما خرجت وجدت بانتظارها ، أمام الباب الخارجي حوذيا وفرسا بلقاء بانتظارها .

قال الحوذي:

- إنها هدية الملك لك سيدتي ..

- ولكن من أين آتي بالعلف لها ؟ ومن يدبر أمر رعايتها ؟

حدثت ذلك لنفسها .. وقبل أن تسترسل جاءها المرافق ليدس كيسا من الذهب في (خرج) الفرس... وعندما قالت زبيبة :

- كل مثالب الملوك ، فإنهم يعرفون هذه الأمور ولكن الشعب لا يعرفها....
ومع أنها تحدثت بتلك الكلمات مع نفسها فقد جفلت وأحست كأن ضميرها يؤنبها ... ثم أردفت :

- أليس الجود جزءً من الموجود بالنسبة للملوك ... وفي عرفهم؟ والجود بأحسن الموجود هو عرف الشعب؟... يذبح ابن الشعب ثور الحراسة، وهو مصدر عيشه للملك لو زاره في حقله وهو يقدم وجبة الغذاء التي يعدها لعياله إلى عابر طريق يضيفه ويحرم عياله منها من غير بديل يسدون به رمقهم حتى الوجبة التالية ،
ولكن ماذا ينقص من خزائن الملوك عندما يعطون الجزء اليسير ؟
أليس ابن الشعب أكثر كرما من الملك ؟
ركبت فرسها وانصرفت إلى بيتها......

عادت زبيبة إلى قصر الملك في موعدها المحدد ..

وبينما كانت تتنقل في أروقة قصر الملك القريبة من حيث يلتقيان ، لاحظت أن وصيفات الملكة تجمعن في مدخل الأروقة التي تُفضي إلى الرواق الرئيسي ، وهن يتهامسن ويتضاحكن ولكن كلما اقتربت منهن حيينها بأدب مع شيء من المودة ، كن يحاولن أن لا يظهرنها مثلما يتمنين وقد لاحظت زبيبة ذلك في عيونهن ، وهل يخطئ اللماح وصاحب الخبرة الاتجاه العام للغة العيون فيما يخص البغض أو المحبة على الأقل ...

فجأة ظهرت بين الأروقة امرأة يحوي ما تلبسه جانبا من الوقار لكن مشيتها وطريقة تصرفها مع الخدم والوصيفات لا تجعلها محترمة ووقورة في تصرفها ... كانت طويلة القامة تظهر مسميات جسمها توازنا مدهشا ... رشيقة بعض الشيء ولكن عضامها ليست عارية من لحم أنثوي طري وفاتر النزعة بالنسبة للرجال ، كل ما فيها جميل ولكن زبيبة لم تستطع بعد أن تتعرف على روحها... قلبها.... خواصها المسئولة عنها... إن صورة شكلها وجانبا من تفاصيل جسمها لم تكن مسئولة عنها وانما خلقت مع ما فطرت علية أول مرة... ولكن الصفات الأخرى . الأخلاق ، والذوق، واللياقة، والأدب، والثقافة، والمعرفة، وما إلى ذلك يكون المرء مسئولا عنه حضوره أو غيابة مع هذا أو ذاك من مستوى الحضور أو الغياب ودرجتهما وعلى هذا الأساس توضع درجة النجاح والإخفاق في النتيجة النهائية بما في ذلك العلاقة الزوجية ، واتجاهات العشرة ونتائجها في الحب وعلى أساسها تعيش العلاقة الزوجية وفق وصف ما يتمنى الزوج أو الزوجة وفي الحب

أيضاً بكل أنواعه ومراحله فمنها ما يعيش وفق أوصافه في جزء من مراحل الخطبة ومنها ما ينتهي بعد ليلة الزفاف ، ومنها ما ينتهي بعد أول حمل للمرأة ، وكل هذا أساس فهم الرجل للمرأة لأي معنى سجل أرجحية في قرارات عندما أحب أو اقترن بحب أو من غير حب...
وكيف يفهم التوازن بين الشكل والروح وهل تأسست أرجحية قرارة على الشكل فحسب أم أن الجوانب الاعتبارية والروحية سجلت أرجحية واضحة ..!؟
من غير أن تلقي تحية المساء على زبيبة أو تنتظر أن تحييها زبيبة قالت بنزق واضح وإن حاولت أن تخفيه بشيء من التصنع لإخفاء هوية شخصيتها..

- أأنت زبيبة؟

أجابت زبيبة:
- مساء الخير سيدتي..
ومن غير أن تنتظر جواب الملكة لتحيتها .. أردفت قولها بثقة بالنفس واضحة ولكن من غير غرور أو تصرف مستفز.
- نعم انأ زبيبة بنت الشعب وأنا صاحبة الحظ العظيم في محبة سيدي الملك

قالت الملكة أتعرفينني؟..

أجابت زبيبة:
- عفوك سيدتي ارجوا أن لا يزعجك قولي بأنني ربما استطيع أن أخمن وقد يخطى التخمين أو يصيب ولكنني لا استطيع أن اجزم بالقول إنني أعرفك.. لأنه لم يكن لي شرف التعرف عليك من قبل.

- الم يلفت انتباهك مظهري ليدل علي؟

- عفوك سيدتي ، المظهر ليس دليل على الجوهر دائما .. وفي كل الأحوال ليس هو كل جوهر الإنسان ولذلك سألتني هل أنت زبيبة؟ عندما التقيتني قبل قليل... ولو كان المظهر وحدة يكفيك لتهتدي إلى هوية شخصيتي لاكتفيت بذلك من غير أن تسأليني .. وان أقول لك : إنا زبيبة . بنت الشعب وصاحبة الحظ الكبير عند سيدي جلالة الملك

- كونك بنت الشعب فهذا بائن عليك..
وأرادت بذلك أن تغمز مظهرها الذي لم يكن مظهر أميرات ولا ملكات.
- أما كونك محظية الملك فليس بائن عليك.

أجابت زبيبة:
- كوني بنت الشعب فهي صفة أتحدى فيها المظهر بالجوهر حتى صار وصفي بائنا ومنطبقا علي وهو الأساس الذي اعتز به ذلك أن من يهجر منشأة وأصلة ويخجل منة غير أصيل.
أما كوني صاحبة الحظ الكبير في محبة الملك دون أن يظهر علي فهو الآخر اعتز به ومعنى هذا أن التقاليد والمظاهر التي لا يحبها الشعب ولا يحترمها داخل القصر لم تستطع أن تجذبني فحافظت على جوهري ومظهري بما يمكنني باتحادهما الأصيل من أن أؤثر لصالح مفاهيم وتقاليد ومعاني الشعب لا أن أضاف رقما جديدا إلى المكبلين بالأغلال الثقيلة للقصر.

- أتسمين من هم داخل القصر مكبلين، يا بنت الشعب؟.. كأنها تصورت أنها شتمت زبيبة عند تذكيرها بهذه الصفة .

قالت زبيبة:
- لا يا سيدتي ليسوا كلهم وانما قسم منهم لان لا احد يكبلهم بالأغلال وانما كبلوا أنفسهم بأنفسهم بإرادة الاعتياد على ما هو خطاء ولذلك من أراد لنفسه أن تكبل فقد كبلت ومن لم يرد هذا فقد بقي حرا رغم انه داخل القصر ... أليست الحرية شعورا وموقفا يا سيدتي؟..
عندما قالت زبيبة ذلك لاحظت أن كثيراً من الخدم والوصيفات الذين كانوا ينصتون للحديث هموا بالتصفيق لولا أن تذكروا أنهم في القصر وان من تقف أمامهم هي الملكة.
لاحظت الملكة ذلك أيضاً فصاحت بصوت عالٍ:

- كفى عنا فلسفتك وتكلمي بلغتنا..!!

قالت زبيبة:
- عفوك يا جلالة الملكة، انأ لم أتعلم لغتكم بعد.. كوني بنت الشعب مثلما قلتِ ، وقلتْ فلا يبدوا أن هناك أملا لأرتقي بتعلم لغتكم .
غمزتها بلغة تقبل أكثر من تفسير وفق ما اعتاد عليه أهل بلادنا ومنهم من الساكنون من الضفة الغربية من نهر الفرات وسط بلادنا بوجه خاص..
عند ذلك صاحت الملكة بصوت ينطوي على حنق واضح موجهة الكلام إلى الوصيفات والخدم و موظفي القصر الذين تجمعوا ليستمعوا إلى الحوار بين الملكة و زبـيـبـة...

لماذا تتكدسون حولنا؟! انصرفوا... لينصرف كل إلى عمله.. واتركونا وحدنا... اتركوني أنا و زبيبة فحسب...

قالت كبيرة الوصيفات مستفهمة:

- حتى نحن يا سيدتي؟

- نعم حتى أنتن..
وكذا استفسر المرافق فأجابته نفس الإجابة وعندما لم يبق إلا الملكة و زبيبة ، ومن يحاول أن يسترق السمع من خلف الأبواب قي الوقت الذي كانتا تتمشيان جيئة وذهابا وهما تتحاوران في ممر القصر الرئيس .
قالت الملكة لزبيبة.
- لماذا؟ وكيف احتجزت الملك لنفسك فحسب . وأبعدته عنا يا زبيبة؟!

قالت زبيبة:
- عفوك يا سيدتي ، إن الملك حر طليق ولم يحتجز!!

- اقصد انك استأثرتِ به وحدك على حسابنا..

- ولا هذا أيضاً يا سيدتي ... معاذ الله أن استأثر بالملك وهو قائد الشعب وملكه

- الأهم أنه الملك... قالت الملكة.. ويجب أن يبقى اهتمامه الأساس بنا بل جل اهتمامه بي وحدي ومن بعدي ربما آخرين.

عندها قالت زبيبة للملكة:
- بهذا يكمن أساس سر فقدانك الملك يا سيدتي.

- ماذا تقصدين بهذا !؟ قالت الملكة.

أجابت زبيبة
- إن الأثرة مع الرغبة الجموح القائمة على نظرة المصلحة فحسب تؤدي إلى التصرف إزاء الناس وكأنهم أشياء وليسوا آدميين..
يفكرون ، ويشعرون، ويتأثرون بما هو سلبي أو ايجابي ويختارون ما هو أفضل .

- بماذا أنت أفضل منا يا بنت الشعب؟

- عفوك سيدتي ... إنا لم أضع نفسي إمامك أو إمام غيرك من زوجات الملك وجواريه في حال المقارنة وانما التقينا: أنا وهو والتقت منسجمة آراؤنا ومشاعرنا وكان الذي تعرفين.

- هل يمكن أن ينسى الملك كل تلك العشرة الطويلة ويستهويه من أول لقاء أن يكون لك ويتركنا؟.

- لا يا سيدتي ليس من أول لقاء ولا من أول نظرة وإنما ضمن الزمن والحال الذي احتاجت إليه مشاعرنا لتنسجم وينتج عن تفاعلها ما نحن فيه.

- قولي يا زبيبة بربك بماذا تتميزين عنا!؟.

- عفوك جلالة الملكة إنا لا استطيع ولا أرغب في أن أضع نفسي ضمن حالة مقارنة لأن من يتحدث عن نفسه قد يكون أقرب إلى الضلالة منه إلى الهداية وإلى هاوية منه إلى نجد .

اقتربت الملكة من زبيبة وكادت تلتصق بها وقالت:
- انظري هل أنت أطول مني؟ هل عيناك، خصرك، سيقانك، رقبتك، لونك وووووو أجمل مما في؟
نفرت الملكة من زبيبة وعلى مسافة أمتار منها استدارت لتقول:
لابد أن يكون الشعب قد فرخ داخل نفس الملك فجعله يمل جمال الملكة وبنات الملوك والذوات ومن الجواري اللواتي اهدين إليه من كبار الملوك والأمراء والتجار ومن خارج وداخل بلدة وأصبح يفضل عليهن واحدة من العامة.

عندما تلقت زبيبة ما غمزتها به الملكة غضبت ولكنها تمالكت نفسها وهي تقول لترد لها الصاع صاعين:

- ربما كان الملك قد مل ما اعتاد عليه ولم يعد يستهويه ليديم العلاقة معه!! وفي كل الأحوال إن عدم معرفتك بالعام والعامة هو ما كان الملك يفتقده فيك وفي غيرك ذلك لان من لا يعرف العام والعامة من الناس والحياة وقوانينها لا يعرف كيف يتصرف بالنعمة ولا بالسلطة ولا بالجاه بل ولا إزاء زوجه وأصدقائه وحتى من يقومون له بالخدمة أو يحملون بيارق مملكته..

لقد فقدت الصلة بالناس ولم تتعلمي شروط الحياة التي يكسب بها الرجال والناس بحسن التصرف وسط فكر حي و موقف عادل يسندهما تفاعل في الحوار وليس حسن الخلقة فحسب بل إن نعمة الله عليك لحسن الخلقة لم تجعلك تشكرين الله عليها بحسن التفكير والتصرف وبذلك أساتي التصرف حتى بجمالك ولأن الرجل قد يغريه وبخاصة في المرحلة المبكرة من عمرة حسن الخلقة ولا يدعه يدقق في حسن التفكير وحسن التصرف وسلامة الذوق فإنه بعد يوم الزفاف يبدأ بالتفتيش عن الخواص الأخرى الأكثر ديمومة وتأثيراً وبقاءً عندما لا يجدها في زوجته يفتش عنها في زاوية وشخوص أخرى.
اسألي يا سيدتي جلالة الملك عما أغراه بي فهو اقدر مني على جوابك ولكن لو

سألتني ماذا جعلني اقبل الاقتراب من الملك؟ وماذا أعرف عن صفاته وخواصه؟ أجبتك بما اعرف أو استطيع أن أخمن.

امتعضت الملكة وأجابت بنزق.
- إن الملك ليس غريبا عليه فأنا أعرفه جملة وتفصيلا بعد كل هذا الزمان والعشرة

- عفوك سيدتي أرجو أن لا يزعجك حواري إذا ما قلت لك انك لا تعرفين عن الملك غير المظهر الذي يعرفه آخرون ذلك لأنك لن تجدي نفسك بل لعلك لم تتدربي على مهمة أن تتعرفي على الخاص غير المعروف الآخرين في عقله ونفسه وبسبب ذلك أخفقت في أن تعرفيه كما يجب أو حتى وفق ما ينبغي وعندما أخفقتي في هذا أخفقتي في معرفة كيف تتقربين منه لتؤثري فيه.

قالت الملكة كأنها أرادت أن تستهزئ بزبيبة:
- وهل هناك ما هو أقرب إليه من أن أكون معه على سرير واحد؟
وأعقبت قولها هذا بقهقهة مسموعة اشترك معها فيها عدد كبير من الوصيفات وموظفات القصر والخدم من خلف الأبواب وبعضهم فتح الأبواب قليلا ليعلن أنه يشارك الملكة في ضحكتها وقهقهتها.
أليس ما يسر الملوك هو المظهر؟ يبدو أن الملكة لا يهمها على من يضحكون هل يضحكون عليها وعلى عقلها؟ أم يضحكون على ز ب يـ ب ة !؟ إنما يهمها أن يفعلوا مثلما تفعل وان ما يؤكد أنهم كانوا يضحكون على ضآلة عقلها هو أنهم جميعا شاركوا ز ب يـ ب ة في ضحكتها على الملكة مع أن زبيبة لم تضحك وإنما أجابت الملكة بالقول:
- لا يا سيدتي إن نومك في سرير الملك ليس هو الأقرب إليه بل أن تكوني داخل قلبه في صميم نفسه وها أنا ذا داخل قلبه وفي صميم نفسه الآن وأنت خارجهما مع أنني لست معه في السرير بل وأجزم أنني احتل هذه المكانة فيه عندما تكونين معه في السرير ولهذا اختصني وابتعد عنك .
ضحكت ز ب يـ ب ة وفتحت كل الأبواب المطلة على الباحة التي كانت فيها هي والملكة وارتفعت أصوات القهقهة من طابقي القصر.

صاحت الملكة بصوت عالي وبحنق شديد
- توقفوا أخزاكم إلهنا وأخزى زبيبة معكم!!

قالت زبيبة بهدوء:
- بل أعزنا الواحد الأحد وأعز من كل لا ينزع الشيطان قلبه ليبعده عن طريق العز واخزي كل أحمق وجبار عنيد.

واستدارت لتترك الملكة في مكانها من غير استئذان لتأخذ طريقها إلى حيث كانت تنوي.

جلبت الضوضاء وأصوات الضحك انتباه مرافق الملك الذي كان في غرفة قريبة.. فخرج واخذ بيد زبيبة إلى حيث كان الملك في مخدعه ... وكما هي العادة طرق الباب ودخل وأدى التحية للملك. وانصرف... وبقيت زبيبة مع الملك..
بعد زمن من وجودها معه راحت زبيبة تُذكر الملك بوعده أن يحكي لها قصته .
قالت بأدب جم:
- إن لم يضايق تطفلي جلالة الملك.. أرجو أن اسمع منك قصتك التي وعدتني بها ..ألا يسعى من يحب ليعرف أي شيء عن حبيبة؟
وأنت ملكي و حبيبي. لذلك اعذرني إذا ما وجدت أني ملحاحة في هذا وشفيعي مليكي ونيتي فحسب.!

قال الملك:
- لا عليك. يا زبيبة سأحكيها لك.

وبدأ الملك سرد قصته:
- حصل هذا منذ وقت طويل .. تزوج والدي أمي في بداية شبابه وهي بنت احد أعمامه وبنت بلدنا هذا وقد وضعتني بعد معاناة كبيرة أثناء الولادة وفرح بي والدي الملك رحمة الله كثيرا ... هكذا قالت والدتي وصار مطمئنا إلى أن عرش الملك من بعده .. سيكون في يد ولد ذكر ... قادر على أن يحمي العرش أكثر ... وكانت والدتي الملكة ذات مكانة خاصة في علاقتها مع والدي ؛ ودورها في المملكة ؛ وكانت عندما ينشغل والدي بعيداً عن مركز الملك؛ تتولى هي بنفسها جانبا من شؤون المملكة؛ وفق ما يسمح به والدي. وما تبادر به من غير أن يعترض عليها في ذلك. ولكن والدتي لم تعد تتجنب بعد ذلك. مما اقلق والدي مرة أخرى على ملكة .. ماذا يفعل؟ وكيف يتصرف إذا أصابني مكروه؟ وقرر أن يتزوج من الجواري اللائي كسبهن في الحروب والغزو... أو هكذا أشارت عليه والدتي. عندما لمست أن رغبة الزواج أكيدة في نفسه. وأنه مصمم علية وكانت والدتي تعتقد أن وضع أولئك الزوجات غير متكافئ معها ... فهي الملكة وهن محظيات جاريات أو (أمهات ولد) .. وقيل لي إن والدتي اختارت بنفسها الأولى..

- هل صرن أكثر من واحدة ؛ يا جلالة الملك؟..

- نعم؛ يا زبيبة كثيرات أجاب الملك إصبري لتعرفي... اختارت أمي لوالدي زوجته الأولى ما عداها ولم تكن على أي جانب جدي من الجمال بينما كانت والدتي

متوسطة الجمال و مع صفة الملكة ... كانت تعد جميلة .. وهل تختار المرأة رديفة لها أو منافسة إلا بصفات اقل من صفاتها في الشكل ؟
تزوج والدي تلك الجارية على مضض مجاملة منه لوالدتي لكي لا تشعر بالغيرة منها فيتعكر عليها الحال السعيد الذي كانا يعيشان ولكن فاتها أو ربما لم تكن تعرف أن الشكل ليس دائما هو الحال الحاسم في علاقة الرجل بالمرأة ... لقد فاتها ذلك أو ما كان بإمكانها أن تعرف ، تزوج والدي الجارية ورزق ولد منها... ثم ولد ثان وثالث ومع أن والدي قد حقق ما كان يريده أو بقولة أنه يبحث عن رديف لي لكي لا يكون أمام حال حرجة إذا ما أصابني مكروه ... فقد تزوج باختياره هو مرة أخرى جارية من أفضلهن في الصفات من حيث الجمال والثقافة وحسن التصرف.. ألا يخرج من يتزوج ثانية من قوقعة التأثير النفسي السلبي بالزواج بأكثر من واحدة ؟ أليس من تبتل ثيابه لا يخشى المطر كما يقول المثل عندنا وعلى أساس هذه القاعدة ورغبة في إنجاب الكثير من الأبناء ليكونوا قاعدة عريضة لتاج الملك وسيوفها من حول ولي العهد من حولي أنا أكثر والدي من الزواج و الإنجاب من الجواري ... كنت الوحيد ابن ملكة من بين أبناءه وأخوالي من أعمامي لأن أمي بنت بلدها بلد الملك والملك.. ومع تنامي عمر إخوتي أصبحت أمي غير مرغوب فيها منهن لان وجودها بينهن أو بالأحرى على رأسهن يشعرهن بغصة التفاوت في المكانة والتأثير وان اهتمام الناس بها يقلص فرصة اهتمام الناس بهن على نطاق واسع ولأنهن كلهن متساويات في المكانة ووالدتي تنفرد عنهن كانت والدتي غريبة بينهن في عرفهن كونهن الكثرة ... أليس أصحاب التميز محسودين وأحيانا مكروهين من حسادهم؟ ... والسفوح لا تتباهى دائما بقممها بل قد تشعر بثقلها فيصيبها زلزال يودي بها.
قال الملك ذلك وهو يبتسم لزبيبة ولكن إمارات الحزن بادية علية..
وكان بين الحين والآخر يسحب نفسا عميقا كأنه يستعين بما هو إضافي من الهواء بعد أن يغدو ما يتنفسه غير كاف... كانت زبيبة عندما تسقط من عينه دمعة تتلقاها براحة إحدى يديها أو بأناملها وتمسحها عن خده بوجهها ولكنها لم تشارك البكاء لكي لا يتحول إليها بدلا من أن يعيش مأساة الحال الذي كان يتحدث عنه وكانت تريد أن تسمع منه مثلما هو لتبني عليه بعد ذلك أحكامها ومعالجتها وطريقة تناول ما تعتقد أنه يفيد لتعلمه أو تقوله للملك...
كثرت زوجات الملك وكثرت محظياته من الجواري وكلما مل واحدة انتقل إلى أخرى بحظوة خاصة مع مشاغلة من يشاغلها منهن بتواصل بعينه وكل على أساس استحقاقه من المكانة وتأثيرها في العشرة ... وقد تألبن جميعهن على والدتي . وأصبح والدي تحت تأثير ما يسمع. يقلص نفوذ والدتي ودورها..

- ألا يسمع الملوك أكثر مما يرون ويشعرون ؟ قالت زبيبة مع نفسها . وهي تسمع قصة والد الملك .

استرسل الملك في كلامه ليقول:

- حتى جاء اليوم الذي مرضت والدتي وماتت فيه رحمها الله من غير أن يعرف سبب وفاتها..

- وهل يقهر المرأة ويُميتها غير المرأة؟ حدثت زبيبة نفسها. وأردفت بصوت مسموع:

-إن المرأة عندما تلح تأكل أحشاء الرجل ؛ وعندما تكيد المرأة للمرأة ؛ أو تغلبها على من تحب؛ تحرق أحشائها .. وقد احرقن أحشاء أمك ؛ يا جلالة الملك..
ابتسم الملك بحزن وقال:

- لقد عشت في هكذا وسط ، وكنت أشعر بأن الوسط كله معادِ لي ليس زوجات أبي وجواريه فقط وإنما حتى إخوتي مع أنني بذلت جهدي لأكون في علاقة جيدة معهم... ولكن تميزي على قاعدة وصفي كوني ولي العهد الوحيد بينهم. وكون أمي الوحيدة بينهم من بنات البلد .وبنت عم الملك جعلا حتى إخوتي يغارون مني ففيم كنت أقف وحدي على قاعدة وصف المكانة في الملك والحالة الاجتماعية كانوا يقفون كلهم على قاعدة أخرى ليس فيهم من يتميز على غيره فيها أو على الأقل وهم في عمر الصبيان لا ينظر إلى أي واحد منهم بأنه يستحق أن ينفصل إلى قاعدة متميزة عن هذا العدد الغفير من الإخوة... ولا أنكرك يا زبيبة أنني الآخر لم أشعر برغبة إنسانية صميمة في أن أأتلف مع وسط هذا وصفه...

- إن ذلك مفهوم يا جلالة الملك فهل يتلاءم الطير الغريب مع طيور ليست من جنسه أو وسطه .وخاصة إذا شعر أن مناقيرها تتجه لتنال من لحمة ودمه؟..
قالت زبيبة وهي تمسح بيدها على شعر الملك ووجهة من غير أن تفعل أكثر من ذلك..
ومع أنها كانت ترغب في تقبيله من حين لآخر وبخاصة عندما ترى أن الهم يصعد في نفسه وتتداعى في مخيلته الذكريات المرة بما هو أكثر مرارة وأمض فإنها كانت تمنع نفسها عن ذلك لكي لا تقطع على الملك سلسلة أفكاره وذكرياته عن قصة والدة الملك...

- حتى جاء اليوم الذي تألب علي الجميع ...أمهاتي زوجات أبي وإخوتي ورجال القصر البارزون ولا أعرف لمَ اشترك رجال القصر البارزون في هذا الموقف ولماذا لم تشترك أخواتي في الموقف الذي كان عليه موقف إخوتي بوجه عام..

- واضح لدي من طبيعة الأمور يا جلالة الملك أنكم لا تفضلون توريث العرش للبنات وفق قانونكم وتقدمون الذكور عليهن في كل شيء ... وطالما كان الأمر على هذه الصورة لم تجد البنات ما يستدعي أن يشتركن في روح الضغينة التي

خلقها بالأساس عمى السلطة والسلطان وانتظم خلف عناوينه فيها أصحاب المصالح والنفوذ كل يرضى ربه الذي يقف أمامه في الأمام في محتدم الصراع.

- نعم هذا صحيح يا زبيبة.

عاود الملك كلامه فقال:
- وقبل سن البلوغ طردني والدي من القصر في أحد الأيام ، صحيح أنه لم يقل لي أنك مطرود من القصر أو بالأحرى قصور الملك لكنه قال لي : هيئ نفسك يا ولدي لأن تعيش مع أحد الأعيان من أبناء عمومتنا في مدينة بعيدة عن عاصمة الملك فلملمت حاجياتي وملابسي وانصرفت إلى هناك.. وقد ابكي خروجي خدم القصر من غير دموع لكوني في قلوبهم وجاهدوا أنفسهم لكي يمنعوا دموعهم من أن تنهمر خشية أن تطردهم زوجات والدي بعد ذلك أو أن ينغصن الحياة عليهم...

- أتلاحظ يا جلالة الملك وفاء الشعب؟ لابد انك تعاملهم بحنان ولطف ولذلك تعاطفوا معك واصطفوا بقلوبهم إلى جانبك وأنت تترك القصر بينما أصحاب السلطان ونفوذ السلطة ومصالحها تآمروا عليك...أتعرف لماذا فرح أصحاب النفوذ بخروجك من القصر يا جلالة الملك!؟

قال الملك:
-لا هذا هو سؤالي الأساس لماذا عمل أولئك على طردي من القصر وفرحوا عندما خرجت منه.

- لقد عملوا على طردك من القصر لكي ينفردوا بما يلبي مصالحهم من غير ولي عهد يشكمهم عنها في غياب الملك عن القصر أو يكون عيناً عليهم للملك في كل وقت بعد أن أصبحت في سن اقتربت فيها من القيام بهذا وليرتب كل فريق لأميره ولاية العهد لو حققوا هدف خلعك من ولاية العهد ولكي يكون جميع الأمراء ضعفاء لعدم تسليمهم لرأس مميز بينهم ومن بعد ذلك ينتشر الصراع وإذا ما غزا الصراع قمة السلطة وجد أصحاب الغرض فرصتهم ليحقق كلٌ منهم هدفه وفق ما يُتاح أمامه من فرصة.

- كلامك صحيح يا زبيبة قال الملك.. وهذا هو السبب الأساسي الذي مكنني بعد وفاة والدي من العودة إلى القصر وممارسة دور وسلطات ملك بعد أن وقف رجال الجيش وأبناء البلد خلفي وشكلوا الحزام الواقي لظهري ممن لم تكن مصالحهم تقتضي إبعادي ومعهم وفي مقدمتهم كل أقربائي الذين لم يكن لهم دور في الصراع ولم تتضح لهم مصلحة بينة فيه.. وهكذا هو شان كل من كان في القصر ... فمن كان ضدي حين وجد أن مصالحه اقتضت ذلك حاول أن يتنصل عن موقفه السابق عندما سجلت أول انتصار في حقي في تاج الملك وكان موقف من لم يقف ضدي

في مقدمة من أيدني .

- نعم هكذا هي العلاقة بالسلطة أما علاقة الإنسان بالإنسان على أساس المعاني الإنسانية التي أساسها المحبة أو الحب فلها موقف آخر وسلوك آخر.

- نعم هذا صحيح يا زبيبة ولكنني ملك في الواقع... فكيف يمكن لكِ مثلا أن تحبينني دون أن يتداخل كوني ملكا مع صور موقفك؟

- أنا لا أضع هدفا مصلحياً لحبي يا جلالة الملك وعندما لا أضع هدفا مصلحياً لحبي لك ولا اسعي إلى أي شيء على هذا الأساس فإنني مع الزمن سأتعامل معك كأنني أنا من غير حواجز تمنع حبي من أن ينطلق باتجاهك وستجعلك المعاشرة تتصرف معي عندما تحبني من غير حاجز الملك.

- ربما قال الملك.

قالت زبيبة:
- وربما هذا تعني أن الباب مقفلا بوجه من هو خارج البيت وأن الفرصة قد تكون ممكنة لمن يحاول.

عاود الملك كلامه ليقول : ولكن أخواتي بكين بحرقة كلهن تقريبا ولا أكتمك فقد كانت علاقتي معهن ليس من جانبهن فحسب وإنما من جانبي أيضاً على أفضل ما تكون العلاقة الأخوية الصميمة لذلك بكين بحرقة وحزن وكن يزرنني كلما سنحت لأي منهن فرصة زيارتي من غير أن تعلم أمها أو أي من نساء أبي وعن هذا الطريق ووسائله كنت اسمع أخبار القصر ومن الطبيعي أن أقول إن القصر تحول إلى جحيم بعد رحيلي .. وطعن والدي في السن وكانت المؤامرات لا يطيق تحملها أو التعامل معها أي إنسان خالي الغرض... وانتشر الكيد والمكائد بين نساء أبي تكيد كل منهن للأخرى وتسعى لتكون أمامها وأعلى منها بعد أن تساوين.

- وهكذا هو الحال حتى داخل الشعب حيثما تساوي الجميع في أمر يتطلب قرارا سعى الجميع ليحوزوا الموقع الأمامي الأكثر صلاحية في القرار الذي يسرى على جماعة...
حدثت زبيبة نفسها من غير أن تقاطع الملك.

استرسل الملك ليقول:-

استرسل الملك ليقول.

ولكل منهن يمتد صفها القتالي من الجواري. وبعض موظفي القصر وحتى بعض رجال الجيش وكل على أساس نظرته لما ينبغي وما يجب لمصلحته حالياً ومستقبلا وحتى الطباخين وخدم القصر!؟
- نعم حتى الطباخين يا زبيبة ... ذلك لان الطباخين في قصور الملك مهمون في ترتيب المكائد وحتى مؤامرات الموت... فعندما تكلف إحداهن احد الطباخين من الذين تكرمهم وتميزهم على غيرهم بعمل نوع من الغذاء الذي يفضله الملك لتقول له أنها عملته بيديها هذا اليوم لأنها تعرف أنه يحبه...
وهذا يحصل عندما تكون الليلة أو النهار مرشحا لإحداهن ... يعمد طباخ آخر في لحظة غفلة من الطباخ المعني بإفساد الطعام بأن يدس ملحا زائدا فيه أو ربما يضع جرذا ميتا متفسخا بين اللحم ... أو يبطل سحر صاحبته بسحر مقابل مضاد لإحداهن ...

- حتى الجرذان المتفسخة تستخدم في مكائد الملوك؟

- نعم يا زبيبة تستعمل... وتستعمل الأفاعي في سلال الفاكهة التي تقدم وغالبا ما تعدم من يكتشف والدي أنها وضعت أفعى في سلة الفاكهة التي تقدم له مع أنها قد لا تكون سامة ... متصور أنها مقصودة ضده حتى صار والدي الملك رحمة الله لا يأكل ولا يشرب عند أي منهن و بموجب هذا الحال صار لا يلتقي بأي منهن إلا نادرا ولساعة واحدة أو أكثر بقليل بحيث لا يحتاج في مخبئها إلى أكل أو شرب بل إن والدي اختص بنت من بناته من أم لم تنجب غيرها وماتت بعد أن ولدتها مباشرة لتقدم له الطعام والشراب أو تشرف على ذلك بنفسها كنوع من الاحتراز من المكائد ... وقد سارت الأمور في وضع مريح نسبيا لوالدي حتى جاء اليوم الذي أحبت فيه أختي راوية رجلاً من كبار موظفي القصر كان على صلة بدائرة من دوائر صراع القوى . مستغفلا أختي بأن شاغلها بحبة في وقت قريب من تقديم الطعام لوالدي واستطاع أن يدس السم في الطعام ... ومات والدي... ولكنني رفضت أن تحاكم شقيقتي بتهمة الخيانة وتوليت الإشراف على التحقيق بنفسي بعد أن اخترت من يتولى التحقيق وتحفظت على شقيقتي بغرفة داخل القصر حتى ظهرت الحقيقة كما هي وظهرت براءة أختي ولكن كان ذلك درسا بليغا لنا جميعا بما في ذلك المرأة.....
- الدرس هو: أن المرأة تستطيع أن تغلب الكرام من الرجال بمكرها في التعامل الاجتماعي الخاص ولكن بإمكان اللئام أن يغلبوها.

- ولكن أليس أثمن ما ينبغي هو أن تستفيد من دروس قصتك لنفسك يا جلالة الملك؟؟؟
- بلى ولكن ماذا تقصدين بسؤالك هذا على وجه التحديد!؟

- اقصد أن اسأل : الم تكن كثرة الزوجات والجواري للملك واحدة من أهم الأسباب

التي أوجدت ثغرات في القصر؟...

- نعم يا زبيبة هذا صحيح..

- إذن لماذا لا تقتصد بهذا يا جلالة الملك ؟..
- أنا مقتصد ...ومثلما ترين إنهن قليلات قياسا بأي ملك قبلي !!.

- قليلات بالنسبة لأي ملك قبلك. ولكنهن كثيرات بالنسبة إلى قياساتنا يا جلالة الملك...

- هذا صحيح ولكن قياسات الملك ليست قياساتكم يا زبيبة..

- نعم يا جلالة الملك ولكن كلما تقاربت المفاهيم والقياسات بين الملك والشعب تكونت ألفة من النوع الذي لا غنى عنة لتكون المملكة قوية يعز الملك بها ويصان..

- أتعنين أن لا يكون لي كثير من الأولاد وأخوالهم ليسندوا ظهري أمام المصائب والشدائد والظروف غير المحسوبة..

- ولكن هل بإمكان كل أولئك مهما امتد خيالك وقدرتك عليهم أن يكونوا بنفس عدد الشعب أو نصفه أو ربعة!؟

- لا ولكن ماذا تقصدين بسؤالك هذا يا زبيبة؟

- أقصد أن لا يكون سعيك في تكوين حزام ظهرك بهذا الاتجاه وإنما بكسب الشعب إلى جانبك..

- ومن هو هذا الشعب؟

- من شعبك يا جلالة الملك جند جيشك وليس من المرتزقة أو الأجانب الذين هم من الكثرة في جند جيشك وليس من القلة ..

- قد يكون هذا ممكنا يا زبيبة...
- بل ممكن يا جلالة الملك لو أردت ذلك .

*****

قالت الحكيمة إن ملك زمانه ذاك صار يغار على حبيبته حتى من زوجها ... ولذلك كان غالبا ما يشاكسها بسببه ولكن بحذر فتقول له:

- ماذا افعل ؟ احكم .. وما قرارك العادل.. هو زوجي ضمن شريعتك وأنا ملزمة بأن أعمل أي شيء له ... ولكن ما أتصرف به معه لا يُعبر كله عن رغبتي!!!

وعندما كان الملك يجيبها بأنه يعرف ذلك أو بإمكانه أن يخمن ذلك يتضاحكان ويعتبر الموضوع خلف اهتمامها في تلك اللحظة ولا يشكل موضوعا مهما من شأنه أن يعوق علاقتهما ... وينقص حبهما ...

*****

جاءت ذات يوم إلى قصر الملك وهو من وضع حياته وعمرة كله رهن معاني محبته لها وإن بقيت خفية ... ولاحظت وهو يستقبلها وغالبا ما كان حدسه دقيق ... أنها ليست على طبيعة ما تركها عليه في اليوم السابق.

قال الملك:

منذ فترة من الزمن ليست ببعيدة ألاحظ أنك مهمومة يا زبيبة ومع أنني حاولت أن اقلب الأمور من حولنا وفي علاقتنا لكنني لم أجد أثرا يهديني إلى سبب واضح!!.

- ليس هناك هم ما دمت محل ثقتك يا جلالة الملك.

_ بلى . يا زبيبة ألاحظ انك مهمومة حقا حتى أنني لم اعد أرى شيئا يفرحك ويدخل المسرة إلى نفسك ... أي شيء وكل شيء ... بل حتى في علاقتنا . أرى كأن حالة التكرار شبه الرتيب فيها أدخلتها مدخل الأمر الاعتيادي ولان الاعتياد وتكرار فقراته ممل فربما دخل شيء من الملل إلى نفسك مع عوامل أخرى حتى أصبح هما على نفسك يضيق به صدرك....

- نعم يا جلالة الملك الرتابة المكررة والتكرار الذي لا يعطي الإنسان فرصة الإبداع

خارج رتابته مملان ولكن كل تكرار ليس مملا عندما تحتاجه الحياة حاجة صميمة وتعتاد علية النفس والحواس والمشاعر...

- كيف هذا يا زبيبة!؟
- هل طلوع الشمس من مكانها المعتاد وغيابها في مكان بعينة .. أو طلوع القمر أو هبوب الهواء الشمالي المنعش للنفس أو حتى الأكل أو الشرب مما يمل الإنسان منه ؟

- لا يا زبيبة هذه الأمور بالإضافة إلى أنها جزء من الحياة ليس لديها بديل يعوض عنها وأي أمر أو شيء ليس له بديل لا يجعل النفس تمل التعامل معه أو معاشرته..

- ماذا تقصد بـ (معاشرته) يا جلالة الملك ؟ أراك أدخلت الإنسان إلى جانب أمثلتك من الأمور والأشياء!!

- نعم يا زبيبة هكذا لكي أصل إلى معرفة الحقيقة التي تجعلك مهمومة لأجد دوري فيما ينبغي أن أقوم به إزاءك لأرفع الهم أو الغم عنك...

- ماذا تريد من كل هذا يا جلالة الملك !؟

- ليس لي ما أريد يا زبيبة غير أن تعودي مملوءة بالسعادة والحبور..

- متى تتصور أن الظاهرة التي تشير إليها بدأت عندي؟

- قلت إنها بدأت منذ عدة أسابيع...

- ألأننا اختلفنا كثيرا على أمور بعينها قبل أن نصل إلى حل لها خلال هذه الفترة !؟

- لقد سالت نفس هذا السؤال يا زبيبة ولكنني وجدت قياسا بنفسي أن الاختلاف لم يؤدِ بي إلى الهم أو الغم لأنه حالة مفترضة حتى أنني أراها تضعف كلما عرفنا بعضنا أكثر ونسجنا أكثر معا قاعدة للمعاني الأساسية المشتركة ...

- ولكن لا يجوز أن تقيس طاقة الآخرين وتحملهم وحتى مشاعرهم بنفسك يا جلالة الملك إذ قد لا تكون عند الآخرين ما لديك من تصور وقدرة وعند ذلك يغدو قياسك واستنتاجك غير واقعيين...
- نعم هذا صحيح يا زبيبة لذلك قلت في نفسي إنه ليس كزبيبة من يعرف نفسه

- بل تعرفني يا جلالة الملك.

- لقد قلت معرفتي بك وبما انك تنفين استنتاجي تكونين قد شككت في قدرتي على الحدس الصحيح حولك... وقبل أن أقول إن مسؤوليتي توقفت عند توقف سبيل معرفة حقيقتك كما هي أردت أن استعين عليك بنفسك إذ قد تدلينني إلى أسباب عدم الشعور بالسعادة وهل أنا أم غيري مسئول عن أي شيء من هذا؟ وكيف. ولماذا؟ ! لأنني بجوابك الصحيح عن تساؤلي يمكن أن أوفر القدرة والفرصة الكفيلتين بجعل محاولة المعالجة واقعية وعملية وممكنة ومن دون ذلك لن اعرف وسوف أبقى تتقاذفني الهواجس وربما الظنون ولن اهتدي إلى شيء .... وفي كل الأحوال فان عدم معرفتي بالسبب منك معناه استغناء منك عن أي جهد مني لأعاونك...
- مع أنني قلت أن لا سبب لذلك الحدس منك لأنه ببساطة ليس هناك ما يقودك إلى هذا الظن ... فأنا سعيدة ولكنني قلقة إزاء حبنا........

- أتقلقين على دوام حبي لك أم من نفسك علي؟

- لا منك ولا من نفسي ولكن لمجرد أن ارسم صورة السعادة التي أعيشها بسبب مستوى حبنا اقلق لان المستوى الذي وصلنا إليه على أساس وصفك وما أصفه غير اعتيادي ... مستوى خارق لأفق ما وصل إليه من حولنا ، مستوى تجاوز المنظور والملموس والمسموع والمقروء وأصبح يتربع على قمة وفق قياسه لا يستطيع ولم يستطع أحد أن يصل إليه عبر الظرف السابق واللاحق ..

- إن الأساس الذي يبقى حالة الوصول فوق قمتها هو أن يرتقى بها إلى قمة أعلى بمفردات وعناوين ساندة غير التي أوصلتها إلى القمة التي يتربع عليها عنوانها فإن لم يكن ذلك فبإسناد وإدامة حيوية العوامل التي أوصلتها إليها لتبقى حيث هي.. إن لم يكن بالمستطاع تسجيل الانتصار إلى قمته !!

- نعم يا زبيبة إن وصول الحب والمحبة بين طرفيهما إلى قمة عالية انتصار على العوامل المعاكسة التي تقاوم الوصول إلى هناك مثله مثل انتصار الحق على عدو يهاجم ما هو عزيز أليس عدم الحب والمحبة حالة تضعف دور وخواص إنسانية أي إنسان؟؟ أليس الطبيعي أن يحب الإنسان إنسانا بعينة ؟ وان يحب دورة ليؤثر؟ ويحب شعبه ليخدمه ؟... وأن يكون فيه وفي محيطة من العوامل والمعاكسات التي تحاول أن لا تجعله وفق الوصف الطبيعي ؟؟ وان تعاكس استنفار همته أو مشاعره وقدراته ليرتقي بها ليسجل فيها قمة؟

- صدقت يا جلالة الملك ... قالت زبيبة وكأنها أرادت أن توحي للملك بأنها بهذا قد أقفلت عليه إمكانية أن يعرف عنها المزيد...

سكت الملك مع أنه لم يقتنع بأن ما قالته زبيبة هو كل ما تعرفه عن نفسها وعن الجواب الصحيح لحدسه عن حال فيها أراد منها الجواب عليه ...

سكت الملك لكي لا يدخل معها في مماحكة وراح يُداري نفسه لئلا يغضب بالقول أن حدسه صحيح وان ما قالته زبيبة رغم أنه من النوع الذي يقلق على حبه ولكنه لم يكن السبب وصف حالها...
وراح يناجي نفسه:
- المهم أنني استطيع أن ارجع الظاهرة إلى أسبابها حتى لو لم تعاوني في ذكر الأسباب والاهم أن أعالج وضعها ليعود إليها الشعور بالسعادة والحبور وهذا ما يسعدني ويريحني.... وأن اكتفي بما أعرف عن المرأة لكي أفهم جانبا مما تفكر به زبيبة .... ألا تحتفظ المرأة بسرها ولا تبوح به لأقرب الرجال إليها وتثرثر مع الأبعدين عنها !؟ ألا تختلف عن الرجال حيث يضع سره عنده من يحافظ عليه وتضعه لدى من تشاركه هواها وترضى هواجس نفسها في لحظتها !؟ وإذا كان بعض الرجال يحكي سره لامرأة فقليلات هن النساء اللائي يبحن بأسرارهن الخاصة لرجل حتى لو كان اقرب الناس إليهن ... إنهن يبحن بأسرار غيرهن للرجال وليس أسرارهن الخاصة ... ولذلك إذا أردت أن تعرف الأسرار الخاصة لامرأة ما عليك بصديقاتها وبالذات أكثرهن صلة بها وأقربهن إلى هواها ...
وعندما تتمنع المرأة عن الحديث عن سر قريب لها من الرجال فمعنى ذلك أن ما تمتنع عنة يسبب لها حرجا أمامه ومن هنا يمكنني أن أخمن أين وفي أي حال وشيء يكمن سبب عدم مساعدتي في معرفة السبب الحقيقي الذي جعل زبيبة مهمومة وبذلك حرمت نفسها من جهدي ليكون مفيدا لتخليصها مما هي فيه ولأنه لم يكن هناك ثمة ما يعتد به ليصلح سببا في ما خمن الملك بها أو ما لاحظ عليها من حال لم يكن حسنا وإنما قريب من أن يكون شيئا من الانكسار الجزئي

فليس ما قد عكر مزاجها غير أن زوجها قد اجبرها على مواقعته فيما كانت تتهرب منه منذ زمن . مفتعلة حجة تلو أخرى...
ومع أن زبيبة تعرف أن من حق زوجها أن يواقعها من الناحية القانونية ولكن علاقتها بالملك بدت كأنها زادت عليها ثقل الشعور بالضيق مع علاقتها مع زوجها ومع أنها لم تخطط ولم تسع لتوقع الملك في حبها فإن حب الاستطلاع عند المرأة كان يلح عليها لتعرف حقيقة مشاعر الملك إزاءها وكانت تتحين الفرص وقد فكرت مع نفسها أن أفضل ما تكشف به مشاعر الملك إزاءها هو أن تتحدث له عن جانب من علاقتها مع زوجها ومن ذلك إنها تزوجت منه مضطرة وخاصة وأنها لم تجد أن الملك يصيبه حرج بسبب فارق المكانة عندما تفضي له بأي شان خاص بل هو نفسه يبوح لها ليريح نفسه من ثقله عليه وضمن هذا السياق كان الملك يمزح مع زبيبة ويغمز بعلاقتها مع زوجها أحيانا.

أعاد الملك سؤالها:

- **أراك مهمومة يا زبيبة...**

- وقع ما هو ثقيل على نفسي يا جلالة الملك .... صدقني بأن ما حصل لم يكن برغبتي .... هكذا قالت زبيبة...
ومع أنها امرأة في وضع صعب فقد صدقها ولكنه بدا يحدث نفسه:
- هل تستنجد زبيبة بي للتخلص من العلاقة مع زوجها ؟ وهل أرادت بهذا أن تنبهني إلى ما تتصور أنني لم انتبه إليه؟ ... وماذا يحصل لو صارحتها بحبي بعد أن أخلصها من العلاقة الثقيلة مع زوجها؟... أليس الحب مشروعا؟ ...لقد تزوجت زوجا وفق رغبة أهلها وعلى هذا الوصف كان زواجها قرار أهلها فحسب . وإذا أحبتني يكون حبها لي قرارها هي... أليس من يتخذ القرار بنفسه غير من ينفذه فحسب ؟إذا لأفاتحها ... لا بل قبل هذا لأعينها على التخلص من هذا الكابوس...
ثم يعود الملك ليقول:
- ولكنها قد ترفض أن تتطور علاقتي معها إلى زواج ... الم تكن مع زوجها وتعاشره حتى هذا اليوم؟!
ثم يعود الملك ليقول أيضاً:
- ولكنها قد تكون صادقة في أنها أجبرت على معاشرته كنوع من أداء التزامات عقد الصلة لأن مثلها مثل من يؤدي عمل للغير وليس له أي صلة به من حيث المهارة أو الرغبة أو المشاعر...
ثم يعود الملك ليشاكس زبيبة التي أحبها من قلبه بأن يذكرها تلميحا بفعل قامت به مع زوجها ..

ثارت زبيبة وقالت...
- صدقني يا جلالة الملك... لقد كنت في وضع شعرت فيه كأنني اجلد لا أواقع ... ماذا أفعل؟ كن مكاني ولك أن تتصور!!!

قال الملك بنفور:
- كيف أكون مكانك يا زبيبة؟ ... أيكون الملك مكان امرأة!؟

قالت زبيبة تعبيرا عن امتعاضها من مناكدته:
- نعم يمكن للملك ان يبدو كأنه امرأة!

- وكيف يا زبيبة ؟

- يكون كأنه امرأة تنام مع رجل غريب في سرير واحد عندما لا يقود جيوشه دفاعا عن بلدة ضد أجنبي يجتاح البلاد أو يستضعفه فيهينه... ألا ينطبق ذلك على كثرة الملوك من حولنا!؟ ولا يثأرون لكرامتهم وكرامة أمتهم وبلدهم بل إن المرأة تجل عن موقف كهذا ... ألا يقاتل كثر منهن الغزاة إذا ما اجتاح أجنبي بلادهن فيما يكون الرجال منشغلين في جبهة قتال أخرى؟..

غضب الملك ولكنة حافظ على عهد قطعه على نفسه بأن يتعامل مع زبيبة بتكافؤ إنساني وهو يسمع رأيها في ما تقول ومع ذلك قال لها:

- إذا كان ينطبق على ملوك من حولنا فهو شانهم وإذا كنت تتصورين أن الملوك هناك يمكن أن يتبادلوا الأدوار مع النساء في أسرة أزواجهن ليكونوا أبدالا عنهن فعليك أن لا تخطئي الحدس وتتصوري أن ما ينطبق على ملوك آخرين ينطبق على ملك في بلادنا ! وفي كل الأحوال فيما يتعلق بي: عليك أن تقطعي لسانك وتختاري الكلمة قبل أن تتلفظي بها وأن تعرفي قدر نفسك.

- نعم هكذا إذا ؟ على أن اقطع لساني... ألم اقل لك يا جلالة الملك أن من المستحيل أن يقبل الملوك التكافؤ في الحوار مع أبناء الشعب!؟

كان الملك عندما يلاحظ أنه يقسو عليها يربت على رأسها براحة يده ثم يحدث نفسه: ترى هل يُقبلها زوجها من فمها ؟ ثم يعاكس هواجسه بالقول:

- إن زوجها وكيل لمتابعة أعمال أحد الأمراء وهو لا يحبها لذلك ليس متصور أنه يقبلها من فمها ... أليس تقبيل الفم عملا لم يهتدِ إليه العامة من الناس ولا يرغب فيه إلا المحبوب ؟
وعندما يصارحها بما تفكر به تقول له...

- أود أن أقول لك ابتداء يا جلالة الملك إن الحب هو اقتناع المحب بمن يحب وهو ليس حالة طبقية أي أنه لا يقتصر على الملوك وانما هو صفة من يحب سواء كان ملكاً أو إنسانا عاديا ... صيادا أو فلاحا أو قائد جيش أو عامل أو رجل شرطة ... وقد أحببتك ليس لأنك ملك وإنما تعبير عن حريتي في إنسانيتي ولا أعتقد بأنك أحببتني لأنني ملكة!!!
جفلت زبيبة عندما قالت (رجل شرطة) وصححت ما قالته بصورة عفوية:
- ولكن ليس من شرطة الملك ... ليس من شرطتك يا جلالة الملك ..

- وهل تعيبين على شرطتي شيئا يحرمهم من الوصف الإنساني الذي يعطيهم صفة أن يحبوا كما يحب الناس والعناوين التي ذكرت ؟
_لا يا جلالة الملك معاذ الله أن أعيبهم بشيء ... ولكن هل يمكن لشرطة الملك أن يحبوا !!؟

أجاب الملك بعفوية..
- إن الشرطة في أي بلد يشبهون ملكهم يحبون إذا كان ملكهم يحب ... إما إذا كان ملكهم لا يحمل صفته الإنسانية التي تؤهله للحب فإن شرطته لا تحمل الوصف الذي يؤهلها لتحب ...

- نعم يا جلالة الملك هذا صحيح ولكنهم لا يشبهونك يا جلالة الملك ...

- بماذا لا يشبهونني ؟

- بسلوكهم وأخلاقهم يا جلالة الملك إنهم موروثون في بلدك عن عهود أطلقت أيديهم على الشعب وفي ظنهم أن الشعب تلجمه الشرطة دائما وعلى طول

الخط
- وماذا بشأنك يا زبيبة وكيف؟

- إنهم يتعقبوني وأكاد أضيق ذرعا بهم حيث لا يتسنى لي أن أشم الهواء وفق ما يضمن لي حريتي واختياري...

- الست تقولين أن حريتك في قصري لأنك .. بحبك لي وحبي لك وجدت نفسك بعد أن ضيعها أو كاد عقد الزواج ومطاوعتك لرغبات من هو زوجك أليس انسجامك من رغبتك وانما محض استجابة لرغباته إنفاذا لعقد لا تستطيعين أن تحيدي عنه..

- **نعم كاد هذا يضيعني بعد أن يفقدني إنسانيتي وإن اختياري سابقا لوصف ما أريد .. لم أكن أتصور أنه سيكون .. وألان أصبح اختياري أنت لأنني وجدت فيك الصفات التي أبحث عنها وليس كرسي الملك نعم يا جلالة الملك... لقد أعطيتني حريتي عند خط البداية وحققت أنا فيها إنسانيتي ...**

- **وماذا حصل الآن؟**
- **حريتي يا جلالة الملك حريتي مهددة ... ألا يجوز لي أن أمارس حريتي مع زوجي في السرير قالت زبيبة ..**
- **بلى إذا كانت هذه رغبتك ..**
- **نعم هي رغبتي ... إذا كنت تعارضها ... وهي قسر عليه وأرفضها إذا لم تعارضها... أ**
- **وهل هذا هو البناء النفسي لابن الشعب يا زبيبة؟ وهل يكون موقف الملك وتصرفه ثقيلا على ابن الشعب إلى هذا الحد؟..**
- **نعم يا جلالة الملك لان الملك يكون من صنفنا إذا أعطانا حريتنا ولا يكون من صنفنا إذا منعنا عنها ونحن لا نليق إلا لصنفنا أي إلا لمن يكون منا...**
- **إذن أنا أحببت من هي ليست من صنفي..**

- **لا يا جلالة الملك أحببت من هو من صنفك إنسانيتك التي حبسها تاج الملك عنك... فحرمك منها أما أنا فلا أحمل تاج ملكك ... وليس باستطاعتي أن افعل ذلك حتى لو رغبت فيه ومع ذلك حبستني معك..**

- **أترغبين في التاج حقا يا زبيبة؟**

- **نعم يا جلالة الملك .... أرغب فيه... وأرغب فيك... ولكنني أرغب في كل منكما منفصلا عن الآخر. لا مجتمعين معا إلا عندما تكون سيدة وليس أسيرة . لا يكون على راسك وأنت مرهون له فحسب ، أرغب في أن تكون على رأسي يا جلالة الملك . في الوقت الذي تكون معي داخل نفسي وتكون ضمير الشعب وعنوانه وفارسة وليس علامة الضعف الأكبر فيه وأرغب في أن يكون التاج رسما فيك وعلى رأسك وليس سيدك وقيدك وبهذا نكون أنا وأنت كأننا روحان في جسد واحد ويكون التاج رمز شرف لنا وليس علامة عار علينا وبذلك لن يملكني تاجك وإنما يحررني حتى عندما يكون على رأسي وعندما أملكه أنا وأنت ... وتكون أنت على رأسي فوقه ... وفوقك وفوقي حريتنا معا ... والمعاني العظيمة لبلدنا ... لأمتنا ... لشعبنا...**

عاد الملك ليقول لزبيبة بعد أن استمع إليها :

- لقد أحببتك لأعلى شأنك وشأني بصادق الحب وبهائه ومعانيه وليس ليكون أي منا ضعيفا ... لذلك لا أقبل أن يشاركني فيك من لا ترغبين فيه ولا اقتنع أن مشاركته واجبة...

قالت زبيبة:
- نعم ولا يا جلالة الملك واعذرني إذا تكلمت معك بشيء من الصلف ولكن أليس صديقك من صدقك لا من صدَقك!

قال الملك:
- نعم ولكن كيف؟ ولماذا؟

- قد اخترتك وفق ما تضمنته شرائعك بأنه حق لي وفق اختياري ... اخترتك أيضاً لأعلى شانك بالحب... بحبي... وأجعل بوابة أن تحب الشعب وأن يحبك بعد أن يعرف الشعب أنك تحبه إن محبة الشعب هي التي تعلي الشأن وليس التاج يا جلالة الملك ... وعندما تظن انك تعلي شأنك فقط بتقريبي منك دون حب وحرية

حب يفتح قلبك لحب الشعب بعد أن تعرف عن قرب نموذجا منه فإن ظنك ليس في مكانه يا جلالة الملك ذلك لأنك إذا لم تحب الشعب لن تبقى تحبني ولن أبقى احبك أيضاً لأننا عند ذلك لا نكون واحدا وانما اثنين منفصلين كل ضمن صنفه فحسب ... مثل ما وجدت أن علاقتي بزوجي لم تحقق لي إنسانيتي وإنما كان يتعامل معي كشيء فحسب... فتصور يا جلالة الملك ردود فعل الإنسان عندما يعامل من أحدهم كشيء فحسب !!! ألا يثور ليفتش عن طريق جديد يضمن فيه حقه ليختار!؟

- نعم هذا حق..

- وقد اخترتك لأتصرف بحريتي وفق رغبتي واختياري وبهذا أعبر عن إنسانيتي في علاقتي معك .... في الوقت الذي تعبر أنت عن إنسانيتك في علاقتك مع بنت شعب مثلي ولكن عندما تتابعني شرطتك الآن وعندما تعتب علي لمجرد أن يواقعني زوجي تكون علاقتي بك قد تحولت إلى عبء علي إنك تسلب حريتي وتحرمني حق التمتع بإنسانيتي ومشاعري وفق قراري وبهذا تكون قد تساويت مع زوجي وصار من حقي أن أفتش... وسكتت..

- أن تفتشي عن إنسان آخر أليس كذلك!؟

- عفوك يا جلالة الملك ذلك لان الحب يقوي بمعانية من يحبون حبا عميقا وسط حرية الموقف والقرار مثلما تقوي الصفات العالية أصحابها ضمن محيطات : النزاهة... العفة... الفروسية... الصدق.... الإيمان بقضية عادلة...
رفعت زبيبة رأسها بعد أن أطرقت لتقول...
- قليلون هم الملوك الذين يستمدون مصدر قوتهم من هذه المعاني ..

- نعم قليلون يا زبيبة ولكن كل ملوك بلادنا من ذوي الشهرة والتأثير العالي في مجرى التاريخ استمدوا قوتهم من هذه المعاني ... أو من قسم منها.

- ها أنت قلتها...أصحاب الشهرة والتأثير العالي في التاريخ وليس كل الملوك ولا الشهرة والتأثير يرفعان أصحابهما إلى مصاف العلاقة التاريخية العالية في مملكتنا من غير استحقاق عن عمل يمتاز به من يكون فوق ساريته الخفاقة ولذلك اشتهر من اشتهر منهم بمواقفه وعمله بعد أن جعل هذه المعاني مصدر سلطاته ... ولكن أليس الشعب هو الأساس يا جلالة الملك ؟.. أليس الشعب بصفاته الأساس المتصل بهذه المعاني وتاريخه المجيد وهو الذي يوحي لمن يشتهر بالطيبات من الصفات بأن يكون على هذه الشاكلة؟

قال الملك:

_نعم يا زبيبة إن ما قلته هو الصحيح ذلك لأنه سواء أوحى الشعب بما يوحي به من صفات طيبة أم استلهمها الملك من أي مصدر مهما كان فإن لم تكن الصفات الطيبة تستهوي الشعب . أليس باستطاعة الملك أن يشتهر بها لأنه حتى يشتهر لا بد من أن يقوم بأعمال كبيرة ولا يستطيع الملك أن يقوم بالأعمال الكبيرة وحده من غير شعب كبير وأمة عظيمة ... ألا تتوازن القمم مع قواعد جبالها وسفوحها وارتفاع تلك الجبال؟

- أحسنت يا جلالة الملك... مع أنك ملك فإنك أصبحت تحكي هذه المرة مثلنا وتفهم مثل ما نفهم في أحيان كثيرة ولذلك أحببتك يا جلالة الملك... نعم الملك العظيم يأمر بالأعمال الكبيرة.... ولكن الشعب هو الذي ينفذها ...

- **في أحيان كثيرة فحسب....؟ قال الملك باستغراب فأنا أتكلم وأفهم مثل ما تتكلمون وتفهمون يا زبيبة.**

- **نعم يا جلالة الملك أصبحت أخيرا وفي أحيان كثيرة تتكلم وتفهم مثلنا وهذا يكفينا يا جلالة الملك حتى الآن بعد تهذيب بعينة لجوانب من خواص أخرى وأقول :في أحيان كثيرة وليس دائما لأنك لو فهمت وتصرفت وشعرت مثلنا تماما لانتقلت من عالمنا إلى عالم آخر ... عالم غير عالمنا وبالتأكيد هو ليس عالم الملوك .... وإنما عالم الألوهية أو قريب من هذا رغم أن آلهتكم ما زالت تصنع من مادة وليس حالا آخر ...ألا ينتقل من يفهم ويتصرف من الملوك ويشعر كما الشعب وأبناء الأمة إلى مصاف الآلهة ؟ بل أليست الآلهة تشبيها لصفات الشعب وضمير الأمة ومشاعر الفقراء ونظافتهم في قدرة ملك عادل أحب شعبه فصارت القرابين تقدم له ويرجى منه ما يسعد الشعب أو يفرج عنه كربته؟...**

- **مع انك قلت أنني أشبهكم في أحيان كثيرة وليس في كل شيء وأنكِ على هذا أحببتني يا زبيبة فماذا لو اكتملت في الصفات التي أشبه بها أبناء الشعب والأمة؟..**

- **لو اكتملت فيك كلها لأصبحت إلها أو أقرب منك إلى اله يا جلالة الملك وعندها سأحرم من حبك!... أو لا ارغب فيه..**

- **أن تحرمي مني فهذا مفهوم ولكن لماذا لا ترغبين في لو صرت إلها أو اقرب إلى اله؟**

- **لأنني إنسان يا جلالة الملك وأحببتك كإنسان وأريدك أن تبقى على صفتك الإنسانية من لحم ودم لكي أحبك كامرأة وليس لكي أعبدك ..**

- **ألا يمكن أن تجتمع صفات اله من صفات إنسان يا زبيبة ؟**

- **لا يا جلالة الملك وإنما تهذب عبادة الإله الإنسان... وإذا تهذبت إنسانيته وخواصه على أساس الإيمان يكون ملكا صالحا يحبه الناس قريبا منهم قريبا إلى الإله.**

- **مع إنني أعرف أن لسانك سليط فإنني أحبك... أتعرفين لماذا يا زبيبة؟**

- **عفوك يا جلالة الملك لا اعرف لماذا؟**

- **أحببتك لكي لا أموت من داخلي ولكي ابقي قريبا من الحياة ... قريبا من الشعب . بل جزءا منه وقائدا له ..... لا أريد أن أكون واحدا من الآلهة وأركن في معبد تقدم إلي النذور فحسب وإنما معكم أصنع الحياة معكم وبكم وأستقبل معكم الشمس ونتنسم رائحة طلع النخيل والهواء ونعشق الورود ونترحم على من مات ونلعن الخيانة وكل سبات...**
عندما كان الملك يتكلم كانت زبيبة في أحلى وأجمل حال ولكن عندما قال الملك (والعن الخيانة) جفلت زبيبة واتسعت حدقتها عينيها إلى آخرهما... وهي تتمتم:

- **أيكره الملك الخيانة ؟ أم تراهم يفرخونها ويكثرونها في أروقة قصره بل حتى في مخادع نسائهم وجواريهم ومحظياتهم... ولكن في مملكتنا أو على الأقل هذا الملك لا يشبههم في صفات كثيرة ... هي الصفات التي تشبهنا بها...**
ثم تعود لتقول:

- **طالما كان ملكا . فإن صفاته التي يشبهنا بها معرضة في أي وقت لنكسة كلما نسي مأساته في صباه أو ركبه غرور الملك والسلطان .. إلا إذا أصبح صاحب قضية من اجل الشعب يقاتل بسيفه ويغامر بسلطانة من أجلها فيقودنا إلى ذرى المجد...**

- **لاحظ الملك أن زبيبة تناجي نفسها في هذا فقال:**

- **لقد اهتديت إلى ما ينبغي لأعبر عن إنسانيتي يا زبيبة ولذلك لن أحيد عن الطريق ... ثم إذا وجدت الخيانة في مكان آخر فليس في عرش مملكتنا هذا... أو في الأقل أو الأصح بين أبناء بلدنا هذا ...**

- **ولكني اخشي شيطانك يا جلالة الملك ... وشيطان من يخونون.. أليس لكل شيطانه يا جلالة الملك ؟ ولذلك جمعنا شيطاننا أنا وأنت معا.... إذ بإمكانهما إن غلبا أن يجعلاك تخون قضيتك ويجعلني شيطاني أخونك... ولكن شيطان الشعب أضعف من أن يجعله يخون أو لنقل أن نفوس الشعب أقوى أمام شيطانها أما الملوك فإنهم أضعف إذا ما لوح لهم شيطانهم**

باحتمال خسارة عرش الملك بطريق الخلاص والمحافظة عليه بالخيانة أو عندما يكون الملوك تحت وساوس أخرى تضعهم وهم يمارسون مسؤولياتهم أمام ضعف كبير ... أو عندما تطمع عوائلهم في كرسي الحكم ...
عندما نطقت الجملة الأخيرة لاحظت حركة مريبة من خلف ستار المكان الذي كانا فيه بينما كان وجه الملك باتجاهها وظهرت باتجاه مكان الحركة واندفع من خلف الستار من يمتشق حسامه

- **صاحت زبيبة:**
حذار يا جلالة الملك....

- **واندفعت بقوة أمام الملك لتحميه... وعندها عرفت أن من امتشق السيف وهمَ بطعن الملك في ظهره هو ابن عم الملك وقائد جيشه .. ولكن صدر زبيبة كان أقرب إليه فخرت زبيبة ببطء إلى الأرض وهي تصيح:**

- **إنها خيانة بيوت الملك والملوك يا جلالة الملك .**
وفي الوقت الذي عاجل الملك من خانة بضربة أطاحت برأسه وجد إحدى نسائه واقفة في زاوية لتستقبل نبا قتله وتشارك في تدبير أمره...
عاد الملك إلى زبيبة واحتضنها وهو يقبلها ويقول:

- **ألم اقل لك يا زبيبة انك لا تخونين وان شيطانك لا يقدر عليك...**

- **لا لا أخون ولكن مخادع الملوك ومن يشاركونهم الملك وأمرائهم يا جلالة الملك وهم الذين يخونون..**

- **لقد تمكن منهم الشيطان فيما أخفق معي حتى الآن**

- **ولكن احذر يا جلالة الملك إذ قد يتمكن منك أمير أو صاحب سلطة عن طريق من يضعف لشيطانه من الشعب فينفذ بسكينة إليك ...إن السلطة شيطان آخر يا جلالة الملك...**
ومن يومها أقسم الملك على أن يعيش كليا للشعب ومن اجله وأن لا يثق بملك أو أمير أو حامل صولجان أو ختم سلطان وان يعيش خارج القصور وان لا يدخل كل بيت مهجور وان يوقد في المزارع ومقابر الشعب البخور...

بعد أن تعرض الملك إلى المؤامرة. وخرج منها سالما . وأصيبت زبيبة بجرح بليغ بعد أن طعنت بصدرها . رقدت زبيبة في جناح خاص في قصر الملك وباشر الأطباء بمعالجتها وكان . الملك لا يفارقها طيلة مدة العلاج هذا.. يرقد إلى جانبها في غرفة مجاورة لتكون عينه عليها. ويراجعها من حين إلى آخر. ليطمئن على

صحتها وحالها... وكل ما وجدت زبيبة نفسها في وضع يسمح لها بالكلام تحدثت مع الملك أو فتح هو الحديث معها.... وفي أحد الأيام دار حوار بين زبيبة والملك وهي راقدة في سريرها

- ما الذي تفكر في عمله يا جلالة الملك !؟

- بشأن أي شيء يا زبيبة؟...

- بشان المؤامرة التي استهدفتك واستهدفت ملكك...

- نعم هذا صحيح... لم أقرر بعد ماذا أفعل..

- إن الأعداء قرروا ماذا يستوجب عليهم عمله وقد بدأوا .. والواجب يقتضي أن تفكر كيف تواجههم. وإلا استمر باتجاه أهدافهم... وسبقوك بما يبتغون ليحولوا بينك وبين ما تبتغي.

- ولكن من حاول علينا قد قتل يا زبيبة..

- إن من شكل المخلب الأمامي فحسب هو الذي قتل... يا جلالة الملك. ولكن لم يقتل كل من يرغب في قتلك للاستيلاء على ملكك أو ربما اشترك معهم أو دفعه إلى قتلك..

- نعم . هذا صحيح .ولكن ماذا علينا أن نفعل؟..

- أن تكلف من يحقق . يا جلالة الملك ليسبر غور المؤامرة. ويتعرف على حدودها وعند ذلك فقط يمكنك القول أن صورة المؤامرة على الكيفية التي تصفها اتضحت أما الآن فما أدراك ربما كان مراسلك هذا أو ذلك الطبيب مع المتآمرين... وأشارت إلى كلٍ منهما بسبابتها..

- وما هي مصلحة أولئك بالمؤامرة يا زبيبة!؟..

- إن من تخرب نفسه أقدر على وصف هدفه الوضيع بها وإقناعها به يا جلالة الملك.. وعند ذلك سيجد كل هدفه الذي يقتنع بأنه برر له الاشتراك في المؤامرة...

- وحتى المراسل يا زبيبة؟.. ماذا يغري مراسل الملك لكي يكون مع المتآمرين يا زبيبة؟
- أردت فقط أن الفت انتباهك بأمثلة. ولكني لا أريد بهذا أن أتهم وإنما أن أتصور . وليس ما هو أفضل من معرفة أن هذا أو تلك من الصور التي يتصور كائن من كان أنها ممكنة من أن نضعها في الواقع. ونبحث في إمكانية أن تكون أو لا تكون وفي هذا السياق ، كان أمامي من بين الناس في هذه الغرف طبيب يعالجني . ومراسلك ليستجيب لطلباتي حسب أوامرك فذكرت عنوانيهما كمثل ... أما الاتهام فهو من مهمة المحققين والقضاة بعد أن تتوفر لديهم أدلة عن المعنيين... أما قولك ما الذي يغري مراسلا أن يتآمر ؟ فقد يكون البحث عن دور يا جلالة الملك ومن لا يستهويه الدور أو لا يجيده أو لا يقدر عليه صعودا قد ينحدر أو يتدحرج بأهداف مناقضة...

- وهل في ذهنك أن تتشكل لجنة أو لجان تحقيق أو محكمة يا زبيبة؟

- نعم يا جلالة الملك ...أليس هذا هو الأسلوب الصحيح لمعرفة حدود المؤامرة ومعاقبة المتآمرين؟..

- ولكن هذا الأسلوب سينشر فضيحتنا خارج القصر يا زبيبة.. وقد يغري آخرين على التجاسر فيتآمرون بعد أن يعرفوا أن غيرهم قد تجاسر وتآمر فعلا.. إن معرفة الأمور بحجمها ولونها وأثرها كما هي أفضل من بقائها خارج النظر وإن وجود الحالة السيئة لا يلغيها مجرد عدم النظر إليها وإنما معالجتها... وإن معرفة الناس بأمر وفق الوصف الذي يقدمه صاحب الشأن في أحيان كثيرة وخاصة في ما يعني الحكم أفضل من إبقاء الناس أمام هامش كبير من المجهول بما يتيح لأصحاب الغرض أن يقولوا ما يريدونه لينفذ إلى مسامع الناس... ومن بعد ذلك إلى عقولهم..

- ولكن أليس دفن الجيف أفضل من بقائها فوق الأرض يا زبيبة؟..

- بلى يا جلالة الملك ولكن أحيانا تبقى جثة ***** فوق الأرض حتى يتبين الناس

أنها جثة *** ثم تدفن أفضل من أن تدفن فيدور لغط بأنها جثة إنسان قتل مظلوما...**

- أليست الموازنة صعبة يا زبيبة؟

- نعم يا جلالة الملك... وهذه مهمة قيادية عليك أن تنهض بها وان تعرف متى ؟ وكيف؟ وأين؟ ومن يتولى أي شأن من كل هذا؟

_نعم يا زبيبة... صحيح ولكن أمر صعب... وأحيانا شائك..

قالت زبيبة:
- هكذا هي مسؤولية المَلك والمُلك يا جلالة الملك... هي صعبة وشائكة....!
لأنها ليست وجها أو حالة ولونا واحدا وليس سياق ثابت وإنما ألوان وحالة متحركة في ضوء ألوان الحياة ودواعيها وحركتها... وتكون أصعب إذا لم يرد الملك لنفسه أن يكون محط لون بين الألوان . وينظم إيقاع حركتها وسرعتها مع حركة الحياة من حوله وسرعتها فحسب ، وإنما يركز بعد أن يختار لونا بعينه على أن يكون مميز فيه ويكون واحداً من العلامات الرئيسة في هويته ويختار لنفسه حركتها وسرعتها بما يناسب وصفه وقدرته...

عندها قال الملك:
- نعم سأكلف من يحقق في الأمر ..

- ولو سمحت يا جلالة الملك أرجوا أن تأمر بإلقاء القبض على كل من كان يعرف بالمؤامرة ولم يخبرك أو يعرف بها واشترك فيها...

- ولكن واحداً هو الذي هم بأن يطعنني وأصابك بعد أن فديتني بنفسك يا زبيبتي الحبيبة....الأمينة....المخلصة ..

- كان الواحد رأس السهم السام يا جلالة الملك ولذلك علينا أن نفتش عن القوس والكنانة وبقية السهام التي لم تطلق لأنها لم تجد فرصتها أو أن طبيعة الهدف والطريقة لم تستوجب إطلاقها..

- ولكن القاتل استخدم السيف ولم يستخدم سهما يا زبيبة...

- إنني أشير إلى هذا من باب التشبيه فحسب يا جلالة الملك ولذلك بإمكانك أن تجعل إنسانا بدل كل مسمى من المسميات التي ذكرت فالسهم يرمز إلى شخص والأسهم إلى شخوص والكنانة ترمز إلى منظمي فعل السوء والإعداد له...
والقوس يرمز إلى اختيار الخطة ووسائل تحقيق أهدافها..

- ها... ها... فهمت يا زبيبة؟.. نعم سنعرف بعد أن نؤلف لجنة تحقيق وبعد ذلك سيعتقل من يستحق الاعتقال ...
انتهى كلام الملك.....

- قالت زبيبة:
ولكن هناك حاجة لاعتقال بعض الناس تحوطاً إذ ليس من الصحيح أن نترك أمامهم فرصة اليأس ليهجموا علينا وبعضهم كان مع القاتل دون ريب في ذلك..
- ولكن لم ألاحظ أن هناك إنسانا معه يا زبيبة..

- كانت زوجتك الملكة قريبة من وفي مكان ليس قريبا من جناحها الخاص فقد جاءت إليه بصورة خاصة وربما كانت مكلفة بدور بعينة...

- أيكون للمرأة واجب تقوم به بمؤامرة؟

- نعم يا جلالة الملك: تصاغ أدوار التآمر على وصف أصحابها... وتصاغ واجبات المخلصين على قدرة أصحابها... ومثلما يكون للرجل دور أو واجب يكون للمرأة دور أو واجب .

قال الملك:
- نعم لاحظتها ومع أنني استغربت وجودها فلم أشك في أنها جاءت لتقوم بدور أو بالأحرى لم أسال نفسي لأي شيء جاءت في هذه اللحظة...

قالت زبيبة:
- إن بعض الملوك يشكون في كل شيء ولذلك لا يبقى لهم يقين يستندون إليه

كقاعدة في ضميرهم وفي تفكيرهم ودينهم شك لتتيقن كأن الحياة وطرقها تخلق أمامهم أول مرة وهذا لا نريده أو نتمناه لك.... وقسم قليل منهم لا يشك . لأنه لا يحاور نفسه ومحيطة وغير مهيأ ليكون له دور كبير وسط أشيائها

- وهل الأخير هذا ينطبق علي يا زبيبة؟

- **لا يا جلالة الملك معاذ الله أن أظن هذا فأظلم نفسي في حكم جزاف بعد أن أظلمك ... ولكن ما جعلك تغفل عن وصف موقف الملكة وفق نفس الوصف الذي وصفتها به منطلقة من الشك في موقفها .... هو انك تفترض بأي احتمال وبأي نسبة أنها يمكن أن تكون عدوا ... وهناك شيء آخر أيضاً هو إحساسك بالاقتدار والإحساس بالاقتدار من غير تحوط للآخرين يوقع صاحبة في الغفلة ثم الشرك من بعد ذلك أو الانطلاق من وصف ما تقبله وما ترفضه في علاقتك مع الناس فتضن أنهم سيكونون على هذه الكيفية أيضاً وهذا يقود إلى خطا التقدير بسبب قلة الخبرة إذ أن الناس ليس كلهم على شاكلة من يقودهم إنهم يكونون سيئين إن أساء وخيرين إذا استقام ولكن تأثيره إنما يكون في خواصها حسب قناعته بدوره فيهم**
كما انك تجاهلتها كإنسان وانتقلت إلى غيرها من الزوجات أو المحظيات تحت عناوين وأوصاف أخرى واتساقاً مع هذا لم يلفت انتباهك وجودها ولم تشغل نفسك وتتساءل عن وجودها وتعامل معها نظرك وتعاملت نفسك وكأنها شيء أو في أحسن الأحوال تعاملت في نفسك ونظرك معها وكأنها في موقع أي ممن وقع نظرك عليهم مما يقتضي واجبه عادة أن يكون خلف ستار ليستجيب لطلباتك ويخدم ضيوفك فحسب أو يقوم بواجبات الحراسة وليس كملكة أو حتى واحدة من نسائك فحسب..

- **إذا ترين يا زبيبة أن تعتقل وتوضع في السجن ولكن أي سجن!؟**

- **لا يا جلالة الملك اقترحت عليك لو أذنت لي بذلك أن تتحفظ عليها في مكان وليس في سجن فقضيتها تنطبق عليها فكرة الجيفة التي يجب أن تدفن لذلك أرى أن تتحفظ عليها داخل القصر ولكن ليس في جناحها الخاص وأن تكلف أحدا يقوم بخدمتها غير من كان مكلفا بخدمتها بصفة ملكة .... وأن تكون أمام من يقوم بخدمتها وحراستها تعليمات محددة من سيدي الملك ، أهم شيء فيها أن تتضمن المسموح به فقط وغيره ممنوع ..وإذا اختلط على المسئول عن هذا أمر فيه . عليه أن يرجع إلى الملك...**

- **ولماذا لا نقول الممنوع فقط؟**

- **في هذا الحال فإن تحديد الممنوع سيطلق المسموح به ليكون في ميدان أوسع وسيتوسع فيه اجتهاد من يجتهد وفي الوقت نفسه فإن أي تحديد**

للممنوع الآن قد يجعل صاحب الشأن بحاجة ليضيف إليه ممنوعا إضافياً في أي وقت وفي أي شأن إن تحديد الممنوع يصلح لغير هذه القضية يا جلالة الملك إنه يصلح في القانون للشعب ليعطي الناس مساحة أوسع يتحركون عليها ويجتهدون بها ويجعلهم يعرفون الممنوع وربما يحفظونه فلا يقعون فيه وعندها لا يقتل القانون الحياة.

- ولكن لماذا لا يقوم الذين كانوا يقومون بخدمتها بواجبهم معها بدل الإتيان بآخرين؟

- ذلك لأنها تحمل حتى الآن صفة ملكة قالت زبيبه وصفة الملكة هذه لها وقعها وتأثيرها بالناس وبخاصة أولئك الذين كانوا يقومون لها بخدمة من النمط الذي سيقدم لها وهي في المكان الجديد الذي تختاره لها لقد تعاونوا معها على أساس أنها ملكة وتشكل وضعهم النفسي في داخلهم على هذا الأساس لذلك فإنهم سيبقون يتصرفون معها ويلبون لها طلباتها بقناعة أو غير قناعة على أساس هذه الصفة بما في ذلك لو أمرتهم برغبتها في الخروج أو التجوال أو استدعاء من تستدعيه أو حتى تسقط أخبارك كما كانت تفعل أليس هذا ما تفعله الملكات مع الملوك!؟

ضحك الملك وابتسمت زبيبه .

- انك داهية يا زبيبه؟

قالت زبيبه:

- لقد علمتني إياها الحياة يا جلالة الملك.

قال الملك:

- أنا أيضا وسط الحياة وأكبر منك سنا ولكنني لم أعرف أموراً تعرفينها مع انها معرفتها متاحة أمامي وعندما تقولينها أدرك أنها صحيحة .

- أعذرني يا جلالة الملك من صراحتي معك وإذا وجدت أنني قد تجاوزت شأني فإنني التمس صفحك مستعينة عليك بدماثة خلقك وعظيم سجاياك حدثت زبيبه نفسها ألا يحب الملوك أن يقدم إليهم التماس إذا ما قدم مشفوع بالتفخيم والتبجيل والخضوع بما يستحقون وبما لا يستحقون .

- قولي يا زبيبه

- كنت أعيش وسط الحياة بحلوها ومرها وعندما أختار ما أرى أنه حلو أو أرغب فيه لا أحققه دائما وإذا تحقق لي لا يتحقق منه إلا النزر اليسير ولقاء تضحية أقدمها تردفها معاناة المحاولة وانتظار أن يتحقق ، إنني أعيش وقد عشت وسط الهواء الطلق تلفحني شمس تموز وآب وزمهرير كانون... وكانون.... ويفرض علي في تعامل اليومي مع الحياة أناس لا

اختار التعامل معهم وطرق لا تأخذ بنظر الاعتبار رغبتي فيها ولا أعطي حق اختيار بدائلها أما أنت فلخط حياتك ومعيشتك وصف آخر إذ تكاد ترى عينك النور ولا يصلك من الشمس سناها المباشر غالباً وإذا بردت يتهيأ حالا ما يدفئك من دثار أو جسد يلتصق بك أو شيء تشربه مما يدفئ الجسم ويطرب النفس.

- ولكنني لم أدخل هذا القصر إلا منذ وقت قليل يا زبيبه فقد كنت خارجه

- نعم يا جلالة الملك كنت خارج هذا القصر ولكن في قصر آخر والناس يتعاملون معك كأمير ويتعاملون معك الآن كملك ولكنك حرمت من شرف الإحساس بالمواطنة وسط الشعب وحرمت من أن تجرب علاقة مع أناس يقولون لك (لا) حيث استوجب الأمر بصدق ونية خالصة وخالية من الغرض إلى جانب (نعم) على ذات الأسس أليس الكثرة ممن يعيشون في قصوركم يتملقون الملك عندما يكون في حالة اقتدار ويطعنون عندما يضعف ؟؟؟؟؟؟؟؟؟

- نعم هناك شيء من هذا أو بإمكاننا أن نقول أن هذا ممكن من خلال تجربة طردي وتتويجي ومن خلال المؤامرة التي استهدفتني ولكن هل صفة المواطنة امتياز؟؟ ثم أليس شرف الملك أفضل من شرف المواطنة يا زبيبه؟؟

- إن الإحساس بالمواطنة ومسؤولية المواطن إزاءها اشرف بل هي الشرف بعينة يا جلالة الملك وليس حملها موروثة أو ممنوحة ، إنها الأساس لكل شرف آخر بل إن أي شرف لا يكسب معناه العميق دون أن يسبقه إحساس عميق بالمواطنة وبأنها الشرف الأساس على وصف حالها للبلد الذي تنتسب إليه وللأمة والشعب والتمسك بواجباتها وتطبيقها هو ما يبقى راية الشرف مرفوعة ووصفة لمن يحمله حق أما المُلك للمُلك فهو شرف له ولكن الشعب لا يعتبره شرفاً ما لم يستند إلى المفاهيم التي ذكرنا عن المواطنة وشرف حمل صفتها.
لقد عشت الحياة يا جلالة الملك ولكنك لم تصنعها إلى الآن ولم تجرب قيادتها قيادة غير مثقلة بذنوب وهموم القصور وعندما يكون لك دور في صنع أي شيء فيها فإنه حتى الآن مثل لاعب محترف يهيئ فرصة للاعب مبتدئ في ملعب ليسجل فيها فوزا على من يقابله في ساحة اللعب أو كطفل يدربه والدة على ذلك فإنه قد يشعر بمتعة في ما يقوم به وقد يحقق بحركته فوز على من يقابله ولكنة لا يحقق هذا بجدارة أو بقدرات ذاتية نمت وامتحنت وسط الإخفاق مع المحاولة أو النجاح الإصابة أو الخطأ.

- وأي من هذه الأوصاف ينطبق علي يا زبيبه؟

- **بغض النظر عن الصفة التي تمثلها واقعياً فإن جوهرك قابل لتحويلك إلى اتجاه تكون فيه مقتدرا ومبنيا بناءً صحيحا إن تعاونت معي كعينة مخلصة لك من الشعب يا جلالة الملك.**

- **ليكن هذا ولكنك تتحدثين عني وكأني معزول عن رعيتي ولا أراهم .**

- **ليس الأهم أن تراهم يا جلالة الملك الأهم أن يعيشوا في ضميرك وأن تعرفهم وأن تعيش وسطهم لتعرف كيف ولماذا يقبلون ، وكيف ولماذا ومتى يرفضون؟ وأن تكتسب الخبرة كأنك واحد منهم في الوقت الذي تقودهم .**

- **ولكنني كنت التقي بأناس بمكان إقامتي ذاك خارج هذا القصر عندما كنت هناك ،التقي الحرس وفلاحي الحدائق حتى الطباخين أحيانا.**

- **نعم يا جلالة الملك قد تكون التقيتهم .**

- **ولكنني التقيتهم!!!!**

- **عفوك يا جلالة الملك لا أريد أن أكذبك أو أشكك في قولك مع أن أغلب الملوك كذابون ويستحقون أن يشكك في قولهم إلا أنت الآن.**
ولكنني استخدمت كلمة(قد) هنا مع كلمة(تكون) وجملة (قد تكون التقيتهم) توطئة لأقول أن هنالك فرقا بين مجرد أن يلتقي الأمير بمن يلتقي وأن يعيش كمواطن وسط الناس لقد التقيت الحرس ليئودوا لك التحية ويشعروك بأنك أمير والتقيت الفلاح ليشعرك بانحناءته وتسمره في مكانه عندما مررت به لتعرف انك أمير والتقيت الطباخ لتأمره بألوان من الطعام ولكن هل جربت أن صفعت أحداً بيدك وصفعك آخر في شجار متكافئ لتعرف كيف تقاتل كما يجب وعندما تقع على الأرض تنهض بنفسك لتعيد الكرة وتجعل خصمك مرمياً على الأرض بدلا منك بعد أن تصرعه؟ هل جربت أن تمشي حافي القدمين لتعرف شعور المعدمين؟ بل هل جربت أن اشتهيت أكلة معينة ووجدت مشقة في حيازتها أو لم تتمكن منها لتعرف إحساس الجياع هل استدنت من احد لتوفر لقمة عيش لأهلك ؟ أو تدفع إيجار دارك لتعرف إرهاصات المحتاجين؟ وهل جربت أن تحاول بقدراتك الذاتية وعلى أساس صفتك كمواطن فحسب أن تقنع من تقنع بأنك جدير بها في السرير لتحسن من بعد ذلك تعاملك معها ؟ وهل يحق لمن تقبل أن تنام معك أن تمتنع عن هذا في أي وقت ولأي سبب ؟

- **نعم في هذا الأخير لها أن تقبل أو ترفض.**

- **ولمن ؟ هل متاح لكل النسوة في قصور الملوك ظرف متوازن تستطيع فيه امرأة أن ترفض من تعرضت عليها رغبة ملك؟ وماذا لو امتنعت**

بإرادتها من تكون لها فرصة أن تنام معه؟ أجابت زبيبه

قال الملك:

- **المهم إنها حرة في هذا....**

- **لا...لا...لا..... يا جلالة الملك إنك تعرض نفسك وحدك على من تشاء أن تعرض نفسك عليها أو ترغب فيها لا أن يتنافس عليها آلاف الملوك مثلما يفعل نفس الرجال معنا عندما نكون وسط المجتمع وإنما ملك واحد ... وعندما تنعدم المنافسة بالاحتكار أو التفرد تضعف أو تنعدم الحرية في الاختيار وعندما تنعدم حرية الاختيار بانعدام البدائل لنفس الصفات تروج البضاعة الخائبة...**

- **وهل أنا بضاعة خائبة يا زبيبه؟!!!**

- **لا يا جلالة الملك وإنما أنت مشروع قابل لتكون حالة مفيدة للشعب وقد تكون قائدا مؤثرا ومقتدرا فيه وأنا أسعى لأكون مساعدتك الأمينة لتنهض بنفسك وتكون على هذا الوصف أو بالأحرى أعاونك لتكون على هذا الوصف .... أو نخفق معاً فأعود إلى طريقي وحالي وتلحق أنت بركب الملوك الذين هم على الوصف الخائب...**

- **أتتركينني يا زبيبه!؟**

- **لا يا جلالة الملك أنا لم أقرر أن أتركك وإنما قررت أن أعاونك منذ قبلت أن أكون معك وقد قدمت برهاني علي أنني مخلصة لك... ولكنني جزء من شعبي وأحمل ضميره في ضميري وموقفي فإن أخفقت معك فمعنى هذا أنك تركتني ويحصل هذا عندما تكون على طريق ويكون الشعب على طريق آخر... وعندها أيضا يلتحق كل بصنفه على أساس وصفه تلتحق بالملوك والتحق بالشعب...**

- **ولكن العامة ليسوا على موقف صحيح دائماً يا زبيبه .**

- **والخاصة لا يكونون على موقف صحيح دائماً حتى وفق قياساتهم يا جلالة الملك إلا أن الخط العام كخلاصة نهائية لموقف الشعب صحيح دائما عند ما يتاح أمامه الظرف ليتصرف بحرية عندما يقوم السادة بمسؤوليتهم كما يجب يا جلالة الملك أما التفاصيل أو الاستثناء فلهما حكم آخر وفي هذا الموضوع يكون موقف الشعب من الملك الذي يتخلى عنه هو الموقف الصحيح .**

- **وما هو ألأساس الذي يجعل الشعب يثق بالملك يا زبيبه؟**

- ألأساس في هذا يكمن في الصدق... أن يكون الملك صادقا مع نفسه ومع شعبه أمينا على مصالح شعبه ويتجنب هواه ويربط ضميره مع ضمير الشعب بحيث يسعد ويغتم معه وأن يجعل كل نفسه للشعب وأن يتجنب الطمع ويتعلم من الشعب ليكون كفئاً...

- ولكن هذه صفات عديدة... وليس صفة واحدة ... قال الملك .

- نعم يا جلالة الملك إنها صفات وليست صفة واحدة.... وأن يكون إيمانك هو عمقها الكبير ... هل تكفي الإنسان صفة واحدة بأن يكون ملكا!؟

- أليس الملك رأس الهرم في النظام وأعلى قمة فيه ؟

- وهل يحق للقمة أن يكون لها ثقل على الجبل من غير ميزة على سفوحه؟ إذا حاز الملك من يحوز بصفة واحدة فلماذا تطلب يا جلالة الملك أكثر من صفة إيجابية من المواطن ليتمتع بحق المواطنة!؟..

- وما هي الصفات التي أطلبها من المواطن ليتمتع بصفته؟

- تطلب منه أن يخلص لك ولا يخون... وأن يطيع أوامرك ...وإذا دعي داعي القتال تطلب منه أن ينظم إلى جيشك وان يقاتل ولا ينزو وبذلك يحمل صفة الشجاعة بل وتطلب منه أن لا يحتج عندما تأخذ أرضة وتمنحها للأمراء أو توسع قاعدة ملكيته ... تطلب كل هذا يا جلالة الملك من المواطن ليحمل صفة المواطنة في مملكتك وتكتفي وأنت على رأس الملك بصفة واحدة تعتقد أنها كافيه كأساس لتكون أو يكون غيرك ملكا جيداً !!؟

- إن لسانك سليط يا زبيبه .

- أعرف هذا وأطلب عفوك يا جلالة الملك وأرجوا صفحك ليس خوفاً من سوطك وإنما رغبة في معاشرتك وقناعة مني بدور أؤديه بأمل أن تقتنع بما ينبغي لتكون على الوصف الذي اعتز به بانتمائي إليك ويعتز الشعب بأنك ملكة ... وألان قل لي يا جلالة الملك إذا سلمنا بظهور من يستحق لقب ملك أو أمير من أبناء الشعب في أي وقت من الأوقات ... ألا يعتبر مجرد أن ينجب الملك ولدا من صلبه أو أن يكون أخوه وريثاً للملك... مأساة بل وحالة مزرية ومضحكة أحيانا لماذا نفترض أن يتميز ابن الملك على الشعب؟ وان يكون له الحق في أن يحكم لمجرد أنه ابن ملك ؟ وأن يكون الحق له ولأعمامه وإخوته في الحكم على أساس هذه الصفة ابتداء وليس على أساس صفة التميز بجدارة و بمنافسة عادلة مع الآخرين لخدمة الشعب وصيانة الوطن باستحقاق على مستوى كل المتنافسين على هذا من الشعب كله ؟...

- إن ابن الشعب لا يستطيع أن يحكم يا زبيبه!!!

- **وكيف يا جلالة الملك ؟>**

- **كيف يدير النجار أو الحداد أو الفلاح أو حتى التاجر أو العسكري العادي شأن المملكة؟ .**

- **يستطيعون هذا يا جلالة الملك بل قد يستطيعونه بصورة أفضل من بعض الملوك والأمراء وكل على أساس صفة مسؤوليته لو وضعوا بالتساوي أمام نفس الفرص التي يتدرب عليها أولياء العهد والأمراء... بل أجزم أنهم من وجهة نظري أفضل منهم ولكن إذا ما وضعوا وسط ظروف مختلفة وكان امتحان قدرتهم على أساس خط شروع واحد مع عدم مساواة في ما هم عليه من قوة أو قدرة عند خط البداية فإنه لأمر بديهي أن تكون النتائج وفق هوا صاحب الغرض وعند ذلك يظهر كأن ابن الشعب أخفق وأن الأمير أو ولي العهد امتاز عليه تماما مثلما لو أطلقنا المنافسة بين تجار ذوي قدرة مالية كبيرة وبعضهم الأخر ذو نفوذ وخبرة أقل ومنهم من هو مبتدئ فمن يسيطر على السوق ويحتكر البضاعة حتى في الحرب ؟ بل حتى لو أجرينا منافسة في ميدان التجارة نفسها على قدم المساواة في الفرصة العامة النظرية حسب وكان قسم منهم ممتلئا إلى الحد الذي بإمكانه بالاحتكار والمضاربة أن ينتزع من الآخرين فرصتهم العملية هذا إذا افترضنا أن بإمكانهم أن ينافسوه من الناحية العامة فهل ستكون أمامنا منافسة عادلة ؟ ولك أن تتصور النتائج يا جلالة الملك إذا ما استند بعض التجار في ظروف اعتيادية إلى نفوذ من يتحالف معهم في المصلحة من بين رجال السلطة! وليس للتجار الصغار من يتحالف معهم بنفس قوة التأثير والنفوذ...**
أجاب الملك:

- **من الطبيعي أن نكون والحال على وصفه هذا أمام نتائج مختلفة ... إن ما تقولينه صحيح .**

- **إذا لك أن تقيس الحالات الأخرى بهذا وان تقيس نتائج أي منافسة تجريها السلطة ويختلف فيها ميزان القوى عند خط البداية ... وعودة للإجابة عن سؤالك ...**

- **ولكن ماذا علينا أن نفعل ؟**
قال الملك:

أولا أن تعمل على أن تكون جزءً حياً من الشعب ضميراً وموقفا وعملا وأن تكتسب خبرة العمل والموقف الصحيح بالحوار والاطلاع على معارفه ومفردات الحياة وحركتها في الميدان مثلما هي تماما وليس مثلما يحاول أن يزينها لك الوسطاء بينك وبين الحياة من أصحاب العناوين الأخرى لمسؤولية الحكومة وأن تبتعد عن تسمية ولي عهد لكي يسعى من يسعى لهذا المنصب بالإخلاص

والكفاءة وأن تلغي صفة الأمراء على أساس الوراثة وأن تضع وعاء قانونيا لهذه الصفة بحيث يحوزها صاحبها بالتميز وليس بالولادة والوراثة كأن تجعل مثلا عدد من يحملون هذا اللقب وامتيازاته عشرين أو ثلاثين فقط وأن يشترك في المنافسة عليه وفق شروط الموضوعية الأمراء السابقون. وأصحاب الكفاءة. والموقف العالي من الشعب أيضا. وأن تحدد لهم رواتب شهرية لتبعدهم عن محاولة نهب الشعب أو تخلص الشعب منهم..

- ولكن لماذا لا ندعهم يتاجرون ويقومون بما يقومون به من أعمال وسط الشعب ليعيشوا بدلا من أن نحدد لهم رواتب من الدولة؟

- إنهم ينهبون الشعب يا جلالة الملك. ولا يعلمون ويستخدمون الشعب ولا يرعوون ... ومن بإمكانه أن يقوم بعمل حر نزيه هو من يتساوى في شروط المنافسة مع الآخرين على قاعدة الفرصة لمن يحوز شروطها ولكن كيف يمكن لمواطن عادي من العامة مثلما تقول أن ينافس أمير؟ إنهما خطان متباينان للانطلاق يؤديان إلى نتائج متباينة ليس على أساس الاستحقاق والقياسات العادلة وإنما على أساس اعتبارات وقياسات غير عادلة!؟

- هذا صحيح... قال الملك وأردف:
ولكن ماذا لو مات الملك ، أو قتل في حرب مثلا فمن يتولى شؤون المملكة؟

- يمكن جمع الأمراء لاختيار من يصلح ملكا من بينهم بصورة حرة على وفق قواعد يجري وضعها لهذا الغرض ... وعندما يكون الكل أحراراً ومتساوين في السلطة فإنهم سيختارون الأفضل بينهم.

- ولكن كيف يمكننا حل موضوع الخبرة المكتسبة؟... قال الملك..

- ينبغي أن تعدهم إعداداً متساويا كأن تجعل منهم مجلس شورى تستشيره في شؤون حكمك ... وتشركهم في القرارات التي تتخذها....

- هذا يعني أنك تغيرين أساس الحكم في المملكة... كيف يمكن لمن يحملون صفة أمراء حتى لو سلمنا باقتراحك أن يشاركوا الملك في القرار؟ إنهم ليسوا ملوك لكي يجلسوا مع الملك كشركاء على قدم المساواة ليتخذوا قرارات باسمهم .

- أنا لا اقصد هدم المملكة من أساسها وإنما بناء أساس جديد ليرتقي البناء عليه... لأن ما يكون أساسه هشا لن يكون بناءه إلا هشا ولأننا نريد بناء رصينا ليحمي ويصلح درعا للصمود فإننا يجب أن نضبط أساسة وأنا لم اقل أن يتخذ مجلس الأمراء والأعيان قرارات بأسمائهم وإنما باسمك فحسب بل لا ضير حتى لو اتخذت قرارات باسم هذا التجمع وقرارات أخرى باسمك حصراً حتى لو أشركت من تشركه باختيارك في الاستشارة على أمر بعينة أو مناقشته لإغناء الحوار وزيادة عمق التبصر والتدبير ... ومع كل هذا اعرف واسمع عن أمراء وملوك يجلسون صوريا مع ملوك أجانب بما يوحى بأنهم على قدم المساواة معهم وغالبا ما تصدر قرارات بأسمائهم وكأنهم متساو الإرادة عند اتخاذها بينما واقع الحال غير ذلك ... إذا يمهر بعض الأمراء والملوك على قرارات هي بالأساس ضد مصالح شعوبهم وأمتهم وينطوي مهرهم على إهانة حتى لهم .. بالإضافة إلى إهانة شعوبهم بل وأحيانا يوقعون على استباحة بلدانهم من جيوش الأجنبي أو اقتطاع جزء من ممالكهم يفعلون هذا كله مع الأجنبي ويستكثرون على شعوبهم... أليس هذا في اتخاذ القرارات ومعالجة مصائر ممالكهم وشؤون شعوبهم ... أليس هذا امرأ غريبا يا جلالة الملك؟! وربي لو تصرف الملوك بجزء من هذه المرونة التي هي في جوهرها ليست غير استخذاذ للأجنبي ولو تصرفوا بجزء مما تسمونه مرونة في عرف الملوك مع شعبهم لصار تاج ممالكهم على رأس كل واحد منهم ولحملهم شعبهم على رأسه وهم أحياء ولحمل نعوشهم على كتفه عندما يموتون

- وهل يحملني شعبي على رأسه لو فعلت ذلك ؟ وهل يفعل الشيء نفسه عندما أموت!؟

- بعد عمر طويل يا جلالة الملك نعم سيحملونك على رؤوسهم ويضعونك في قلوبهم ويحرصون عليك وعلى أمنك بضمائرهم...
قالت زبيبه ذلك ثم أردفت مع نفسها:

- إن الملوك حريصون على أن يرتبوا شأن موتهم وهم أحياء بدلا من أن يفعلوا الخير ليحوزوا المكانة اللائقة حيث رحاب ربنا ، يسعون لحيازة ما يعتقدون ويريدونه وهم أحياء على الأرض ... إنهم دنيويون في الحياة والممات على حد سواء ...فمن أين تأتيهم رحمة ربنا الرحيم ؟...
قالت الجملة الأخيرة بصوت سمعه الملك :

- أتؤمنين برب غير أربابنا يا زبيبه؟

- نعم يا جلالة الملك أؤمن برب واحد أؤمن بخالقك وليس بمن تخلقه أنت أو أخلقة أنا..أو يخلقه النجار ... والنحاس مثلما هي نماذج أربابكم..

- وما هو شكل الرب الذي تؤمنين به يا زبيبه أهو أكبر من أربابنا الذين ننحتهم من حجر ، أو عقيق ،أو ذهب ، أو فضة ، أو رخام وكل على أساس إمكاناته؟

- لا يا جلالة الملك إنه ليس مادة...

- إذا أهو أبيض مثل بعض الملوك الذين يأتون إلينا أحيانا من البلاد القصية؟ أو أسود كعبيدنا ؟ أم أسمر مثل غالبية شعبنا؟ أو كيف...؟

- إنه الله يا جلالة الملك وهو سبحانه نور يغشي السماوات والاراضين ومنه وبإرادته المحيطة بكل شيء خلق كل شيء.

- أهو حداد؟ أم نجار؟ أم...؟ كيف يخلق كل شيء ؟ ما هي مهنته؟..

- إن مهنته هي إرادته وقدرته اللتان وسعتا كل شيء يا جلالة الملك.

- وكيف يتسنى لواحد وحده أن يخلق كل شيء يا زبيبه؟

طرق النادل الباب مستأذنا بالدخول وجاء يحمل إليهم (زهورات) مغلية في إبريق ومعها ما يحلى به المنقوع أو المغلي بعد أن يضعه في قدح وبقي هو ومن يرافقه واقفين من غير أن ينصرفا مع أن العادة الدارجة تقضي بأن يتركا المكان بعد أن يؤديا واجبهما...
التفتت زبيبه إلى الملك وقالت له:

- النادلان لم ينصرفا يا جلالة الملك ربما يستأذنانك في أن ينصرفا ... بعد أن غمزت له بطرف عينها...
ومع أنه ارتبك أمام غمزة عين زبيبه ذلك لأنة لم يتعامل مع حالة كهذه من قبل لأنها عادة شعبية تستخدم كإشارات غزل في محيط يحضره من لا يراد له أن يعرف وتستخدم أحيانا لتنبيه من يغفل وهي عادة لا يستخدمها الملوك لأنهم لا

يحتاجون إليها في الغزل ولا للتنبيه إذ أن لكل وسائلة المتصلة بظرفه وقدرته ... ولان مكان الملوك يتسع لقول ما يقولونه وجاهة وليس إشارة وليس على ألسنتهم حراسة تمنعهم أو تقلص فرصهم تعبيرا عن رغبتهم حتى عندما يبدون إعجابهم بمن هو من محيطهم فإنهم لا يحتاجون إلى الغمز بالعين مثلما فعلت زبيبه.
أذن الملك للنادلين بالانصراف ...
وعندما قال مرافق النادل أنهما هنا ليكونا في خدمة الملك وليعرفا ما إذا كان المنقوع بحاجة إلى ما يحليه إضافيا ...أو إنه يروق لجلالة الملك بعد أن يتذوقه.. مرة أخرى غمزت زبيبه للملك بطرف عينها وقالت:

- لو يأذن جلالة الملك اتركا المنقوع على هذه الطاولة وإذا احتاج الملك إلى المزيد سأتولى هذا عنكما ... فقد تماثلت للشفاء وبإمكاني أن أكون في خدمة جلالة الملك.
التفت الملك إليهما وأمرهما بأن ينصرفا...
عندما انصرفا وربما كان احدهما لا يزال في مدخل الباب ، هم الملك بأن يرتشف شيئا من القدح ولكن زبيبه كانت أسرع من حركة يده إليه وهمست في أذنه:

- لا يا جلالة الملك... أرجوك لا تشرب منه .
تساءل الملك وهو مبهوت من حركة زبيبه!

- ولكن لماذا لا أشرب منه !؟

- سأوضح لك.
عندما ابتعد وقع أقدام النادلين همست في أذنه:

- أخشى أن يكون فيه تدبير سوء يا جلالة الملك .

- كيف؟ولماذا؟

- قد يكون سهما ساما جديدا يريدون إطلاقه عليك وعلي هذه المرة .

- ولكنه منقوع(البابونج) وليس سهما!

- أقصد من تشبيهي هذا بالسهم أنه وسيلة جديدة أرادوا أن يسموك ويسموني معك لكي يقطعوا أثرك وأثر من قد يكون شاهداً يكشفهم أمام الشعب ومن يعنيه أمر حياتك كموقف منه.... ولكي نقطع الشك باليقين ابعثه إلى من تخصه بثقتك من أصحاب الشأن ليقولوا هل لك في المنقوع شيء ضار أم أنه سليم !؟
قال الملك:

- نعم هذا صحيح لنفعل ذلك ...

- عادت نتيجة الفحص بعد حين بما يشير أن المنقوع مسموم فعلا..
التفت الملك بعد أن أحاطه الخبير الذي طلب مقابلته ليبث له ذلك صوب زبيبه ليقول لها:

- لولا زبيبه لهلك الملك ...لولاك يا حبيبة لهلكت...والله...

- أرجوك قل لولا الله ولطفه بأن جعلنا نحب بعضنا لهلكنا كلانا .... أليس الشعب درع الملك وسيفه؟... والملك رمز عنفوانه وحكمته وضميره وعنوانه بين الأمم وساعده الذي يحمل رايته ونخوته في كل حين ؟... ألم أقل لك يا جلالة الملك أن الله يحمي عبادة الصالحين وأن الشعب عمق بيت الملك وحجته وفعله الطاهر الأمين وقدرته الخلاقة!؟

- بلى والله ، لولا الله والشعب لهلكنا ....قال الملك...
لاحظت زبيبه بنشوة أن الملك يقسم بالله لأول مرة ... إذ لم يسبق له بأن فعلها من قبل....

****

امتلكت زبيبه صحتها تماما ...وصارت تتنقل بين القصر وبيتها على ظهر جواد أبيض وترتدي ملابس جيدة من التي يأمر بها الملك أو تشتريها من الأسواق وكانت كلما خرجت من أبواب القصر تحيي رجال حرسه ولا تكتفي بانحناء من رأسها أو بتحيات بيديها مثلما يفعل الأمراء والأعيان والمقربون وانما تسلم أو ترد السلام قولا وتتوقف عند البوابات لتسال عن حال هذا أو ذاك من الجند عندما

لا تراه في واجبه وعندما يقولون لها انه مريض تعوده في بيته أو تبعث إلية بحزمة من الورد تقطفها بيدها من حدائق القصر ثم صارت من بعد تأمر بمن تأمر بذلك وعندما تخرج من القصر يرافقها من يحمل من مائدة الملك بعد أن ينصرف الملك عنها شيئا من الطعام والحلوى وعندما تعود إلى القصر بعد أن تخرج منه تحمل إليهم ما تشتريه لهم ... وتسأل فلاحي حدائق القصر عن أحوالهم وإذا وجدت كبير سن بينهم هده طول العمر أو هم الفقر تأمر بأن يرتاح يومه أو بعض يوم وأن لا يعمل وهكذا الحال مع الخدم أيضا حتى أصبح الكثرة الكاثرة داخل القصر عدا الأمراء والأميرات والأعيان والمقربين السابقين يرتاحون من تصرف زبيبه ويتناقلون أخبارها بمحبة وصار لها وقعها خارج القصر ... وسط الشعب كانت زبيبه عندما تتردد على بيتها يستقبلها زوجها بترحاب أعلى من السابق ويبدي رغبته فيها أكثر من السابق ولكنها وجدت نفسها تنشطر يوما بعد يوم وبخاصة عندما تكون مع زوجها في السرير ... تجد أن روحها صارت هناك قرب أو في قصر الملك وتجد أن جسدها هنا على سرير زوجها .... فتخاطب نفسها:

- أليست الروح غير الجسد ؟ وتجيب:

- ولكن أفضل صورة الإنسان هي وحدة الروح مع الجسد!؟ أليس الإنسان بعد الولادة وفي كل خطى حياته روحاً في جسد!؟ ألا يحصل الانفصال بينهما فقط عندما يموت الإنسان !؟ وهل منظر الإنسان وهو ميت أفضل أم وهو حي؟... إذن أنا الآن ميتة في بيتي وقد تظهر النتانة في جسدي مع زوجي وأنا معه في السرير بعد أن تفارقني روحي ...وهناك عند الملك تكون روحي بلا جسد فيكون مداها غير مكتمل ومع أنها تزهر بدورها ليصحوا الملك على نفسه ويمتلك زمانه ولكن يبدو أنها لقياساتها الإنسانية الخاصة بها ينقصها ما تتمنى إكماله ... وما دمت أحس بهذا الانشطار فلا بد من حل حاسم يجعل الروح في الجسد ليكون على أفضل ما يكون عليه الإنسان أليس الناس في الجنة أرواح في الصور التي يريدها الله سبحانه وفق إرادته وهم على أفضل حال من كل حال!؟
وعندما عادت زبيبه إلى القصر وجلست مع الملك قال الملك:

لقد قطع النادل ومن كان يرافقه من موظفي القصر علينا حديثنا عندما قدم لنا منقوع(البابونج....)

- **أي جانب تقصد من حديثنا يا جلالة الملك؟**

- **اقصد حديثك عن ربك يا زبيبه...ها...ها ...**

- نعم هذا صحيح يا جلالة الملك ... أترى يا جلالة الملك كيف تشغل الحياة الناس حتى عن ربها؟...

قال الملك:

- نعم حتى أنني لم أرَ ربي منذ أسبوع ذلك لأنه موضوع في باحة ضاع مفتاحها داخل القصر أو أن المكلف بفتح الباب معتقل مع المعتقلين ...لا أدري!!

- أما أنا ففي كل لحظة أرى ربي وليس في كل يوم وساعة... يا جلالة الملك.

- كيف ترينه يا زبيبه وأنت في هذا القصر بين هذه الجدران السميكة ؟

- أراه في نفسي يا جلالة الملك ... ألم أقل لك أن قبس كل نور منه سبحانه وأنه محيط يا جلالة الملك وموجود فينا ومن حولنا ... وهو خالقنا وربنا ...

- ولكن هل يراك ربك يا زبيبه؟ وهل يرى أولئك الذين يؤمنون به..

- نعم يا جلالة الملك إنه يراني ويرى كل المؤمنين به مثلي يرانا في كل ظرف وحال عندما نعبده ونُخْلص في عبادتنا له وعندما ندعوه تشفعاً وخشية يرانا ويسمعنا.. وعندما يعصي أمره من يعصيه يراه ويسمعه كلا وفق شاكلته إن عقاب فعقاب والثواب لمن يستحقه كعاقبة للمتقين..

- هل يسمعكم ربكم أيضا؟

- نعم. ويسمعنا ربنا عندما نناجيه مخلصين

- ولكن أربابنا لا يسمعوننا إلا عندما نقترب مكانه منهم بل حتى انهم لا يسمعون ولا يروننا إلا عندما نكون في مدى النظر معهم ولا يمنع نظرهم عنا حاجز ... ولذلك فهم لا يروننا عندما نخرج من بيوت العبادة مع العطايا والنذور التي نقدمها لهم أو هكذا يقول المستفيدون المكلفون بخدمتهم... وبواسطتهم نسمع أن نذورنا وعطايانا قد قبلت وأن الرضا عنا قد تحقق فنتصور أننا صرنا مرئيين ومسموعين منهم .

- أليس أربابكم مرئيين؟

- نعم يا زبيبه انهم مرئيون...

- ويمكن الإحساس بهم باللمس؟...

- نعم ويمكن الإحساس بهم باللمس؟...

- ويستجيبون لكم؟...

- نعم. ويستجيبون لنا وفق ما ذكرت

- وكيف يستجيبون لكم يا جلالة الملك؟

- يستجيبون لنا عندما يرضون عن أعمالنا ومنها ما نقدمه من قرابين لهم... فكلما كثرت القرابين التي يقدمها أي واحد منا كان رضاء الإله أكبر...

- ألا يفترض أن يكون إلهكم لكل الناس الذين يؤمنون به يا جلالة الملك ؟

- نعم .

- ولكن للملك إلهه الخاص... وقد يشرك به الخاص والأمراء والكبار التجار والمضاربين والأعيان وحسب ...إذن .. إلهكم ليس لكل الناس يا جلالة الملك.

- بإمكان من يريد ويقدر أن يجعل له إلها يناسب إمكاناته .

- أي إمكانات تقصد ؟

- إمكاناته المادية طبعا.... ولذلك يختلف حجم كل اله ونوع المادة التي يصنع منها والمكان الذي يوضع فيه ومستوى بنائه بين إله وإله...

- إن ألهتكم مادية يا جلالة الملك أليس كذلك؟

- وماذا تقصدين بهذا يا زبيبه؟

- اقصد انهم مرئيون وملموسون..

- إذن هم من مادة

- نعم هم كذلك .

- فلماذا لا تكون عطاياهم مادية وملموسة بما يكافئ نذوركم وقرابينكم وفورية يا جلالة الملك؟

- ماذا تقصدين بهذا يا زبيبه؟

- أقصد أن يعطوكم واحد بواحدة... ادفع تقبض.

- ولكن هذا مبدأ التجارة وليس الآلهة فقد ندفع من غير أن نقبض شيئا وقد... وسكت الملك ..
كان من الواضح أن الملك أراد أن يقول : وقد لا ندفع شيئا وتعطينا .. ولأن هذا غير صحيح سكت ...
عندها ابتسمت زبيبه وقالت في نفسها:

- بل تدفعون ولا تعطيكم شيئا في حقيقة الأمر .. تأخذ منكم ... ولا تعطيكم..

- إذن لا تعطيكم آلهتكم شيئا إلا عندما تهدونها أشياء وتعطيكم بدرجات على

أساس قدر كل واحد منكم وفق ما يقدر الآلهة سواء وفاء لنذر أو ما يقدم من قربان!؟ وإن القيمة المادية لآلهتكم مراتب وطبقات على وفق ما تملكون وعلى أساس هذا.. أي على أساس التوفير الذي يتميز به صاحب الملكية الأكبر وفق ما تتصورون وتؤمنون وعلى أساس مستوى النذور والقرابين ولأنها غير متساوية وفق ناموس موحد فإنها تأتي متفاوتة على أساس ما يملك وليس على أساس نسبة مما يملك فإنكم حتى وأنتم تقدمون القرابين والنذور لآلهتكم غير متساوين أمامهم وهم غير متساوين مع بعضهم ومع انهم كلهم يشتركون بصفة الإلوهية .

- نعم هو كذلك .

قالت زبيبه:
- إذن عطائكم المادي مؤكد ولكن وفائهم لكم غير مؤكد .

عندها قال الملك:
- أعيدي الجملة الأخيرة .

- أقول... إن عطائكم المادي(لهم) مؤكد ووفائهم لكم غير مؤكد يا جلالة الملك ...

- **نعم هذا هو شأن آلهتنا..**
- **أتعطيني الأمان يا جلالة الملك؟**
- **أنت حبيبتي ورفيف قلبي ولذلك أتعامل معك بالطريقة التي تعرفين وعلية لك كل الأمان يا زبيبه؟**
- **أريد أن أقول يا جلالة الملك ولا اقصد أن أجرحك وانما احتراما لك ولقدرات عقلية فيك أرى لو أن فيها لو انطلقت من عقالها والثقل الذي تنوء تحته في موضوع الآلهة وطبيعة الحكم ومؤامراته ما يخدم شعبنا خدمة كبيرة وأنا أقوم بهذا خدمة لك يا جلالة الملك ... وبالتالي خدمة لشعبي...**
قطع الملك على زبيبه كلامها قائلا:
- **لا تقولي أن في قدراتي ما يخدم الشعب وانما قولي إن فيها ما يسدي جميلا إلى الرعية لأنني سيد الشعب لا خادمه.**

- عفوك يا جلالة الملك نعم أنت سيده وخادمة أيضا _ لا لست خادمة يا زبيبه.

- صبرك علي .. وارجوا عفوك يا جلالة الملك...لا اقصد أن من يخدم الشعب يعني أن يقدم خدمة لكل واحد من الشعب بنفس الطريقة التي يخدم بها الخدم المستأجرون الناس باجر وانما اقصد انك عندما تكون سيد الشعب على أساس مبادئ ثابتة ترعى بها مصالح الشعب وتحمي سياج بلدنا وتنمي بها ثروة الأمة وتحافظ على معانيها وثوابتها العالية وتأتي بكل ما هو كبير ومفيد للشعب والمعاني التي يلتئم عليها كسدة ولحمة وكأناس سلموك زمام أمرهم فإنما تخدم مبادئهم وهذا هو الوصف الصحيح لمعنى خدمة الشعب .

قال الملك:

- ولكن هل يتعارض وجود الأجنبي على ارض بلاد الغير عنوة مع المعاني العالية؟ آلا ترين كيف أن الملوك والممالك من حولنا قد استقدموا الأجانب من هناك... من بعيد ولا يزالون على أرضهم هناك ؟... هل ترين أن في ذلك ما يعيبهم ملوكهم !؟

- نعم يا جلالة الملك إن وجود الأجنبي فعليا على أرض الغير عنوة أو استضعافا لهم ووجود نفوذ له على حساب ابن البلد وتقاليده أو القرارات الحرة لملكة أو حاكمة نقيض لمعنى أن يكون البلد حرا وأبناء البلد أحرارا في بلدهم..

- يقول الملوك من حولنا إن هذا أفضل ..

- وما هو الأفضل يا جلالة الملك!؟

- يقولون الأفضل هو أن يبقى الأجنبي على أرض الغير وأن يحجم عليهم قدراتهم لكي لا تكون حرة بما يتعارض مع رغبات الأجنبي وخططه!!..

- لماذا هذا أفضل يا جلالة الملك!؟

- لكي لا يكونوا خدما للشعب عندما يكون بلدهم معافى خاليا من أجنبي

- ولكنهم بهذا يصبحون خدما للأجنبي يا جلالة الملك .

- قد يكون ذلك ولكن الأجنبي سيسحب جيوشه يوما ما مثلما يقولون ويغادر إلى حيث أتى ... سيسحبها وعند ذلك سيغدون أحرارا من غير ثقل الشعب وقيوده وبذلك تصبح أيديهم طليقة بدلا من أن يكونوا خدما للشعب

والأوطان وبعد ذلك أيضا لا يكونوا حتى خدما للأجنبي مثلما يتصورون لأنة سيكون بعيدا عنهم ...!! أليس هذا معقولا يا زبيبه!؟

- **لا يا جلالة الملك الأمر ليس بالبساطة التي تقول حتى لو سلمنا بجانب من مفاهيمك لأغراض الحوار فحسب.**

- **كيف ذلك يا زبيبه؟**

- **عندما سيكون من يفكر بأمانيه تتحقق ببساطة على وفق ما يتصور من حال خادما فعليا للأجنبي بل أسيرة أيضا أسيرا ذليلا سلم نفسه لعدوا أمته دون أن يقاتل كما يجب ودون أن ينفذ عتاده أو ينكسر رمحه أو سيفه أو قوسه ... خادما بلا أجر مثل الذي يعرض نفسه للخدمة في بيت أو متجر أو ما شابه ذلك وإنما بعمل لا ينطوي على الحد الأدنى للمهنة المشروعة وهناك فارق جوهري آخر هو أن الأجير بعقد على الكيفية التي ذكرناها مع المواطن الاعتيادي تتيح أمام المواطن الاعتيادي أن يفسخ العقد أو يعدل بعضة بإرادة حرة نوعا ما إذا ما توفرت أمامه فرصة عمل منافسة بينما لا يستطيع الملوك ذلك عندما يكونون خدما للأجنبي .... وهنا سيكون شعبهم ضدهم بعد أن يفقد الثقة كليا بملوكهم وعندما يكونون على هذا الوصف في عملهم وموقفهم لن يلتئم شعبهم عليهم من بعد أبدا وقد لا يغفر لهم أيضا إن الشعب يعطي الحاكم المبتدئ ومن يرتكب خطا في مسيرة تنطوي على ما يعز الشعب ويصون استقلاله ويحرص على مصالحه فرصة وفرصا ليعمل من جديد ويصحح ولكنه أي الشعب لن يغفر لمن يخون ... ومن يقبل بإرادته دون أن يرفض ويقاوم مع الاستعداد والتصرف على أساس التضحية العظيمة حتى لو اقتضى الأمر التضحية بكل شيء وبالتاج أيضا .... ومن يقبل بدور الأجنبي بما يلغي كرامة شعبه والمعاني الكبيرة لسياج العز لوطنه لن يسامحه الشعب أبدا وسيستمر يتربص به الدوائر وعند ذلك سيشعر الملك أو الحاكم المعنى بالعزلة ومن يشعر بالعزلة يشعر بالوحشة بل قد يرتجف من خيال.... وحالك يا جلالة الملك لن يكون خارج هذا الوصف لو أصبحت مثل الملوك الذين من حولنا وعند ذلك ستبقى ضمن قبضة الأجنبي وطوع بنانه وستبقى خادما له في كل شيء يطلبه سواء راق لك ذلك أم لم يرق وعندها ستفقد لذة الشعور العظيم بأنك خادم الشعب وسيده أو قل سيده وخادمه ولن تكون سيدا أبدا في ظل نفوذ الأجنبي وسطوته بل خادما وخادما ذليلا وليس خادم مهنة ضمن ما هو مشروع فهل الأفضل أن تكون خادما للشعب وسيده أيضا وفق هذا الوصف .... أم خادما وذليلا للأجنبي! ؟**

- **بل سيد الشعب وخادمه يا زبيبه.**

- قامت زبيبه وطوقت الملك بذراعيها وقبلته على جبينه من غير أن تستأذنه ..... أليس من عادة الملوك أن يستأذنهم ابن الشعب قبل أن يهم بتقبيلهم أو يرفضوا ذلك ... أما إذا أرادوا أن يقبلوا أي امرأة من الشعب ممن يعتقدون أن جلالة الملك لا يجعلها ترفض طلبهم فليسوا بحاجة إلى أن يستأذنوا أحدا!!

قال الملك:

- مرة أخرى أعود لأقول انك تكلمت معي عندما كنت أزوركم في بيتكم الريفي الملاصق تقريبا لدار ذلك الملعون حسقيل... وتكلمت معي عند زيارتك لي في قصري بخبرة ابن الشعب وبمعرفة المطلع على شؤون الحكم فكيف وفي أي ظرف تسنى لك ذلك على وجه التحديد !؟

- هل الإجابة مهمة لديك يا جلالة الملك إلى حد الذي ليس أمامي إلا أن أجيب عنها ؟
استغرب الملك من تردد زبيبه في الإجابة واستهواه أن يتعرف على الغامض الذي وجدت في إيضاحه ترددا فقال:

- أليس الوضوح والتكافؤ أهم ما ينبغي أن تستند إليه أي عشرة!؟

أجابت زبيبه:

- بلى يا جلالة الملك..

- أليس التكافؤ ضروريا بين المحبين يا زبيبه؟
قال الملك هذا مستعيرا جانبا من كلام زبيبه معه وكأنة أراد أن يذكرها بمفاهيمها ليسهل عليها أمر الإجابة...

قالت زبيبه:

- نعم يا جلالة الملك وقد قلتها لك من قبل...

- إإذن هل تحبين لنفسك ما لا تحبينه لغيرك يا زبيبه؟

- **معاذ الله أن افعل ذلك فأكون صاحبة أثرة وعندها لن أصلح لأكون موضع ثقة جلالة الملك.**

- **إذن أجيبي عن سؤالي؟**

- **أمرك يا جلالة الملك**

كان واضحا أنها كانت تفضل عدم الإجابة عن هذا السؤال أو عن جزء منه على الأقل لولا انه لم يعفها عن ذلك .

- **لقد قلت وتحدثت إليك بما يتصل بالشعب إرهاصات ومشاعر وطريقة تفكير وقبول ما يمكن أن يقبله ورفض ما يرفضه..**

وعندما قالت (ورفض ما يرفضه) استدركت لتقول:

- **مع أنني لم أعبر أمامك عن كامل موقف الشعب في هذا ...وانما عن الأساس فيه....**

- **ولكن لماذا لم تعبري عن كامل موقف الشعب في هذا ؟ الم أمنحك حق التكافؤ في الحوار يا زبيبه؟**

- **بلى يا جلالة الملك ولكن لم أرد أن أثقل عليك قبل أن تتهيأ لتتحمل ثقلا أو التزاما .... أن تتحمل رفض الشعب لما يرفضه .**

- **إذن تصرفت وفق اجتهادك وليس لأنني رفضت ذلك؟**

- **نعم يا جلالة الملك وفق اجتهادي ..لأنني أحس بك.**

- **كيف يا زبيبه؟**

- لقد عودتني الحياة وعودت غيري من الشعب على قبول ما لا يتمناه إذا كان ذلك حقا لغيره عليه ولقد نشأت ونشأ كل واحد من الناس مع هذا منذ بداية حياته ... ولكنك لم تعتد على هذا إذ أن الأساس الدارج في حياتك أن تقرر وينفذ الآخرون وليس أن تقرر ما تقدر أن الشعب أو المحيط الذي حولك لا يرفضه وان تتراجع عن قرار لا يحظى بتأييد الشعب أو في الأقل عدم رفضه إذا ما أتيحت أمامه فرصة الرفض.... لذلك فانك بحاجة إلى أن تعتاد على المستوى الجديد من العلاقة ووصف المسؤولية وممارستها على أساس هذا اجتهدت أن لا أقول لك دائما وأنا بموافقتك يا جلالة الملك جعلت ممثلا لضمير الشعب ... كل ما لا يقبله أو يرفضه الشعب ولكنني وعلى أساس خطتي سأقول لك.

- ولكن ألا يتعين أن اعرف كل شيء يا زبيبه لاتخذ قراري النهائي على هدى ووضوح كافيين في كل شيء أو أي شيء أساس لأكون على بينة مثلما يكون الشعب على بينة مني لأقبل أن انتمي إلية مثلما هو ويقبل أن تنتمي إليه مثلما أنا!؟

- نعم يا جلالة الملك ولكن التدرج ضروري ومع أن الأعماق تبدأ من الشاطئ فإن الناس غير مهيئين وقادرين كلهم على أن يسبحوا في الأعماق ويستقبلوا زخم أمواجها مثلما لو سبحوا في منطقة قريبة من الشاطئ .... ولكن ليس بإمكان احد أن يصل سباحة إلى أعمق نقطة في نهر أو بحر من غير أن يذهب إليها بعد أن يتهيأ لذلك نفسيا وعمليا.

- هذا صحيح يا زبيبه ... إذن ستقولين كل شيء فيما بعد وستطلعينني على أي شيء مما يتصل بالشعب؟؟؟.

- نعم يا جلالة الملك حلوة ومرة.

- وهل في الشعب ما هو مر يا زبيبه مثلما هو في دهاليز الملك وقصور الملوك؟.

- نعم يا جلالة الملك ولا .

- وكيف يا زبيبه؟

- نعم فيه ما هو مر ... ولكن مرة ليس على الوصف نفسه فيما لو جاء المر من دهاليز قصور الملوك ... فيه الرغبات غير المشروعة والتصرف الذي لا ينطوي دائما على شيء من التهذيب وفيه الطمع

- أيطمع الشعب مثل الملوك؟

- الشعب لا يطمع يا جلالة الملك وإنما أناس فيه ... ولكن طمع كل منهم على قدر وصفه وحاله.

- وماذا بعد!؟

- فيه من يختلط عليه الحق بالباطل ولا يتبينهما إذا كانت رغبته معاكسة.

- على وصفك هذا يا زبيبه معنى ذلك أن حالي أو لأقل حالنا مثل من يحتمي من الرمضاء بالنار.

- ليس هكذا يا جلالة الملك ... إن المؤامرات والمواقف المرفوضة والدسائس وغير ذلك مما يحصل في قصور الملوك أو في مواقفهم إزاء الشعب وقضاياه ليس سببها عدم الوضوح أو ضعف الوعي والثقافة والإعداد على ما ينبغي وإنما أشياء أخرى تكونت داخل النفوس حتى صار مرضها مستفحلا... أما من يمكن أن يوصف من الشعب بأي وصف غير حسن مما ذكرناه فيمكن إصلاحه ، أو علاجه بالوعي والوضوح والإعداد وعمق الإيمان وتطبيق القوانين العادلة تطبيقا حازما.

- أيحتاج الشعب إلى الحزم أيضا يا زبيبه؟

- نعم يا جلالة الملك... يحتاج الشعب هنا إلى الحزم لكي يحتمي الخيرون بالحزم ويخشاه ضعفاء النفس والموقف.

- ولكن أليس الحزم وسيلة إليها من هم ضمن العناوين الكبير وفي قصور الملوك فحسب!؟

- نعم يا جلالة الملك ولكن نستعين بالأغلبية على الأقلية وسط الشعب بينما داخل قصور الملوك لا توجد أغلبية تنطبق عليهم الأغلبية الخيرة والصحية وسط الشعب .

قال الملك:

- نعم لقد فهمت ... لنعد إلى موضوع سؤالي ..كيف تعلمت شؤون الحكم والملك وأنت على ما أنت عليه عندما عرفتك أول مرة وحتى الآن!؟

- لا يا جلالة الملك انك لم تعرفني كما يجب!؟

- وكيف يا زبيبه؟

- أيمكن لرجل مثلك أن يعرف كل شيء عن امرأة مثلي!؟

- ماذا تقصدين يا زبيبه!؟

- من عادة النسوة أن لا يظهرن على السطح بكل ما هن علية لطباع فيهن اعتدن عليهن ولحاجتهن إلى ذلك في الحياة وأمام الرجل ... ومع ذلك لم تسألني السؤال نفسه من قبل.. لم أشأ أن أطلعك على ما انوي اطلاعك عليه الآن..بعد أن سألت ولكن لقاء شيء...

- قولي يا زبيبه!!

- أن نأخذ استراحة لأشمك وأقبلك ...
قال الملك بعد أن ابتسم:

- والله لقد هممت أن اطلبها منك يا زبيبه الحبيبة... ولكن الشعب يسبق الملوك في مبادراته لأنه أقرب إلى الحياة ... أليس هذا ما تودين أن تقوليه يا زبيبه؟

- لو لم تقله لقلته أنا يا جلالة الملك؟

- بعد أن تمتعا مدة من الزمن في استراحتهما عاودا الحوار
قال الملك:

- أنا في أتم الاستعداد والتهيؤ النفسي لأن أكون في خدمة ملكي..
قال الملك:

- ها أنا استمع البك يا زبيبه
عاودت زبيبه الكلام وكأنها تصحو من نوم أو حلم:

- نعم صحيح أنا جاهزة يا جلالة الملك

- قالتها بشي من الارتباك والجزئي

- كان بيتنا كما تعرف قريبا ويكاد يكون لصيقا بقصر حسقيل وكان في بادئ الأمر ينوي أن يهدمه لأن منظره لم يكن متجانسا مع البناء الباذخ الذي كان علية القصر ... بيت مبني من الطين ومغطى بالخشب وحصران القصب وفوق ذلك كان الطين أيضا ومع أن كل مادة البناء كانت بخسة الثمن وان البناء شيد وفق تصور بسيط هيئة والدي فقط حاول والدي أن يجعله مريح من الداخل حيث أفاد من أي (جص) فائض على حاجة القصر ليجعل جدرانه من الداخل مطلية به ويفيد من بعض الشبابيك القديمة التي تركها في مقبرة الأنقاض عمال حسقيل حين هدموا بيتا قديماً كان مبني في مكان قديم ليجعل البيت من الداخل مضاء بنور فضاء الكون المحيط عشنا في هذا البيت أنا وأبي حتى اقترنت بزوجي وبقينا مع والدي أيضا .
هنا توقفت زبيبه لتحاكي نفسها

هل أقول للملك كل شيء .. وأي شيء.. عن علاقتي بزوجي ؟ وعن أحاسيسي ومشاعري تجاهه هذه العلاقة؟
ثم تقول لنفسها بنفسها:

- إن الحكمة التي تقول إن المرأة التي تشكو علاقتها مع زوجها لغريب إنما تستدعيه إلى نفسها أو تعطيه إشارة على هذا صحيحة... لا لن أقول له كل شيء ..أو أي شيء..
ومرة أخرى تعود إلى نفسها لتسألها:

- أليس الملك ولي أمرنا وبإمكاننا أن نقول له كل شيء عندما نشكو همومنا إلية؟ ... ثم كيف له أن يساعدني إذا لم يقتنع بموقفي !؟ وكيف له أن يقتنع بموقفي من غير أن تكون أمامه الحقائق كما هي!؟
واصلت كلامها بصوت مسموع:

- كان زوجي يتصرف معي كأنه استأجرني لأغراضه الجنسية .. وكان يتصرف معي كأنه كبش في قطيع من النعاج أنا واحدة منهن يدفعني دفعا إلى الفراش لهذا الغرض من غير أن يبذل مجهود ليهيئني .... ويتصرف من غير أن يسألني وغالبا ما كان يحرج والدي حتى أن والدي غالبا ما كان ينام خارج البيت ليتجنب الحرج ولا يدخل البيت إلا مضطر أو كلما وجد أو قدر أن زوجي قد لا يكون داخل البيت وأنا معه تصور يا جلالة الملك لمجرد أن يسجل لنفسه انتصارات يسألني: كم مرة عملناها اليوم يا زبيبه!!؟ وماذا بقي لنحوز على الرقم المعتاد؟هكذا كان يسألني ويتصرف من غير أن يقيم وزنا لمعرفة ما إذا كان هذا موافقا لرغبتي آم لا!! ومن غير أن يجعل من ذلك تعبيرا عن جانب من مشاعره الإنسانية إزاء من يحب .... بل ينظر إلى عملة هذا كأنه كل ما لدية في العلاقة بينة وبيني ..بل ويظهر أحيانا عندما أناقشه كأنه في هذا يريد أن يقول انه يحبني بقدر المرات التي يحصيها في علاقتنا بالسرير أو أن هذا هو وحدة الذي في قدرته وحوزته تعبيرا عن صلته بي ...وربما خطر في باله أن يقول إن هذا هو ما يعبر عن وفائي لدينه الذي سجله في رقبة أبي كمهر لقاء قبولي به زوجا.

- لا....
ابتسم الملك... وبدا أنها عرفت أنه أراد أن يقول: كيف ولماذا لم تنجبا مع أنكما شابان وتعملان كل هذا الذي قلته!؟
قالت زبيبه:

- في بداية زواجنا حسب حملت بأنثى أجهضها بعد أن رفسني على بطني حين طلبني إلى السرير وترددت في القبول وكان غالبا ما يضربني ضربا مبرحا ... ولم نرزق بعد ذلك بطفل...
واحمد الله على أن ذلك لم يحصل.

- كيف تقولين هذا يا زبيبه !؟ أليس الإنجاب واحد من عناوين رسالة الأحياء في الحياة؟

- نعم يا جلالة الملك ولكن ليس كل رسالتهم..

- نعم ليس كل رسالتهم عندما لا يقدرون وهي جزء من رسالتهم عندما يقدرون

- نعم صحيح يا جلالة الملك ولكن من القدرة الرغبة

- نعم يا زبيبه ليس بالإمكان تصور القدرة في هذا من غير رغبة

- على أية حال قالت زبيبه إن زوجي قادر على أن يحصي المرات التي يقوم بها بعمله في السرير وما يتصل به ولكنه لم يستطيع استنفار الرحم وروحي ليتهيأ كل شيء للإنجاب ... كان يقوم بعمل تلقائي محض كالذي يقوم به الرجل في السرير من غير رغبة المرأة...
ورغبة المرأة يجب أن تراعي في السرير وتكون ضرورية أحيانا لكي يحصل الإنجاب يا جلالة الملك ومن غيرها قد لا يكون هناك إنجاب.
قال الملك وهو يبتسم:

- إن رغبة المرأة يجب أن تراعى إذ من غيرها ليس هناك ما يتصور أنه ممكن ... أليست هي نصف المجتمع!؟ وإذا كانت سلبية إزاء نصفها تعطل حركة دفة مركب الحياة فكيف إذا حاولت على النصف الثاني وهي صاحبة التأثير الكبير فيه!؟

- نعم هكذا وصلنا إلى فهم مشترك ... أليس ذلك لأننا قادران على التفاهم

- نعم يا زبيبه هكذا هو الحال الآن رغبة وقدرة مشتركة وتكافؤ يحس به طرفاه سواء تحت عنوان الشعب من ناحيتي ومن ناحيتك وكلنا باتجاه ما نقتنع به وليس لأحد منا أن يفرض على الآخر ما لا يقتنع به...
وأردف الملك مبتسما:

- إلا استثناء وتحت ظروف بعينة ولحالات على وجه التحديد.

- نعم يا جلالة الملك.. هذا صحيح .. يا من روح زبيبه فداك..
لقد صرت تتحدث تقريبا بذات الروحية التي تتحدث بها

- مع كل هذا تقولين تقريبا!!

- نعم يا جلالة الملك ألا يقتضي أن تحسب بقايا التأثير في حالك منقولا من الصورة السابقة لما كان عليه الملك قبل التحول الكبير؟ أليس عنوان الملك غير عنوان الشعب؟ ولذلك لا بد من القول(تقريبا (وليس (كليا) لكي لا ينسى الملك عنوانه في أمور محددة ويتحمل ثقل قيود العنوان عليه وأن لا ينسى الشعب ذلك لكي لا ينسى واجباته إزاء الحكم والسلطة فيتحمل وزره من العلاقة من غير أن يتململ منه...
كان حسقيل يدعو إلى حفلة يقيمها في قصره يوميا بعد مغيب الشمس يحضر إليها أمراء ووزراء وأعيان وتجار كبار وسماسرة كبار.. نساء ورجالا .

- وهل للمسامير عناوين لها تدرجها كما في الحكومات وعوائل الملوك !؟

- نعم يا جلالة الملك لكل عنوانه حسب تأثيره ضمن الوسط الذي يختص فيه ففيهم الكبار... والصغار.... والوسط... وكل من هذه العناوين يعمل وسط مسميات مقابلة لها وسط الدولة والشعب وأحيانا على الأوصاف والمستويات الاجتماعية لمن يسمسرون عليهن....

- وكانوا يحضرون على قدم المساواة في التعامل مع كبار العناوين التي ذكرت يا زبيبه!؟

- نعم يا جلالة الملك على قدم المساواة في التعامل تقريبا

- لقد قلت أيضا تقريباً

- نعم يا جلالة الملك لأن من يقبل العلاقة مع إنسان ليس عن طريق قناعة وانما عن طريق سمسار هو كالسمسار تماما بذات المنزلة والقيمة وآمر طبيعي أن يتعامل معه بنوع من التكافؤ لان السمسار إذا رفض لن يحضر (الشيء) إلى

الطالبة وإذا رفض الطالب لن يحصل السمسار على مبتغاه..
- لقد جعلت الإنسان في منزلة الشيء يا زبيبه!

- نعم يا جلالة الملك ذلك لان من يعرض نفسه وجهوده بهذه الطريقة يكون قد تنازل عن إنسانيته لذلك فهو شيء وليس إنسانا.
وأردفت قائلة:

- كانوا يرقصون فيها ويشربون الخمر حتى الثمالة.. ويفعل كل منهم ما يوافق هواه من غير أن يسأل إلا إذا كان التصرف يقتضي طرف أخر في العلاقة وعن ذلك لابد أن يرغب فيها أو لا يظهرها في الأقل .... تصور يا جلالة الملك كانوا أحيانا يلعبون لعبة الافتراس في الغابة في بعض الليالي المقمرة وخلاصتها أن يخرجوا خارج القصر إلى البساتين المحيطة به وإلى فنائه جال ونساء ثم يحاول كل رجل على امرأة لا على التعيين كل امرأة أمام كل رجل معرضة لان يفترسها رجل يوحون بان ذلك كان يحصل من غير اتفاق مسبق بين أي رجل وآي امرأة وعلى المرأة أن تقاوم الرجل بيد عزلاء وحسب وعلى الرجل أن يحاول عليها حتى يواقعها عنوة أو هكذا يتظاهر المفترس والمفترسة ثم يعودون بعد ذلك ليروي كل منهم ما هو طريف في لعبة الافتراس هذه،،، وكان حسقيل الملعون هو مصمم ومهيأ كل هذه البدع..

- وماذا عنك يا زبيبه؟سأل الملك..

- وماذا تظن في يا جلالة الملك؟ قالت زبيبه..

- أظن كل خير فيك وكل موقف ذي شمم ورفعة يا زبيبه ولكنك كنت وسط حال هذا وصفه..

- نعم يا جلالة الملك ... أن الوسط يمكن أن يجر إليه من يضعف أمام صفاته الضعيفة ولكنه لا يقدر على جر الأقوياء أصحاب القدرة التي تنبع من داخلهم ... لقد كنت وفق ما تظنه وتأمله في يا زبيبه بنت الشعب وضميره لقد كنت أتغيب عن ميدانهم قبل أن يبدؤوا ممارسة لعبتهم الشنيعة ولكنني كنت ارصدهم عن كثب وكان بعض النسوة يرفضن ولكن سرعان ما يطلقهن أزواجهن خوفا من أن يلحقهم عار حسقيل وأعوانه وشلته المقيتة ... وإذا رفضوا تطليقهم يحاربهم حسقيل وشلته حتى يطيعوا ... إلا واحد من بينهم هو زوجي ... ولا أعرف لماذا وكيف؟ سمحوا له بأن يشاركهم لعبتهم مع انه لا يصطحبني معه ولا يجرؤ ليطلب

ذلك!؟
كانت لي صديقة من النادلات وكانت لي رغبة شديدة لكي أرى حياة أولئك لأتعرف على طريقة تفكيرهم وإرهاصاتهم ... لقد تعلمت من حياتي وبقى أن اعرف حياة الآخرين لأعرف ما يخصهم ...اتفقت مع صديقتي على أن البس مثلها ملابس الخدمة التي تؤديها عادة لضيوف حسقيل وهي ملابس مميزة لنادلة في القصر ... وأقوم بما تقوم به من تقديم أباريق الخمر والأقداح وأحيانا اسكب الخمر في الأقداح لكل حسب طلبه .. وأقدمها إليهم وغالبا ما يلاطفونني أثناء ذلك ..وفي بعض الأحيان ادعى لأكون معهم في لعب القمار
وعندما شعرت أن الملك استغرب أن تجالسهم في القمار وفي ظنه أنها قد (مارست) لعبه .. قالت زبيبه:

- لا يا جلالة الملك مبادئي لا تقبل الازدواجية ... كنت أجالسهم ولكن مبادئي لن تمس .. لم أمارس لعب القمار أو اسمح لأحدهم ممن تدور في رأسه الخمر أن يسقيني خمرا إذ كنت اعتذر منه بلطف...
قال الملك:

- أيجلسونك معهم يا زبيبه؟

- نعم يا جلالة الملك يجلسونني معهم وأحيانا يحاولون علي متوسلين ولكن من غير جدوى...
قالت ذلك كأنها أرادت أن تتباهى بهذا أمام الملك...... واستطاب لها ذلك وأردفت قولها ذلك بالقول:

- ليتك شاهدت منظرهم أمراء كبار وزراء وتجار ينحدرون أحيانا ليقبلوا قدمي.. قدمي أنا زبيبه بنت الشعب بأمل أن ألبي رغباتهم ولكنني كنت ارفض بشمم....
قالت زبيبه ذلك ونسيت أن من تتحدث إلية هو ملك...

- ولكن ألم تكن دعوتك إلى مجالستهم ومحاولة خطب ودك لاستمالتك إليهم ميزة لأولئك باعتبارهم نسوا طبقتهم في علاقتهم معك!؟

- لا يا جلالة الملك أرادوا أن يمتلكوا الشعب في بعد أن عجزوا عن امتلاكه وفق ما أرادوا من قبل...

- وكيف يمكنك أن تخمني أن الأمر كان معك على هذا الوصف؟

- هناك فرق يا جلالة الملك بين من يلغي الفوارق والمراتب الاجتماعية داخل نفسه وعقلة ابتداء وفق تعامله طول الخط تعبيرا عن موقف مبدئي لضميره وعقله وبين من يتصرف على موضوعات انتقائية استجابة لأهواء الناس ولفترة زمنية بعينها ... لذلك بإمكانك أن تعرف مثل الشعب يا جلالة الملك الفرق بين الحالين من خلال التعامل ذلك لأن التعامل الذي يعبر عن الموقف الأصيل تجاه الشعب لا تغيره الظروف والأحداث والهوى ... أما التعامل غير الأصيل فان التمثيل فيه يكشف بسهولة... إن الصلة الصميمة بالشعب يعبر عنها الاقتدار والإيمان المبدئيان ... أما الصلة التي يحاول أصحابها بالتمثيل أن يعرضوها كأنها حالة أصلية فإنها تنكشف بسرعة لأن الأولى تستمر والثانية تكون لمناسبات بعينها وهي محض إمكانات فنية وليس اقتدار ورغبة إنسانية .لذلك فان التودد معي من جانبهم ليس إلغاء لفكرهم وموقفهم الدوني إلي وإنما تعبيرا فنيا عن رغبتهم في الحصول علي.

- وماذا كنت تفعلين يا زبيبة؟

- كنت مثل مثل من يمشي في حقول من الحفر بليلة بلا قمر إلا ما تضيئه نفسه.

- أحسنت يا زبيبة.. إن الضوء داخل النفس هو الضوء الحقيقي الذي لا يدع العين تخطيء ولا القلب ولا العقل...

- نعم هكذا يا من فدتك روحي .. هكذا تكلم ليسمعك الناس في الكون كله..تكلم مثلنا أو كن قريبا منا حتى لا يكاد يفرقك عنا غير مستلزمات عنوانك من أجلنا.

- أحسنت يا زبيبة أو لم تضيفي عبارة منك هذه المرة.

- وهل بإمكاني أن أتحمل غضب حبيبي وملكي؟

ضحك الاثنان

جاءهم كبير موظفي القصر لينبه الملك إلى أن عددا من الأمراء يريدون رؤيته قال الملك:

- من هم؟
بدء كبير الموظفين يتلو أسمائهم ..
سمع الملك القائمة كلها .. وأمره بأن ينصرف إلى أن يستدعيه ليبلغه بالموعد المناسب .
انصرف كبير موظفي القصر .. وحسنا فعل الملك .
ومع أنه فعل ذلك من غير معلومات مسبقة تجعله يشك في ما هم عازمون عليه عرف الملك فيما بعد أن تجمعهم ليقابلوا الملك كان جزءا من خطة المؤامرة التي أعدوها ضد الملك وزبيبة والتي من بين فقراتها أن يطلبوا أن لا يدع زبيبة تدخل القصر بعد أن أصبحت زيارتها إليه شبه يومية وصارت كأنها مستشارة دائمة للملك وبخاصة في شؤون الشعب وقضاياه ...
واصلت زبيبة كلامها:

- لقد رأيت كيف يتآمر التجار الكبار على الصغار ومتوسط القدرة وكيف تتآمر كل كتلة من كبارهم على الكتلة المنافسة وبعد ذلك كيف يتنافس كل تاجر على تاجر آخر ينافسه وبنفس طريقة التجار وخسة ال** منهم ..بل وبنفس طريقة الصراع بين السماسرة يتآمر الأمراء على الملك ..عليك يا جلالة الملك .. وعندما يناقشون من سيخالفك أو يكون ولي عهد للملك يختلفون في ما بينهم ويتآمرون كتلا ثم فرادى على بعضهم لقد رأيت وهذا ما المني كثيرا كيف أن اثنين من الأمراء خسرا في القمار وكيف أن احدهم باع سيفه وآخر باع درع التاجر جاء من بلاد عيلام بنصيحة من حسقيل ليواصلوا لعب القمار ولا ينتظرون إلى اليوم التالي ليواصلوا ما عجزوا في يومهم أن يفعلوه ... ومثلما كثر يفعلون بل وفعلوا هذا بعدة حربهم وجيادهم إما إلى تجار من بلاد عيلام أو إلى حسقيل أو لمن يأتي من هناك.. من بعيد.. فعلوا كل هذا ومع ذلك أكاد أقول في نفسي: من أين لهم الأسلحة إذا أرادوا أن يهاجموك؟ ولكن نفسي تعيد إلى الجواب: إن القادر على شراء أسلحتهم وعدة حربهم لقاء لعبة قمار قادر على أن يشتريهم لقاء مساعدته لهم في إنفاذ مؤامرته المشتركة معهم وعند ذلك بإمكانه أن يعيرهم عدة حرب فقط ليقاتلوك ومن ثم يعيدونها إلى أماكنها بعد ذلك حيث تخزن ولا تستعمل.**

- أيفعل هكذا لعاب القمار!؟

- نعم يا جلالة الملك وقد يبيع زوجته أليس قبول وجود الزوجات بين الرجال في مكان يلعب القمار ويشرب الخمر فيه قبولا ضمنيا بشيء من هذا؟

- وكيف يا زبيبه؟

- إن قبول الزوج بوجود زوجته بمكان لعب القمار وتشرب الخمر فيه يعني قبول ضمنا بأن لا يغار على زوجته من عيون الرجال بل أحيانا ربما حتى همساتهم وابتساماتهم المصوبة ..أليس من واجب الرجل أن يحمي زوجته من اعتداء الآخرين عليها ومن نفسها أيضا!؟ فهل وضع الزوجة أمام ما قد يغريها تصرف مسئول في حدة الأدنى؟... لقد فعلها الأمراء والتجار والأعيان المعنيون وكل من كان يحضر تلك الدعوات بل كان حسقيل يشعر من يتردد إزاء ذلك بأن لا مكان له بينهم إن لم يفعلها بعد أن يكون قد مارس علية شتى أنواع الضغط التي من بينها إشعاره بأنه متخلف وقاصر من أن يرتقى إلى مستواهم إذا لم يفعل ذلك ...بل هناك ما هو سيء كهذا أو أسوء منه إذا جاز لنا أن نعطي درجات متباينة لمثل هكذا سوء... أتعلم يا جلالة الملك انهم يدخلون أصحاب العيون الزرق القادمين من بعيد إلى معابدهم فيما يحرمونها على من له حق أسبق من حقهم فيه!؟ هل بقي بعد كل هذا ما هو مقدس لديهم فعلا؟ بل هل بقيت لديهم سمات لأي معنى كبير بعد الذي فعلوه!؟ وهل بقيت لديهم أخلاق ينتمون بها إلى أي شيء مشترك مما يربط شعبهم بشعبنا وأبناء البلدان الأخرى من حولنا؟ ... وهل بقيت فيهم أو هل هي بالأساس فيهم كمعان الإنسان يمكن من الحد الأدنى من الصفات الايجابية فيه إقامة جسر يحصل علية التلاقي للعمل على أهداف بعينها بصورة مشتركة وهل يمكن هذا بعد كل ما حصل يا جلالة الملك!؟ هل يمكن هذا!!؟ وأجهشت زبيبة بالبكاء على الحال المزري لأولئك ... ثم عاودت الكلام بعد أن مسحت دموعها يعاونها الملك في إعادة التوازن إلى نفسها:

- من هذا الوسط ...ومن نشأتي تعلمت ما ينبغي يا جلالة الملك تعلمت ما هو معاكس لخلقهم وسلوكهم وتفكيرهم لمجرد أني رفضت سلوكهم وتفكيرهم رفض واع مبصر بعد أن اشمأزت نفسي مما رأيت وتعلمت ما يجب أن نبني عليه ونبني بعد أن اهتديت إلى مصالح شعبي وتطلعاته من خلال ضميري الحي المتصل بإيماني العميق بدورة ورسالته المجيدة

- أحسنت يا زبيبه قال الملك.. وقبل أن يشعرها بان جاء التوقيت المناسب ليفترقا وفق سياق كل يوم...
قالت زبيبه:

- والآن بعد أن عرفت كل شيء هل يضايق مليكي إذا التمست شيء منه ؟

- بل انك تأمرين يا زبيبه

- عفوك يا جلالة الملك واشكر لك عطفك وحنانك

- بدأت تتكلمين كأنك تقابلينني لأول مرة!!

- لا يا جلالة الملك ولكنه التماس مواطن من ملك ... واللياقة والأدب يقتضيان ذلك... أليس من بين عناصر القدرة المؤثرة في الإنسان التزامه باللياقة وتذكرة وعدم نسيانه دواعي الأدب والجم؟

- نعم هذا صحيح يا زبيبه بل إن المقابل يكون أكثر استعدادا للإصغاء والتفاعل مع من يحترم سياقات اللياقة لمناسبتها ويحافظ على سلوك مؤدب وهو يجالس ويخالط ويخاطب الناس ويتعامل معهم..
تفضلي وقولي يا زبيبه!

- بعد أن سمعت قصتي كلها بما في ذلك قصتي مع زوجي ألا يحق لي أن اطلب التفريق من زوجي!؟

- وما الذي يمنعك إذا كنت مقتنعة بهذا يا زبيبه؟

- أليس هناك ما يمنعني غير ضعفي..

- وهل أنت ضعيفة يا زبيبه؟

- نعم يا جلالة الملك أمام الحق كل باطل ضعيف

- وما هو الحق؟ وأين نقيضه في هذا؟

- لقد دفع زوجي مهرا لوالدي وكان والدي محتاجا لهذا المهر بعد أن رفض إقراض والدي مبلغا من المال ريثما يتجاوز ظرفه آنذاك ومع أن زوجي هو ابن عمي فإنه لم يكن يعتد بصلة القربى والدم المشترك وأراد أن يتزوجني مستغلا حاجة والدي لذلك المبلغ من المال الذي كان ابن عمي يملك الشيء الكثير منه بعد أن خالط شلة حسقيل ولا اعرف متى وكيف خالطهم... ومع أن والدي عرض علي فكرة الزواج منه وخيرني فيه لأنني كنت سابقا أرفض ابن عمي كلما تقدم للزواج مني ومع أنني قلت له سابقا أنني قد

أوافق على طلبه إذا ترك شلة حسقيل وعاداتهم وهواياتهم ومع أن والدي عرض علي فكرة الزواج في المرة الأخيرة وترك لي حرية أن أوافق أو أرفض فقد وافقت شرط أن أبقى في بيتنا الذي زرتنا فيه وله أن يوجد على طول الخط معنا أو أن يزورنا من حين لآخر لأنه استرق عادات أسيادة أو خلطاءه في القمار في قصر حسقيل وتزوج كثيرات وصار له جواري مثلهم ... ومع إنني قبلت الزواج منه وفق الشرط الذي قبله هو الآخر فإنني لا اعتبر الذي حصل زواجا وانما محض بيع وشراء .... والأدهى من ذلك ان زوجي يتصرف معي كأنه أراد بشرائه لي أن يدوس على كرامتي أراد أن يسحقني بنعله ولكنني قاومت وقاومت.... إذ أن المبادئ العظيمة عندما تستقر داخل النفس تعطي الإنسان قدرة صمود ومطاولة ومقاومة ...
قاومت حتى تعرفت على مليكي
ومع أن مناكدات زوجي وتطاوله علي بالضرب و الإهانة خفت بعد زيارتك لنا في البيت وترددك علينا لأسباب تستطيع أن تعرفها فقد بقيت مبيعة له ولن تفك رقبتي منه حتى أتحرر من المبلغ الذي دفعه لي .

- أهذا هو كل ما يمكن أن يساعد في تحريرك يا زبيبة بعد أن تتخذي قرارك النهائي بشأنه!؟

- نعم يا جلالة الملك هذا هو كل شيء ... وأهم شيء... لقد قبلت الزواج وسط الظروف التي بينتها لك لكي لا أبقى عالة على والدي الذي صار مع الزمن في وضع لا يستطيع أن يؤمن الحياة لي وله.. إضافة إلى أنني لم أكن ولا لحظة واحدة اشعر بالسعادة منه لذلك فإن الافتراق ينبغي أن يكون بأسلوب لا يعبر عن رغبتي الآن حسب وإنما أن يؤدي الحق لأصحاب الحق أيضا
قال الملك وهو مبتسم:

- لك كل هذا عند ذلك اندفعت زبيبه وطوقت رقبته وقبلت رأسه وجبينه... وقبلت يديه وعندما همت أن تقبل قدميه منعها من ذلك ورفعها بيديه حتى وقفا وجسديهما يكادان يلتصقان وقبلها بين عينيها............
بكت زبيبه حتى سالت دموعها على خدي الملك وقميصه...... ثم مسحت دموعها وهي تقول:
) _الله يخليك) لي ولشعبك ... إنك بحق ملك بلادنا العظيمة........

****

في التوقيت التقريبي لمغادرتها همت زبيبه بأن تستأذن الملك لكي تنصرف إلى بيتها إلا أن الملك لم يأذن لها بالانصراف ..... وفتحت موضوعات أخرى للحديث غير التي كانا يتحدثان عنها......

سأل الملك زبيبه:

- **كيف يمكنكِ أن تصفي حبك لي الآن يا ***بتي؟**

- مع أني أقول كلمة (أحبك) يا جلالة الملك فإنني أقولها بعد أن تتخلل كل كياني لينطق بها لساني لذلك فإنني أقولها كالآخرين ولكن ولادة كل حرف منها ومنبعه يختلفان وربما يختلف حتى مسار حروفها حتى تتكون وتشكل كلمة احبك وإذا أردت المزيد يا جلالة الملك أقول إن الإنسان عندما يشعر وهو ضمن وسطه الاجتماعي الذي يعيش فيه بأن الأشياء من حوله تضاء هي وكل ما يرى بما في ذلك عناصر الطبيعة بل ولا تكتسي بالضوء إلا من شعاع حبه الذي دونه تكون بلا نور فإنه عند ذلك يكون أحب حبا خاصا فعلا ..... ولذلك إنني كنت أحس وأؤمن بأنني لست على خطأ عندما أحببتك يا جلالة الملك رغم أنني لا اعبد إلهكم القديم... لقد أحببتك في روحي يا جلالة الملك بعد أن أصبحت العلاقة بيننا تضيء الحياة من حولنا وبعد ذلك أليس من حق الروح أن تسرح إلى ميدانها ؟ وان ترتقي إلى حيث ترتفع لان الروح حالة ارتقاء؟ ...أليس الإنسان من غير روح شيئا من عظام وماء فحسب ؟ وهل ثمة من هو قادر على أن يحبس الروح أو يحدد حركتها في حيز وفي معنى واحد؟... أليس الله فقط هو القادر على أن يحدد إلى أين ينبغي أن يكون مستقر الروح ومآلها؟...

- **بلى يا زبيبه هذا صحيح...... ذلك أن الحب يتأثر بالأشياء إذا ما بقي ميدانه القلب فحسب وليس الروح أيضا ومن يتأثر بالأشياء فحسب يتشكل على أساسها ويأخذ لونها ويتأثر بقيمتها حسب درجة تأثره بها قوة أو ضعفا ومن ذلك قد ترى المحب يجزي حبيبته وفق هذا فهو يفصل العيون عن الأسنان والأنف والصدر والفم ..و..و.. وربما يفصل كل الجسد عن الإنسان فيحب الجسد فيما لو نظر إلى ميدان الحب الإنساني كله روحا وجسدا عشرة ومعنى طباعا وحركة لان الحب يكون قد وجد ميدانه وأخذ شكله ولونه ومعناه وحركته من هذا الوصف وتأثر به وليس مجرد صلة ما يسمى حبا بالأشياء ومن الأشياء أجزاء الجسم التي أحبها رغم أي درجة من الأهمية التي تعطي لها وفق ميزانها الطبيعي ... وعندما يأخذ الحب لونه ومعناه من الأشياء فحسب يكون الحب قابل لأن يتغير وقد تضعفه الحواجز والمحددات التي تعترضه أو قد تغير اتجاهه بينما لا تقوى كل هذه على**

أن تؤثر في الروح سلبا ولهذا ولغيره يحتاج الإنسان إلى اله بعيد وخارج الملموس والمرئي وليس جزءً من الأرض أو شيئا من الأشياء التي عليها ... وعلى هذا أحببتك .. يا زبيبه وأردتك لروحي معبداً ورمزا...طيبا ودواء .
تساءلت زبيبه:

- لماذا؟ وكيف أحببتني على هذا الوصف يا جلالة الملك ؟

أحببتك يا ***بتي على هذا الوصف لأحب الشعب فيك ومن خلالك ..لقد فهمتك بعد أن سمعت منك... فهمتك بعد أن عرفت تصرفك ومستوى تضحيتك وعرفت أن كل هذا تحقق فيك واهتديت إلى إلهك لأنك جزء حي من الشعب تؤمنين بدوره.. وتحبين الوطن ..وأحببت الشعب أيضاً من تسامي حبي لك .. وأحببت بعد هذا بل مع هذا إلهك.. أحببت يا زبيبة... الشعب حبا عظيما... فأحببت إلهك .. أو أن إلهك هداك إلى حب الشعب بعد أن أحببته ... وأدركت مع هذا أن ليس هناك تناقض بين حب الحاكم للشعب وحبة للإله بل أدركت أن من لا يحب الشعب لا يمكن أن يحب الإله الواحد ... مثلما هو وصف ربك.. يا زبيبة.. بينما التناقض كان واضحا بين ألهتنا وبين أن نحب الشعب لأن ألهتنا تحقق رغباتنا كلا على أساس عنوان طبقته أو وظيفته الرسمية بينما رغبات الشعب في اتجاه معاكس لذلك قررت بيقين عظيم بعد أن أحببتك واهتديت إلى أن أحب الشعب أن أكون على دينك وأترك الهي بعد أن حطمته لانسجم مع نفسي بعد أن صرت أنا أيضا احبك بروحي .....وأحب الشعب وبروحي أفتديكما وبها اتجه إلى إلهك طالبا غفرانه ورضاه....
وعندما نطق الملك (الجملة الأخيرة) فاض الدمع من مآقي عينيه وساح على خديه وشاربيه فنهضت زبيبة مع المدرار من دموعها لتطوق الملك وتقبله على جبينه وتقول:

- نحمد الله على الخلقة والولادة والمسار وعلى الدور والمال وعلى ما أعزنا وأسعدنا به ونسأله سبحانه اللطف في قضائه ... اللهم آمين يا رب العالمين.

قال الملك:

- آمين

بعد برهة التفت إلى زبيبة وقال لها بشيء من الحرج الذي كان بادياً عليه.

- ما دمتِ تحبينني على هذا الوصف وما دمت أحبك على ما قدمت لك من وصف أتقبلينني زوجا لك وفق شريعة ألهك يا زبيبة!؟

ومع آن المفاجأة عقدت لسان زبيبة برهة من الزمن وطفحت السعادة حتى بانت في عينها .... ووجنتيها ...شفتيها فقد تمالكت نفسها لتقول للملك:

- **ليس من عادتي أن أناقش طلبا شخصيا من الملك... ولكن ليسمح لي مليكي بأن أبين رأيي إذا أراد أن يسمع رأيي.**

دهش الملك وتملكه العجب لأن زبيبة لم تستقبل فرصتها مثلما يفترض أن تكون قياسا بما هو درج ومعروف لو لم يكن الحال مع زبيبة ولكن ليكن يداري الملك الحرج الذي وقع فيه وهو يتذكر في الوقت نفسه استحقاق خواص زبيبة قال مع نفسه :

- **إن زبيبة ليست كالأخريات ... ولها رأيها الخاص في كل شيء.... ولأنني عودت نفسي على آن احترم رأيها .**

أو في الأقل استمع إليه باحترام وبما تستحقه من تقدير ومحبة ينبغي أن استمع إليها...

قال الملك وهو يبتسم مع شيء من الحرج الذي يمكن أن يلاحظ عليه بسهولة في كل الحالات التي تسبب له الحرج أو الانزعاج ..... ألا ينزعج الملوك عندما يظهر من يعاكس رغباتهم آو مناهجهم وخططهم!؟

- **أنا جاهز لأستمع إلى رأيك يا زبيبة..**

راحت زبيبة تناجي نفسها:

ولكن من أين لملوك هذا الزمان تصورات مسبقة وخطط؟ أليس كل شيء موضوعا من الخارج وما عليهم إلا أن ينفذوا طائعين ..!؟.. ثم أليس ل* الحراسة مجال ينبح ويركض فيه معتمدا على سعة مجاله الذي يتحرك فيه على مستوى عمق ونوع الهدف والأهداف التي يكلف بها ؟ ..وإذا ما أراد القائم على أمره أن يربطه(يحصره) في مجال طوله ليس أكثر من متر مضروب في عرضة أو ربطه بحبل لا يتعدى طوله مترا إذا أراد التصرف بمملكته .. وإذا أراد أن يغدر بأحد من أبناء جلدته أو جيرانه أطال له الحبل وأوهم من أعد العدة ليغدر به أنه مربوط وهنا قصدت هذ١ المجال حسب عندما أشرت إلى معاكسة رغباته ... مع أنني أعرف أن هذا الملك ملكنا لا يشبه الآخرين ولكنه يشترك معهم في أساس قاعدة بنائه النفسي**

انتبهت زبيبة إلى نفسها فقالت:

أحببتك يا جلالة الملك . بعد أن أعجبت بأساسيات شخصيتك مع أني أساسا ضد الوسط الملكي... وضد القاعدة التي يحوز بها الملك من يصير ملكا وبخاصة

قاعدة الوراثة بغض النظر عن الكفاءة والأهلية والخواص ورأي الشعب وقد زاد نفوري من هذا بعد أن اطلعت على نموذج تجمعات وحفلات حسقيل التي هي واحدة من نتائج هذا النوع من الملك والملوك فقد رأيت في أساسيات صفاتك أرضية صالحة لكي تتطور وتحمل ثقل الشعب ومعانيه عندما تريد يا جلالة الملك ..... أما كيف ومتى تريد؟؟ فهو واجب اتخذته على عاتقي وعاهدت الله عليه... ومع ممارسة الواجب معك أحببتك نظرا لما وجدته فيك من فهم متوازن للمرأة ودورها في المجتمع ومن الطبيعي أن أقول أن اقتراني بك يتجاوز حلمي وأنه يلونه بألوان زاهية لم أكن أتصور من قبل أنها موجودة لولا أنني عرفتها من خلال عشرتنا معا.... إلا أن الزواج الآن قد يفسد رأي الشعب في ويجعله يتصور أن كل نضالي وصبري واحتمالي وما واجهت من صعوبات عظيمة كان من أجل فوزي بالزواج منك يا جلالة الملك وليس من أجله هو بالأساس ويضاف إلى هذا أنك حتى الآن بقيت تحت عنوان ملك ولا أظن أن شعبنا بعد أن نفر من نوع الملوك الذين تعامل معهم ممن استخذوا للأجنبي يطمئن إلى ملك بعد تجربته المريرة هذه مع أن في تاريخ شعبنا ملوكا مازالوا يحملون كدرر ثمينة ساطعة في تاج تاريخ شعبنا ولكن أين ملوك هذا الزمان من صفات و عظمة ملوك ذاك الزمان؟..
هنا انتبهت زبيبة أنها تخاطب في هذا ملك أيضا ... وعندما قالت:

- عفوك يا جلالة الملك أنا والله لا أضعك ضمن الوصف الضعيف الذي أوجه إليه سهامي هذه ولكن أتحدث إليك كأنك نفسي تقريبا....

- أتقولين تقريبا أيضا يا زبيبة؟

- نعم يا جلالة الملك لأنك لا تزال تحمل صفة ملك وأنا احمل اسم زبيبة،وصفة زبيبة بنت الشعب وضميره..

- ولكن إذا تزوجنا ستكونين ملكة وعند اتحاد الصفتين يحصل التكافؤ

- لا يا جلالة الملك لن يحصل التكافؤ لان صفة ملكة تكون تابعة لصفتك وليس حقا مستقلا قابلا للتصرف وفق جذور استحقاقه ومع هذا الحال بل وقبله سأفقد حريتي عندما أتحول من بنت الشعب التي اكتسبت حريتها بما في ذلك ما سمح لها الملك به من هامش آو ميدان تكافؤ في الحوار من صفتها النضالية كونها بنت الشعب في النضال وميدان الفعل وضميره الحي إلى مجرد حاملة لصفة ملكة ملحقة بصفة ملك ومفيدة بها مع ما يثقلها من قيود أخرى...

- جانب من هذا الوصف صحيح يا زبيبة وبخاصة ما يتعلق بالملكة ولكنك ستحوزين امتيازات من بينها الشهرة هي غير الامتيازات التي تتمتعين بها الآن.

- نعم يا جلالة الملك جانب منها وليس الامتيازات التي أتمتع بها الآن ولكن لقاء ذلك سأفقد حريتي ومنها جانب من الامتيازات التي أتمتع بها الآن..

- وما هي الامتيازات التي تتمتعين بها الآن يا زبيبة؟

- نوع من الشهرة يا جلالة الملك ونوع من التأثير ووصف الحال والدور..

- كيف يا زبيبة؟

- إن شهرتي الآن من دوري المشرف ومن كنيتي التي منحها الشعب لي: زبيبة بنت الشعب وضميره الحي ودوري أن امثل الشعب أمام الملك وضميره في الحوار وخبرته وعقله في ما أنصح به الملك وبعد ذلك فأنا حرة إذا أردت المجيء إلى الملك أو الامتناع عنه...
قال الملك:

- وبإمكانك أن تتخلي عن صفة ملكه وتنفصلي عن الملك إذا أردت ذلك في أي وقت...

- لا يا جلالة الملك لا أستطيع ذلك فأنا عندما أعتاد على كرسي الملك وتاجه وطريقة مخاطبة الناس لي وتعامل الحجاب والحاجبات والوصيفات معي كوني ملكة تحت أضواء الملك قد أتغير وعندما أتغير داخلي ليس بإمكان خارجي إلا أن يطيعه وإذا قلت إنني لا أستطيع أن أتخلى عن الملك وأعود إلى وسط الشعب أنى شئت أقول : انك ستتغير يا جلالة الملك عندما أكون زوجتك وعندها قد لا تعطيني مثل هذه الحرية حرصا منك على سمعتك في الأقل ذلك أن الملوك هم الذين يتخلون عن الناس وعندما يتخلى الناس عنهم يرمونهم بأقذع الصفات بدلا من أن يلوموا أنفسهم على النتيجة ولأسباب أخرى ما أزال أحتفظ بها وقد أقولها لك في مناسبة أخرى ... أرجوك يا جلالة الملك ... أرجوك .. ..أرجوك اقبل عذري واعتذاري وعليه حبذا لو تريث ملكي في الفكرة وأعطاني متسعا من الوقت لأقرر بما في ذلك اختيار التوقيت المناسب بعد أن يعرفك الشعب جيدا..

- إذاً اعتراضك على الشكل يا زبيبة وليس على الجوهر ...اعتراضك على صفة الملك وليس على إنسان الملك..فهل الشكل مهم إلى هذه الدرجة يا زبيبة؟

- نعم يا جلالة الملك إن أهمية الشكل بقدر تمسك صاحب الشكل به ولأنك حتى الآن تتمسك به فمعنى هذا أن أهميته وتأثيره في شخصك وفي نفسك بمستوى تمسكك به ثم أليس الشكل في أحيان كثيرة ذا تأثير جدي على الجوهر أيضا؟ لأنه هو الذي يرسم لشخوصه مسارهم وتصرفهم... ولو استعرنا حتى جانبا من شكل الملابس في هذا... وقلنا هل يبقى تصرفك وطريقة مشيك لو ارتديت ملابس الحرب وحملت عدتها كما هي حتى التفاصيل مثلما لو ارتديت ملابس العرش ووضعت تاج الملك فوق رأسك أوعندما ترتدي ملابس الراحة لتكون في مخدع زوجتك ؟؟؟ فإذا كان في هذا فرق بين فما بالك إذا كان الأمر يتعلق بصفة وصلاحيات وطريقة ولادة ملك لملك بلادنا!!؟

كانت زبيبة بعد أن اتفقت مع الملك على أن تنفصل عن زوجها ودياً تحقيقاً لرغبتها في فك الازدواج الذي كان يواجهها وهي تنتقل بين قصر الملك وبيتها حيث زوجها ورغباته آو قل تصرفاته بغض النظر عن صلة –أي شيء برغبته أو محض وظيفة يثبت بها وجوده معها أو تعبيرا عن انتصاره عليها وهو يخضعها لإرادته بأي طريقة من الطرق سواء عندما يوجه إليها إهانة بالكلام أو يخضعها قصرا في سريره أو يضربها لآي سبب تافه لكونها صارت حبيبة الملك ويتحدث الناس عنها بما هو أوسع نطاقا من حدود القصر الملكي ... أليس من سيكولوجيا الناس أن يتشبهوا بالمشاهير أو يعاكسوهم برد فعل شبه مريض هكذا ويقترنوا بمن هم قادرين على أن يكونوا شبههم في الصفات أو المزايا وبعضهم في شكليات الحياة والحركة أو ما يستعمله وما يرتديه المشاهير بما في ذلك تسريحة الشعر واللحية وطول وعرض قصر الشارب ونوع الضحكة والابتسامة والقهقهة.. الخ؟ أو يرغبوا في اقتناء نفس نوع ما يقتنيه المشاهير من سيارات أو خيول أو عصي أو معاطف وعباءات ولكن ليس العقال ذلك لان العقال في هذا الزمان صار متسما بالعار وهو على رؤوس أصحاب الشهرة من بعض الملوك والأمراء وأعوانهم ولولا أن ينقذوا العراق عندما وضعة صدر القوم فيه على رأسه لصار العقال مما تعافه النفس العربية بوجه عام ولقرأ العراقيون سورة من المعوذتين عندما يرون بعض المشاهير العناوين من العرب يضعونه على رؤوسهم....
أليس من عادة الناس أن يتشبهوا بالمشاهير في كثير من الأحيان وبخاصة أولئك الذين يجدون في الشكل عزاءهم في مداراة خواء الجوهر أو انهم يعاكسونهم حد الكرة الشديدة بلا مسوغ وللسبب نفسه تعبيرا عن خواء الجوهر في ذواتهم أيضا؟..
قالت الحكيمة وهي تضحك وكتعبير منها عن الشعور بحاجتنا ونحن نستمع إليها

عن الجدي من القول بشأن الملك وزبيبة بما هو طرفة أو قريب من ذلك لتواصل معنا القصة الغريبة المشوقة ولكنها تحتاج إلى تركيز المستمع على ما يسمعه منها ليعرف دلالتها ومغزاها...
عادت الجدة الحكيمة لتقول:

- **وبعضهم يتمنى محظيات الملوك وزوجاتهم وبناتهم.**

أليس التمني في جانب من وصفة هو التطلع لرغبة الحصول على ما هو بعيد عن الممكن يكون التمني غير التطلع ؟
واسترسال مع رغبتها في طرد أي ملل عنها تخص الجدة العجوز بمن هو في عمر يقرب من البلوغ من الذكور لتقول له:

- **ستحلم بان تحوز واحدة منهن هذه الليلة لو ركزت على ما تتخيله عنهن..**

وتقول لآخر في مثل سنه أو أسن منه:

- **وأنت يا ولد أراك قد سرح خيالك وفكرك بواحدة من بنات الملوك .**

ومع كل مداعبة من هذه ترانا نضحك كلنا صبايا وصبيانا ونحن في كامل الرغبة بعد أن نستجمعهما لتسترسل في سرد حكايتها المشوقة:
عادت زبيبة على ظهر فرسها البلقاء باتجاه بيتها بعد أن أصرت على أن تكون هكذا وحدها من غير أن يرافقها احد مع أن الملك اقترح عليها وألح في أن يرافقها أحد مرافقيه لكنها أصرت على أن لا يحصل هذا حتى كاد الملك يقرر من يرافقها لولا أنه شعر بإصرارها على أن لا تقبل ذلك وخشية أن يضع نفسه في حرج أو يجعلها تقبل على مضض قبل تبريرها وهي تقول:

- **يبدوا أنك يا جلالة الملك قررت أن تظهرني بسرعة مثل ما تظهر به الأميرات في مواكبهن وبذا تحرق سمعتي وقدرة تأثيري بين الناس ...ذلك لان واحدة من أهم قدرات تأثيري في وسطي الشعبي أنني صرت قريبة من السلطة ومصدر القرار وبقيت جزءً من ذلك الوسط ليس بروحي وعقلي حسب وإنما بتصرفي بل وحتى في جانب من الشكل فأنا وسطهم وجزءً من حياتهم أتريد أن تحرمني يا جلالة الملك من قوة تأثيري؟؟ هل صرت تبغضني إلى الحد الذي تريد أن تحرم سفني القدرة على العبور وحريتي التي هي جناحاي اللذان أطير بهما بين الأشجار وأتمتع بمنظر الورد والأزهار وأرفرف بهما حيثما تدلى غصن فوق سطح ماء الأنهار؟... أتريد لي الليل والظلام الدامس بما يحجب رؤيتي آم تريد لي النهار!؟**

قالت زبيبة كل هذا للملك ومع أنها كانت تقول بجدية فقد كانت تقوله بغنج وهي جذلة لا تفارقها ابتسامتها الجميلة حتى رأى الملك ابتسامتها (الشهد.)

- وما هو الشهد يا جدتي؟.. قلنا لها
قالت

- هو العسل
عندها لاحظنا أن كثر منا داور لسانه بين شفتيه وبان طرفهة وهو يلعق شفتيه تعبيرا منه عن الرغبة في الشهد
واصلت الجدة حديثها:

ركبت زبيبة فرسها البلقاء واتجهت إلى بيتها الذي يبعد مسافة خمسة فراسخ أو أكثر بقليل عن المدينة .. وكانت على جانبي الطريق الترابي الذي سلكته أشجاراً كثيفة وترع وكان ملوك أيام زمان غالبا ما يبنون قصورهم خارج المدن إلا إذا بنو مدينة جديدة احترازا من ثورات الشعوب لكي يتعذر على الشعب أن يقطع المسافة راجلا بين المدن التي هي بالأساس مصدر الثورات المفاجأة وبين قصور الملوك وان فعلها أبناء الشعب ستجعلهم قدرات الملوك والأمراء وقدرات أتباعهم يهلكون خارج المدن ..ذلك لان قلة من الناس داخل الشعب تملك عدة حرب موازية كما يملكها الملوك وحراسهم وشرطتهم حتى ما هو بسيط منها كالبغل والحصان والجمل والرمح والسيف والقوس وسهامه ولكي يكون هؤلاء الناس في وضع يمكنهم من مهاجمة قصور الملوك فإنهم بحاجة إلى أن يحتشدوا مع وسائلهم وهذا يتطلب تنظيما خاصاً إذا لم يكن سرياً ومنضبطاً بما فيه الكفاية يمكن اكتشاف التحرك قبل أن يأخذ التجمع صورة القدرة القادرة لتهاجم...
كل ذلك دار في فكر زبيبة وهي تأخذ طريقها باتجاه بيتها وعندما كانت مشغولة بكل هذا لاحظت حركة غير طبيعية من حولها بين الأشجار وهمت أن تلكز فرسها لتغير بها ولكن الطريق سد عليها بمن يركب الخيل من ثلة من الرجال الملثمين وهم يشهرون سيوفهم عليها ومع أنها امتشقت حسامها وحاولت أن تدافع عن نفسها ببسالة لكن أحدهم عاجلها بضربة عصى أو قضيب حديد على اليد التي تمسك بالسيف شلت حركتها مؤقتاً حتى سقط السيف من يدها في الوقت الذي كان اثنان من الشلة يشاغلانها بسيفهما ليلهياها عن الذي وجه إليها الضربة ...
والتقط أحدهم سيفها وعند ذلك انزلوها من حصانها وكتفوا يديها خلف ظهرها واقتادها احدهم مسافة من حافة الأشجار الملاصقة للطريق إلى جوف الغابة التي وقع الحادث وسطها فيما تنحى الآخرون جانبا عنهما وفي مكان ما من تلك الغابة حاول من يرافقها أن يطرحها أرضا من غير أن ينطق بكلمة وعرفت من طبيعة حركته أنه ينوي اغتصابها..... حيث أغلقوا فمها بعصابة كان من يحاول اغتصابها يحملها بيده لكي لا تطلق صوتاً طلبا للنجدة ومع أنها حاولت كثيرا إلا أنها استسلمت لأن ذلك ال* العقور أدمى جسدها بالضربات واللكمات فأغمى عليها واغتصبها دون أن يحضر معه وأمامه أي معنى من معاني الرجولة**

والشرف ومن غير أي يتردد أمام عار سيلحقه جراء فعلته هذه التي لم يسلم من عارها حتى أبناؤه وأحفاده من بعدة جيلا بعد جيل ولن يكون له مقعد بين الرجال أو أن يزوج فروعه من بناتهم أو أبنائهم أبداً... كان ذلك قد حصل والمجرم يظن أن زبيبة فاقدة الوعي بعد أن فقدت قدرة المحاولة أمام سيطرته عليها وهي معصوبة الفم مكتوفة اليدين ولكن فات الجناة أن يتنبهوا إلى أن العين والفم أهم من كل ما عطلوه فيها من رد فعل و بإمكانها أن تكون على هذا الوصف..
عندما كان المجرم يضع صدره على صدرها وهو في نشوة فعله ال*****ي الشرس اقترب برقبته من فمها

وعندها التقطت زبيبة عضلة رقبته بين أسنانها وصكت أسنانها عليه ومع أنه ؟ أدماها بالضرب على وجهها وسد انفها وفمها فقد انفتح فمها وعند ذلك تنبه المجرم إلى أن شدة مقاومة زبيبة قد أسقطت العصابة من على فمها مما مكنها منه فعضته وتركت فيه أثر جراح عميقة كانت أسنانها انطبعت في رقبته ...
أغمى على زبيبة هذه المرة إغماءة اشد من سابقتها وعندها فك المجرم كتافها وتركها على حالها ولم تصح حتى وجدت أنها في جوف ليل أرسل سدوله على المحيط الذي هي فيه ولكنها وجدت فرسها مع أن عنانها أطلق وقد وقفت فوقها وهي تشمها من رجليها وتشمها من جبينها ورأسها ويديها...
عندما فتحت عينيها ولاحظت فرسها ابتسمت لها مع أنها كانت في أشد حالات حزنها وشعورها بالذل بعد الذي جرى ..... ابتسمت لفرسها بإشارة الى معنى الوفاء ومستواه العالي حتى عندما يكون من ***** إزاء إنسان وعادت لتبتسم بمرارة للمفارقة بين الإنسان عندما يكون ادني مستوى من ال***** بأن يأخذ دور ***** بل وأكثر شرا منه بكثير.....

نعم هكذا كانت شلة الأشرار في تصرفهم مع زبيبة فقد اختاروا من بينهم من يمزق كرامتها بدلا من أن يمزق بأنيابه لحمها لو كان وحشا كاسرا مستفزا .... أليس الأساس في تصرف المرء هو دوره ومستوى ما يكون علية ضميره بعد أن يصقل بالتربية والإعداد وليس عقله فحسب ؟ ومع أن الإنسان يختلف عن ال***** بعقله بالدرجة الأساس إلا أن العقل وحده لا يُصَير الإنسان إنسانا كاملا إذا لم يكن ضميره إنسانا ذلك لان العقل قدرة والقدرة قد تستخدم للخير أو الشر بفرص متساوية ما لم يرجح الإعداد والتربية ونموذج القدوة في ميدانه فرصة الخير أمام العقل...
وعلى هذا وفي حال زبيبة مع هذا الوحش الذي افترسها يمكن تفسير كيف يمكن لإنسان أن يفترس إنسانا آخر....

- حتى ال***** قد يراعي رغبة الإنسان لو أراد مواقعته ...ألا تداري أنثى الدب الإنسان عندما تخطف راعي غنم في جبل في شمال العراق أو القرى القريبة

من تلك الجبال وتضعه في مغارة ليكون أمام أمر واقع يضطره لمواقعتها نزولا لما يظهر عليها من رغبة في ذلك!؟ ألا تأتي له بالجوز من فوق الأشجار أو ما يقع تحتها . الا تحاول على بيوت الفلاحين ليلا لتسرق له الجبن واللوز والجوز بل وحتى ال*ب لتطعمه فترضيه لتفوز برغبته فيها!؟**

فهل فعل هذا الوحش_ الإنسان معي فعل إنسان أم أنه افترسني كأبشع ما يكون عليه الافتراس؟ قد يكون هذا الوحش من بين من لم يتمكن مني بعد أن عجز حسقيل عن أن يجعلني من بين الشلة التي تمارس الافتراس في....
قالت زبيبة ذلك مع نفسها

- بل ليته فعل ذلك وافترسني بأنيابه ليفري بطني ويميتني فلو فعل ذلك لكان أرحم معي من هذا الذي فعله بي الآن ... ماذا أقول لربي؟ إن ربي غفور رحيم ويحاسب على موقف الإرادة الحرة والفعل غير المجرم ... وفي كل الأحوال لو تيقنت من أن الله لن يعذبني بناره لقتلت نفسي ولكن ماذا أقول للملك؟ ..وهل يصدق الرواية؟ وإذا صدق جانبا منها هل يصدق بأن مقاومتي لفعل الشر كانت جدية ؟ وبذلت فيها كل ما يستطيع إنسان شريف أن يفعله إزاء من يهاجمه!؟ بل ماذا أقول لنفسي يا ويلي من نفسي؟ إذ بعد أن كنت أتعامل بثقة مع من أتعامل معهم قد أكون على غير ما كنت علي بعد هذا.....

- ولكن لماذا تعود زبيبة لتسأل نفسها لا أكون مثلما كنت؟ لقد حصل ما حصل من غير إرادتي ولا رغبتي ... وقاومت ولم أعد وسيلة إلا استخدمتها من السيف حتى التوسل وتذكير الأشرار بصفات الرجال وخواص الرجال الشرفاء ولم ينفع ذلك واستخدمت حتى أسناني في القتال ... أليس بطلا من يقاتل حتى بأسنانه قبل أن يموت شهيدا أو أن يستسلم لعدوه المسلح؟
ثم تعاود القول إنها لم تستسلم ولكن أغمى عليها سقطت مغشيا عليها في ساحة المعركة ...وعندما تحدثت عن القتال بأسنانها اتسعت حدقتا عينيها إلى أخرهما وأوقفت تفكيرها عند ذلك وكأنها أرادت أن تقول:

- وجدتها... نعم وجدتها لأفاتح الملك على الفور ... أليس الأفضل للنساء عندما يواجهن أي موقف حرج مع رجل أن يبادرن بأسرع وقت في إخبار أزواجهن إخوانهن أبائهن آو أحبائهن إن لم يكن متزوجات قبل أن يسمعوا من غيرهم فيكتنف تفكيرهم حيالهن خيال أو ظن سوء ؟ وهل يخفف وزن التهمة أو يلغيها غير المبادرة في البوح بها!؟ وإذا ما بحث بها الملك فإننا قد نعثر على ال* العقور ونعرف كل أفراد الشلة المجرمة اذ بإمكان الملك أن يبعث بطلب أي إنسان إن شاء ويكشف جسمه وإذا وجدنا الآثار التي تركتها في رقبته وفي أنحاء**

جسمه فإننا سنعرف بعدها كل شيء...
ثم تعود لتقول:

- ولكن ماذا لو لم يتمكن الملك من معرفة المجرم أو المجرمين الآخرين؟ أليس معنى ذلك أنني أبلغت بشيء لم يكن يعرفه وقد لا يعرفه من آخرين وأدخلت إلى نفسي ما قد يجعل نفسه تجفل مني من غير أن احصل على دليل براءتي؟

- وماذا لو عرفت ؟معنى ذلك أن علاقتنا ستكون في هاوية بل وإن مشروعنا الناشئ كله قد يتعرض إلى خطر التداعي الخطير...
ولكنها صممت على أن تقول من فورها بعد أن تذهب إلى بيتها لتستبدل ملابسها وتغسل جسمها وتعود إلى قصر الملك لتترك للملك فرصة التصرف بما ستطلعه عليه بدلا من أن يراها الحراس والخدم على ما هي عليه وبذلك يعرف الملك بعدهم...

- وافت في عضده وأمنع عليه فرصة اختيار البديل من بين حلول يراها ضرورية لما وقع لي...
عندما كانت زبيبة تداور كل هذه الأفكار مع نفسها كانت الفرس تسير بها دون أن تبذل جهدا معها لترشدها على الطريق ...لأن الفرس اعتادت على أن تسلك هذا الطريق جيئة وذهابا ... والفرس أصيلة ..أليس الأصيل هو من يزداد تشبثه بالتزامه في الظروف والأيام العصيبة؟ بل من هذا يمكن أن يستخرج واحداً من أهم القياسات التي يعرف فيها معدن الإنسان من أصيل ورديء......
اتجهت الفرس إلى حيث بيت زبيبة ومع أن زبيبة انتزعت منها قصرا أثمن شيء لدى المرأة ولم يبق ما تخشى عليه غير نفسها ولم يعرف في هذا الطريق ما يقلق النفس بعد الذي حصل فقد أحست زبيبة بوحشة خاصة كأن غمامة تغشاها وحشة سوداء عميقة داخل نفسها وقد عرفتها بعد أن ناقشت مع نفسها أسبابها إنها وحشة الانتقام والقلق على الحب... لقد كانت أمورها مع الملك مرتبة وفق حال يعرفه (قررناه أنا وهو بإرادتنا) وهو ما اعتاد عليه..

- أما وقد حصل هذا المتغير الآن سيكون أمام الملك شيء آخر سأكون أمامه وقد صنعت بتدخل إرادة الآخرين في لقد اغتصبت وسوف يجعلني الاغتصاب إما أن أتصرف باستسلام كامل وهذا ما لا يريده الملك ..اذ أن الملك اعتاد على دوري كمجار له في كل القضايا الأساسية بل واعتاد أن يستخرج أحكاما صائبة حتى من جانب ما كان يسميه مشاكستي له ببعض القضايا عندما أحاول بأدب أن أعطي فيها رأيا بعد أن يعطي هو رأيه فيها وأحاول أن لا اجعل رأيي كرأيه حتى مع علمي بأن رأيه صائب أو الأكثر صوابا من رأيي بين الاختيارات البائنة أمامنا

...اعبر عن هذا لأؤدي دور ضمير الشعب طالما لم يحصل التقارب في الآراء بين الملك والشعب في وقته وإن قاعدة الضمير لم تتحد لتكون واحدة ..لقد اعتاد على هذا في بما في ذلك وجهة المزعج أحيانا اذ هو لا يريدني مستسلمة وإذا ما دفعتني عقدة شعور المحتل والمستسلم لأتناقض مع كل معنى شامخ فإنه سيستغرب من ذلك ولن يطيقه وسيملني عند ذلك....
من كل هذا برزت أمام زبيبة أهمية الانتقام من الجناة أكثر من أي شيء...

- الانتقام مداواة لجروح النفس هي أولا وليس معرفة الحقيقة ومعالجة الأمور بأقل ما يمكن من خسائرنا....
هكذا قالت زبيبة مع نفسها.

ومع هذا كبر شعور الوحشة داخل نفسها كأنه وحش كاسر يمزق أمعاءها وشرايينها وكبدها بل وحتى ثدييها.. الم يمزق الوحش الكاسر الذي افترسها بالاغتصاب ثدييها بأظافره.. وأنيابه كأنه تعمد هذا بوجه خاص ليراهما الملك؟ أليست إهانة شيئا لا تستطيع أن تفعله الشلة وهي تعاديه؟ ...إذا فليهينوه من خلال اجتياح حبيبته.. احتلالها وتدميرها نفسيا واجتماعيا ...ألا يقع تدمير من يحبه الإنسان بصورة أو بأخرى على المحب كطرف ثان من الحب؟.. لا بد أن يكون هذا هو الأساس الذي جعل شلة الأشرار تقوم بما قامت به ولكن كيف تسنى لهم أن يختاروا أكثرهم وحشية ؟ كيف عرفوا أن هذا على وجه التحديد يستطيع أن يعملها معها مع المقاومة؟... هل كان جنديا سابقا في معركة هرب منها من غير مسوغ ليعودوا على هذه الطريقة للانتقام ممن تصوره عدوه ليعالج نقصا في نفسه أو شرطيا هرب منه مطلوب وفق القانون بسبب إهمال أو غفلة كان بإمكان الشرطي أن يتجنبها أو سمسار نساء كان يتاجر بهن على أصحاب المال والأعيان من غير أن ينال بنفسه أيا منهن فصار يحقد على النسوة واتجه ليفترس باسم كل المرضى وناقصي الأهلية الشريفة من صارت تعد رمزهن لدى الملك.
عندها قالت زبيبة:

من المستحيل أن يفعلها الجندي .... لأنه يتذكر أن واجبه الأساس هو الدفاع عن الوطن ومن يضع نفسه صميما على قاعدة الدفاع بشرف عن الوطن بما يعز الصديق ويخزي العدى يغيظهم لا يفعل ما حصل ... والشرطي بغض النظر عما يتكون لدينا من انطباعات بشأن سلوك بعضهم ناجمة من إرهاصات الاحتكاك اليومي عندما تتعاكس الاتجاهات والرغبات بين من يكون واجبه الأساس تطبيق القانون ...فإن الشرطي لا يفعلها ذلك لان الفعل الإجرمي الذي حصل معي ليس قانونيا وان واجب الشرطي ليس احترام القانون حسب وانما تنفيذ أحكامه ليطبقها الآخرون بل لعل ما قام به من فعل هذه الفعلة ما كان ليقوم به بذات الطريقة والرغبة لو كان هذا متاحا أمام قانونا.... أو بناء على رغبة من المقابل...
عندما قالت ذلك مع نفسها شعرت زبيبة كان مخالب امتدت لتخمش قلبها داخل

صدرها وتدميه... ولكنها لم تعرف لذلك تفسيرا خاصا غير ما هو مستخرج من المعنى العام للحال الذي كانت عليه بعد تلك المكيدة..
كان زوجها يظن أن زبيبة ستتجه إلى قصر الملك لتخبره بما حصل ولم يدر في خلده أنها ستتجه إلى البيت على ما كانت علية من حال مزرية دخلت بيتها متسللة بعد أن ربطت فرسها في مكانها خارج البيت...
لقد كان زوجها شبة عار عندما همت بدخول الدار بعد أن اغتسل من الدم الذي جرى من رقبته وأنحاء جسمه في أثناء مقاومة زبيبة له... وهو يحاول اغتصابها ... وقد رأت زبيبة كل ذلك من فتحة الباب عندما كانت تستطلع لتعرف ما إذا كان في البيت ولا تريد أن يعرف حالها وما جرى لقد صار يقينها قاطعا بأن زوجها هو الذي اغتصبها وهو الذي كان مع الشلة المجرمة ... وبدأت تداور في نفسها أفكار جديدة غير التي كانت عليها : او لنقل ليس كلها وفق نفس الاتجاهات التي كانت في سبيل البحث عنها لتستنتجها .... لقد أصبحت المؤامرة واضحة وأصبحت تعرف على وجه اليقين لماذا استهدفت هي نيابة عن الملك؟.... فمن لا يقدر على السيد قد يستطيع إذا حاول مع خادمه او جاريته او محظيته .

- ولكن ما لذي جعل هذا العفن تقصد زوجها يتورط في هذا الفعل ال ** ال****؟... فإذا كان لحسقيل وشلة الأمراء السماسرة ومن فقد ضميره الحي من التجار غرض مفهوم فما الذي جعله يقوم بهذا!!؟... أليس أصحاب العقد اشد ضراوة ضد نماذج الخير والفضيلة والاقتدار!؟**
وتعود لتقول:

- إنه ** بحق ولكن كونه ****! فأنا لا أعرف وصفه على الصورة التي انحدر إليها أليست الأعمال هي المصدر الذي لا يخطئ لاكتساب الصفة؟... هل حاول هو الآخر أن يتشبه بالملك على أساس أن من لا يقدر أن يكون ملكا كملكنا عليه أن يحاول أن يكون مثله إذا استطاع النيل من حبيبته؟؟ هلا فرق(العفن) وتقصد زوجها بين نيل الرضا واستدرار المشاعر وفق مسالكها الإنسانية الصحيحة وبين الاغتصاب؟**
ثم تعاود مع نفسها لتقول:

- ولكن من لا يستطيع أن يأتي بجديد أمام زوجته ليرضيها فهل يعتقد أن الاغتصاب جديد ويكفي لإرضائها أم أن مثله كمثل أن يعالج جرحا يسيل قيحا بشيء ملوث ؟... تبا له من خائن وضيع!
حاولت أن تبصق عليه من دون صوت... ثم دخلت بعد أن افتعلت حركة عند الباب لتثير انتباهه قبل آن تدخل ويتصور أنها رأته بما يعقد الموضوع أو في الأقل يضعها أمام تحسس الحال بطريقة غير التي قررتها في نفسها وبتوقيت غير

توقيتها..

- ألا يتطلب تغيير الأهداف والوسائل والتوقيتات ما هو إضافي من جهد وتضحية؟ ألا يخسر المرء معركته أحيانا إذا كان التغيير غير ضروري أو غير ملح وبخاصة عندما يكون التغيير من غير سبب جدي أو اضطرار ملح!!؟...

قالت ذلك في نفسها وهي تفتح الباب وتلج إلى البيت...
أعطت زبيبة زوجها الخاسئ فرصة أن يرتدي ملابسة وأن يلف رقبته بكوفيه... وصار غالبا ما يغطي شعر رأسه بدعوى أن رقبته زلت أي انخلع بعض فقراتها واتساعا مع فكرة أنها صدقته كان كل ما دنت زبيبة منه تعذر بأي عذر واه لئلا تقترب من رقبته أو تكشف عنها حتى أن زبيبة استهواها دور الذي يعرف بالعلة ولكن المعلول لم يتصور أنها عارفة به واستمرت تبدي رغبتها في الكشف عنه وهو يتهرب
أما ما يتصل بها فإنه رغم محاولته إبداء التأثر على حال زبيبة عن جانب من التفاصيل وأطالت التحديق في عينية بغية التعرف على رد فعله صار كأنه معلق في كف عفريت ينوي أن يهوي به إلى الأرض فيخلط عظامه ويزهق روحه...
لقد استهوى زبيبة الدور الذي تعذب به زوجها فأمعنت فيه أليست المرأة أشد رغبة في الانتقام من الرجال؟... إنها إذا وجدت سبيلها إلى من تحقد عليه تذيقه مر العذاب وأمر أنواع الهزائم!؟.. وإذا لم يكن الانتقام عند كثر من الرجال وبخاصة أصحاب المبادئ العالية هدفا بحد ذاته حتى وان كان احد نتائج الصراع على جبهته فإنه بالنسبة للمرأة إذا ما أدمى قلبها أو جنبيها أو غلب على آمرها في شيء هدف بحد ذاته ونتيجة مقصودة تتمتع بها بما في ذلك أن تلوك لحم من يؤذيها إيذاء مخططا إذا ما أتيح لها ذلك...
الم تلاحظوا كيف لاكت هند بنت عتبة كبد الحمزة(رضي الله عنه) انتقاما لمقتل والدها وأخيها وعمها في معركة احد!؟
كان زوج زبيبة كل ما حاول آن يطوي صفحة ما حصل لها تسأل زبيبة عما أصاب رقبته وتجدد زبيبة الحديث عن ذلك وبدلا من أن يغضب ويثور وينتخي بالثأر لها ممن أذاها تراه كال* الذي يتجاسر على أكل طعام في بيت صاحبه غير معد له أساسا أو ينبح على ضيف وينهره صاحبه أو يعض صاحبه خطأ منه فهو غالبا ما يضع ذيله بين رجليه الخلفيتين وينبئ منظره ومشيته وتذلله بما هو عليه من انكسار بعد أن ينهره صاحبه...**

ومع أننا شبهنا حال زوج زبيبة بحال ال* وهو يرتكب خطأ إلا أن ال ***في العادة على مستوى من الوفاء لصاحبة بحيث لا يغدر به أما وقد غدر زوج زبيبة بها فان وصفه بال*** ليس منصفا وإذا كان جلد ال*** وحتى الخنزير يصلح لان يصلى عليه بعد أن يغسل ويدبغ لقول رسول الله(ص) :**
دباغ الأديم ذكاته فان جلد زوج زبيبة فيه من النجاسة ما يدنس من يلمسه أو

يتعامل معه حتى لو طهر بكل مياه نهر دجلة الخالد...
اغتسلت زبيبة ولبست ثيابها وتقلدت حسامها وخرجت راكبة جوادها الأبيض الذي غادر بها من فورها بعد أن رأت أن الشمس قد تشع قبل وصولها البوابة الخارجية للقصر حيث يكثر الجنود هناك وان منظرها سوف يثير التساؤلات التي قد تبقى لزمن قصير ضمن الأسيجة الخارجية للقصر ولكنها سرعان ما تنتشر بين الخدم داخل القصر ثم الآخرين والناس من بعدهم..

- ألا يكفي أن يسترق الخدم السمع ليعرفوا أساسيات وإجراءات الملوك ؟ بل أليست ألسنة محظياتهم هي لسان حالهم في كثير من الأحيان؟ لا ينبغي أن أتأخر عن الوصول إلى بوابة القصر الخارجية ... على أن أصلها في توقيت تكون بقايا الفجر فيه كافية لتخفي الخدوش التي في وجهي بسبب مقاومتي ال* العقور...**
وصلت زبيبة إلى القصر... ودلفت كالعادة إلى الجناح الملكي الخاص ومن غير استئذان مسبق دخلت إلى غرفة نوم الملك ووجدته بانتظارها بعد أن اخبره كبير الحرس بإخبار مسبق أنها في طريقها إليه مع أول إشعار له من البوابة الخارجية للقصر.

ألم يكن الملك قد استكمل ارتداء ثيابه ، كان قد نهض من السرير وغسل وجهة ليستكمل بقية فقرات تهيئه لاستقبالها وكانت أفكار ووساوس كثيرة تداولها الملك مع نفسه وكلما ازداد قلقه قال لنفسه:

- ولماذا القلق؟ ما دام الإخبار الأولي قد أشار أنها هي وليس غيرها في طريقها إلي ولا بد أن تكون بوضع صحي جيد ... وفي كل الأحوال علي أن لا أقلق ... البس هي من يركب الجواد ؟ ومن تقطع كل تلك المسافات على جواد بين بيتها والقصر لابد أن تكون بحالة جيدة ...!! ولكن ما الذي أتى بها في هذا الوقت المبكر ؟
ومع أن الملك أعطاها مثل هذا الحق لتأتي إلى القصر في الوقت الذي تشاء من غير أن تحسب للتوقيت حسابه كما يفعل الزائرون لقضاء عمل رسمي أو بناء على استدعاء الملك لهم.
وعندما قالت تقول للملك:

- ولكن كيف يمكن أن آتي إلى القصر في غير التوقيت المناسب؟
كان الملك يقول لها:

- كل الأوقات مناسبة لك يا ***بتي الحبيبة... وعند ذلك تقول للملك...

- عليك أن لا تطمعني فيك يا جلالة الملك حيث أن ابن الشعب طماع في إعمال عواطفه ومشاعره في ميدانها...
ويقول الملك وهو يبتسم:

- الم تقولي يا زبيبة أن الملوك بحاجة إلى من يصدقهم القول أكثر مما هم بحاجة إلى من يقول لهم : أمرك يا سيدي :.. أمرك يا جلالة الملك؟..
أليست المشاعر الصادقة والعواطف الصادقة على أساس هذا التشخيص هو ما يحتاج إليه الملك؟ وان الخروج على السياقات المهتزئة المنقولة عبر سلسلة من سبقونا من الملوك هي الخطوات التي لا بد منها لتنتقل جديا إلى مستوى حياة الناس وإذا كنت أقيد الأقرب إلى نفسي بجدول المواعيد المسبقة واجعلها رتيبة مكررة بحيث لا يتاح أمامها وأمامي التصرف خارجها أو التصرف بما يجمدها لأمر يستوجب ذلك ليس على أساس تقدير الحاجة الرسمية لعمل رسمي ولما يمكن أن ينظر له بأنه يستجوب ذلك وإنما على أساس الحاجة الإنسانية وطبقا لما تقتضيه مشاعر المحب وهي أولى بذلك لتجعل عملنا الرسمي في خدمة الشعب واقرب إلى مصالحه .

- ولكن حذار يا جلالة الملك ...عفوك يا سيدي لا أقصد التحذير التقليدي...
ضحك الملك وقال:

- ها.. صرت تزنين العبارات كأنك أميرة في محيط ملوك وليس ابنة الشعب..!!
ضحكت زبيبة وعلقت بالقول:

- هل يزن الملوك والأميرات الأمور بدقة فعلا يا جلالة الملك؟

- ليس في كل شيء وليس في الجوهري والمعاني العالية الشريفة من الأمور وإنما فقط في ما اصطلحوا على أنه أسلوب مخاطبة الملوك ... ألا يزداد اهتمام من يكون جوهرة فارغا بالتشكيلات حد المبالغة يا زبيبة؟ الست من كان يقول ذلك؟..

- بلى هذا صحيح يا جلالة الملك ..ذلك أن من يكون جوهرة ممتلئا بما هو صميم وجدول عملة مليئا بفعاليات صميمية لا تستهويه فكرة المبالغة بالشكليات بل ليس لدية زمن يضيعه في شكليات الأمور ... التي لا تعلي سياج الشعب ولا تدخل ضمن معاني التربية الصحيحة ... عندما كانت زبيبة تتجه من البوابة الخارجية للقصر إلى جناحه الخاص وبينما كان الملك يهيئ نفسه لاستقبالها ومع قلقه من هامش المجهول كان يداور في نفسه كل تلك الأفكار وما يردفها من ذكريات العلاقة مع زبيبة...

أطلت زبيبة من الباب بعد أن طرقته وصاح من خلف الباب : أن ادخل...
بقي الملك صامتا ومبهوتا من المفاجأة فقد كان وجهها ويداها مليئة بالخدوش وما يظهر أنها في وضع ليس جيدا بل هو صعب إذا ما أردنا الدقة ...ثم تقدم إليها وقبل أن يحتضنها ارتمت في حضنه وبدأت تنتحب...

سكت الملك وهو يحتضنها ويربت على رأسها أو تعبث أنامله في شعرها من غير هدى... حتى أفرغت جانبا من شحنات العبرة المحبوسة في صدرها وهي تلتقي الملك أول مرة بعد ما حل بها من مصاب مؤلم... وكان ذلك مصابان كلاهما قاس بل إنها لم تعرف حتى أن تعطي الحكم على أي من المصابين اقسي على نفسها اهو اغتصابها بالطريقة التي حصلت في الغابة؟ أم اكتشافها أن من اغتصبها وأدماها زوجها الذي في مقدمة واجباته والتزاماته إزاءها أن يحميها من كل النواحي والوجوه!؟..وعندما كانت تقول مع نفسها إن الاغتصاب وما حل بها من أذى اقل وطأة وأذى على النفس من خيانة زوجها مع من خان الملك من الشلة المجرمة ذلك لان الاغتصاب ربما كان أقسى عليها لو لم تكتشف أن زوجها هو المغتصب... ومع ذلك تعود لتقول إن الاغتصاب قد وقع بغض النظر عمن قام به بل إن زوجها أدى دورا لشخص مجهول الهوية ولولا أن قيض الله لها أن تكتشفه لبقى أمر من قام بالفعل الإجرامي مجهول مع كل ما ترتب على الاغتصاب من أذى مباشر وتبعات تلحقه .

إذن يبقى الاغتصاب هو الأقسى سواء كان اغتصاب رجل لامرأة أو اغتصاب جيش الغزاة للأوطان ..أو اغتصاب الحق على يد سالبه.. ولكن هو الأقسى التسليم بالاغتصاب سواء من الدول أو الأشخاص .... ثم تحاول زبيبة أن تخفف عن نفسها وطأة الاغتصاب وأذاه ألممض في نفسها لتقول...

- ولكني قاومت الاغتصاب حتى أثخنت بجراحي (وانهد حيلي) وكأني أصبحت جثة هامدة...ثم تقول:

- نعم صرت جثة هامدة..فهل يلحق بالجثة الهامدة عار الاغتصاب ؟.. بل هل يلحق الوطن وتاريخ الشعب عار الاغتصاب عندما يفتى الشعب ولا يعود هناك على ارض الوطن من هو قادر على حمل السلاح؟..

ثم تجيب:

- نعم هكذا وأي حاكم أو شعب يقبل الاغتصاب وهو حي وشعبة موجود فهو عار على الحاكم وإذا قبل الشعب هذا فيلحقه عار أيضا .. نعم الاغتصاب هو الأقسى على النفس والتاريخ والشعب هو الأقسى والأشد مضاضة في النفس...
مسحت زبيبة دموعها ... وكلما همت بالكلام استجابة لسؤال الملك عما حصل وكيف خنقتها عبرة جديدة أوقفتها عن الكلام واستمرت على هذه الحال تتكلم برهة وتبكي بحرقة بعد كل مقطع من المقاطع المتفرقة عما حصل... حتى أكملت قصتها الحزينة للملك...
استشاط الملك غيظا ورغم أنه تمالك نفسه بعض الشيء لكنه كان في أشد حالات الحزن.
كان الملك يردد بصوت مسموع:

لقد كانت رسالة الطامعين أشد مضاضة من أي رسالة وضربتهم اقسي من سهم في عين ولكنني ورب زبيبة وعفتها وفق ما تراها نفسي ويدركها عقلي ويعلمها ضميري ... لأفتحن معهم معركة لن تتوقف حتى يكون الملك لرب زبيبة ..الله ، الرحمن الرحيم، ويحسم الأمر ليبقى الباطل باطلا وترتفع راية الحق على ساريته في الوطن كله ويكون الشعب مع من يصلي ليمثل ضميره وهو صاحب الشأن... وإذا أراد الله صاحب الملكوت الأعلى لنفسي أن تصعد إليه فهو الشرف العظيم الذي يحول موقفا كهذا السماء جنة والموقف على الأرض بوابتها... وسيخسأ الخاسئون...

أصدر الملك أوامره الفورية إلى الجند بأن يأتوه بزوج زبيبة حالا لأنه المفتاح الذي سيكشف بعد التحقيق معه كل المؤامرات والمتآمرين المشتركين في اغتصاب زبيبة ... وفي محاولة قتل الملك ... قالت زبيبة للملك بعد أن استمعت إليه وهو يصدر أوامره باعتقال زوجها ....

- أرجوك يا جلالة الملك.. تحسب من خطتهم أو ردود فعلهم بعد أن يعرفوا أن الخاسئ سيعتقل أو أنه اعتقل..

- وما عسى أن يفعلوا!؟..

- يفعلون ما يفعله الطامع أو اليائس من الحياة وهو في سبيله ليستسلم يا جلالة الملك ...يغامرون.. يغدرون بنفس الطريقة التي يعتمدها ملوك عيلام وقد يهاجمون قصرك....

- معك حق يا زبيبة نعم سأستنفر الجيش والشرطة ليكونوا جاهزين للمعركة ويقبلوا الحصار على القصر لمدة طويلة من الزمن حتى يهلك المتآمرون والغزاة آو يعجزوا فتذهب ريحهم ... قالت زبيبة:

- نعم هكذا يا جلالة الملك ... أحسنت وإذا سمحت أن أشير عليك برأي إضافي...

- نعم يا زبيبة قولي ما تريدين قوله ....

- أرجوا أن تسمح لي بأن اخرج من القصر لأستنفر الشعب ليكون عمق الجيش ليكون الطامعون في حالة يائسة ويعزلون إذا ما تحشد الشعب كرديف عميق في معانية النفسية وفي قدراته العمليه...

- نعم يا زبيبة وأرجوا أن تعملي هذا بسرعة ولكن لتكن معك ثلة قوية من الجند المخلصين بقيادة حارسي الأمين عبد الله....

- نعم يا جلالة الملك...

قبلت زبيبة على مضض بعد التجربة المرة التي حصلت معها بسبب رفضها سابقا فكرة وجود من يرافقها من الجند بين بيتها والقصر حتى حصل ما حصل معها ...كانت تفضل لو أنها ذهبت إلى الشعب لتحشده وتنتخيه كواحدة منه ...إن الشعب لا يحب مظاهر السلطة وبخاصة المبالغ فيها وانه يعتقد واعتقاده صحيح أن من يغلف نفسه بأغلفة كثيرة لا تصل إليه حرارة الشعب ولا يتواصل معه وأن الإكثار من الحماية لأسباب مظهرية ينفر الشعب من أي مسئول في الدولة ...لأن الأساس أن يحب المسئول لنفسه ولغيره الحرية مع الانضباط وأن لا يستخدم حاجزا إلا مضطرا وإذا رأى الشعب من يبالغ بالحماية والحواجز من غير حاجة عملية جدية فإن سلوكه ينفر الشعب من تحت حجة صحيحة... فمن يقيد نفسه

بقيود غير ضرورية كيف يكون بإمكانه أن يطلق يد غيره أو يفك القيود عنها!؟... كان الشعب يعرفني كإنسان ...وقد عرفني بسيطة رغم الحظوة العظيمة لمكانتي عند الملك وإذا رأى شلة من الجند ترافقني على رأسهم حارس الملك ستكون صورتي أمامهم كالأميرات وربما كملكة ولأنهم لم يعرفوا الملك بعد مثلما اعرفه فقد يجفلون مني... ولكن ماذا اعمل؟ هل اخرج بلا حماية واعرض كل خطة المقاومة التي ننوي لنتهيأ لها بوجه الأشرار إلى خطر!؟ لا... على أن اقبل بفكرة الحماية وأتكل على الله ...قالت زبيبة ذلك مع نفسها قبل أن تستأذن الملك لتخرج إلى الشعب...
عندها لاحظ الملك أنها كانت تتكلم مع نفسها ...سألها:

- **ما بك يا زبيبة؟ هل لديك رأي آخر؟...**

انتبهت زبيبة وقالت:

- **لا يا جلالة الملك... كنت أدور بعض الأفكار مع نفسي ولكنني وجدت بعد ذلك أن رأيك صواب... سأذهب إلى الشعب لو سمحت وادعوا الله مخلصة أن يبيض وجهي أمامك بل أنا واثقة من هذا كثقتي بأن الله موجود وأنه الحق ...وهو عظيم.. وقادر على أن يجعل الشعب مثلما نتمناه وطبقا للمعاني والمفاهيم التي حدثتك عنها وفق ما أعرف...**

على بركة الله ..قال الملك:

- **عند ذلك تقدمت زبيبة من الملك وقبلته على جبينه ... واحتضنها الملك بدوره ...ثم أدت له التحية بأن أمسكت بأطراف ثوبها وثنت ركبتيها وحنت رأسها كعلامة طاعة وتقدير ومحبة مثلما فعلت عند زيارتها للقصر أول مرة ومثلما كانت تفعل من حين لأخر كلما وجدت أن تأكيد الجانب الرسمي في أي واجب يكلفها به الملك به ضروري ... ولا تفعل ذلك في علاقتهما اليومية الاعتيادية بعد أن منعها الملك من ذلك ليتمتع بعلاقة لا تقتلها أو تضعف تمتعه بها الشكليات الرسمية...**

عادت زبيبة بالشعب خلفها وهو يهتف بالوطن...للأمة ...للأمانة... للإخلاص.. للفروسية... للحرية.... للعدالة.... للصدق... ويكبر بأعلى صوته ..للواحد الأحد... ويهتف ضد الخيانة ..والمروق.. والعقوق.... والظلم ...والاضطهاد... وقد تحشد الشعب ملاصقا للسياج الخارجي للقصر من الداخل في الوقت الذي كانت زبيبة تحمل راية الشعب خفاقة وتتمنطق بسيفها وعدة الحرب وهي على ظهر جوادها الأبيض ... وتحشد الجيش وكل القوات المسلحة خلف الملك ...كقائد له... في الوقت الذي كان الرجال ينتخون تحت عناوينهم وسط الشعب وفي القوات المسلحة.

عرف المتآمرون أن خطتهم في طريقها لتنكشف من خلال زوج زبيبة أولا ذلك لان زوج زبيبة في الوقت الذي تظاهر بأنه لم يكن يعرف أن زبيبة قد اكتشفته عندما كانت تتحدث إليه في بيتها ففي حقيقته كان قد عرف ذلك ومن فورة قرر أن يهرب صوب الأمراء المتآمرين ومن يردفهم بجهده من خلف الحدود للدول المجاورة بعد أن تركته زبيبة متجهة للملك .... وقد قرر المتآمرون أن يهاجموا الملك بأسرع وقت وفي اليوم نفسه ولكن ما لم يحسبوه أن يكون الشعب قلبا وقالبا مع الملك بفضل الله ثم بفضل زبيبة

وأن يحتشد ليكون عمقا عظيما للجيش.... ولذلك ما أن هاجموا قصر الملك من كل جانب حتى فوجئوا بالقوة العظيمة وبغزارة السهام التي كانت تطلق عليهم وكلما فتحوا ثغرة في جدار القصر الخارجي سدت الكتلة البشرية عليهم إمكانية الخرق العميق أو الإخلال العملي الجدي في الترتيبات الدفاعية للقصر وردوا على أعقابهم مدحورين خاسئين بعد أن تنال منهم رماح وسيوف وسهام الجند والشعب بل وحتى هراوات الشعب وجدت لها ميدانها في المقاومة والصمود والنصر .... حتى اندحر الغزاة اندحر المتآمرون بعد أن تركوا جثث قتلاهم خارج السياج وإلى عمق ما داخل قصر الملك وولوا هاربين منعولين بعد أن خسروا المعاني العالية للدنيا ورحمة الرب الرحيم ورضاه في الآخرة .... ولكن زبيبة سقطت من على ظهر جوادها قبل انتهاء المعركة بفاصلة زمنية قصيرة بعد أن أصابها سهم نافذ في صدرها اخترق درع الجلد الذي ارتدته بدلا من درع سلاسل الحديد لتتميز به عن الجيش النظامي وقادته مندمجة مع الشعب في المظهر والمعنى بما في ذلك نوع الدرع الذي كان وجوه الشعب يلبسونه وهم يقودون المقاومة.....

نقلت زبيبة إلى جناح الملك داخل القصر وهناك سجيت على السرير بعد أن كان احد حراس الملك قد اخبر الملك بما حصل لزبيبة....

ومع أن الملك تأثر تأثرا بالغا بالخبر وهم أن يلحق زبيبة إلى جناحه ليتعرف على طبيعة إصابتها فقد تماسك بعد أن قال في نفسه : أخشى أن يتصور المقاتلون خطأ أنني انسحب من المعركة بعد أن أصيبت زبيبة فتنهار الجبهة وأخشى أن يتقول في من يحاول ذلك .. ويسمح لنفسه بالقول إنني ربما خشيت المعركة وصرت أتجنب قسوتها تحت حجج تفقد حال زبيبة وفي كل الأحوال أليس من مبادئ القتال أن لا يترك القائد ميدان المعركة عندما تشرف على الحسم؟ إذن لأجعل عزائي وثأري لزبيبة أن اضرب رؤوس الخيانة وأضرب حتى النصر المؤكد بعون رب زبيبة...

وصار يجول في ساحتها ويرعد ويزبد وهو يضرب بالسيف والرمح وكلما انكسر أو انطوي سيف في يده أو انكسر رمح استبدله بآخر حتى اندحر الغزاة...

وبينما كانت رحى المعركة تدور على هذا الوصف كانت زبيبة وهي مسجاة على سرير الملك تملي على كاتبها الرسالة الآتية:

عزيزي ....حبيبي...عرب..لم أشأ أن أقول لك جلالة الملك فتمتص من روح كلماتي ما تمتصه الألقاب والعناوين ولذلك فكرت بأن أخاطبك بما هو أعلى وأجمل وقعا على نفسي وأنا أودعك وداعي الأخير قبل أن أراك وخاطبتك باسمك أبقاه الله عليك مهابة وعنوان محبة لشعبك وجيشك...

إنني لم امتنع عما عرضته علي: الزواج منك إلا محبة بك بل انه ولا يزال حلمي وهو كرم ينبئ عن سمو نفسك ومستوى حبك لي ولكن وجدت أن أقابلك بنفس المستوى من الاستعداد للتضحية والكرم وإن كانت طريقتي هذه قد تبدوا غريبة في طورها ولكن أليس الغريب في الإخلاص والحب هو غير المطروق والذي يسجل معانيه الأعلى ويأخذ معناه ومستواه من تفرده!؟..

لم أشأ أن أحرجك بعد ما أصابني من أذى بسبب علاقتي بك وموقفي في حشد الشعب إلى جانبك...

لم أشأ أن أجعلك تحت ضغوط هذه العوامل تتخذ قرارك في عرض الزواج علي وإنما أردت أن تمحص قرارك بعد الانتصار الوشيك إن شاء الله... قد لا أكون عند ذلك ضمن دنياكم ولكنني سأتمتع به وسأراه وأرى تفاصيله..

أليس الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون؟ ألا يرى الحي ما هو واقع أسفل منه على الأرض؟ نعم سأرى نصركم نصرنا.... وسأتمتع به.. أرجوا أن تتمتع بنصرك وبعلاقتك الجديدة مع شعبك ولكي يتحقق هذا أشير عليك لو سمحت بأن تعطي الشعب حق أن يقول أي العناوين والمسميات تليق بك..لان الشعب عندما تكون لدية الحرية في هذا يكون صادقا في ما يقرره وعند ذلك سيدافع عما يقرره ويتحمل كامل المسؤولية في هذا بقيادتك وفي كل الأحوال بعد أن تلطخت أسماء الملوك والأمراء بما تلطخت به من عار لا أرى أن وصف ملك يليق بك بعد الآن وإنما قائد الشعب والجيش ودليلهما إلى الفضيلة وميدان البناء والنصر ... فاقترب إلى الشعب من خلال العناوين التي يحبها وبالمظاهر التي لا تبتعد عنك أو تبعدك عنه ... وكن معه حالا واحدا وبذلك يستطيع الشعب وجيشه تحت قيادتك أن يفعلا كل ما يعز الوطن ومن يقوده ويكونا مهندسي التاريخ المشرق لأمتنا ...والله اكبر..

أرجوك..لا تبقني وأنا أموت على ذمة الخائن...

زبيبة بنت الشعب حبيبة عرب....
أموت ويحيا الشعب.....
أموت ويحيا عرب....

ماتت زبيبة وعاش الملك بعدها إلى حين وبقى الملك لله .. ... ويتناقص الملوك يوما بعد يوم ولكن الخيانة والسوء بقيا يفرخان في قصر من يحكم منهم ... وبقى الشعب يمثل إرادته حيثما وجد لذلك فرصة ... والشعب كالأزل ثابت إلى حيث يريد الواحد القهار...

استشهدت زبيبة وأغمضت عينيها بين لحظة مماتها ووصول روحها إلى مرتبتها في جنة الخلد ونعاها الملك بحزن كبير... ومن بين ما قاله:

- استشهدت زبيبة وهي حية هناك في عليين وهي حية كمركز عظيم بيننا أيضاً وتبقى ملهمة الشعب وملهمتي بموقفها وإخلاصها وحكمتها وروحها العظيمة وجهاديتها التي أرضت الشعب والوطن التي سترضى الله سبحانه إن شاء الله....

بقيت روحها ترفرف فوقنا إلى جانب أرواح الشهداء والصديقين وولي الشر والأشرار الى حين ..وانتصر الشعب .. والوطن.. والأمة بفضل الواحد القدير... واندحر الغزاة... وخابوا... وانتصر الشعب ...

سألتقي بك يا زبيبة حيثما تكون روحك الآن ..أتعرفين :كيف يا زبيبة؟
انك تعرفين هذا تماما ... تعرفين أن الطريق للوصول إليك أن أحب الشعب وأن احفز طاقته وقدراته بل وأشجعها لكي تنطلق إلى ميادينها من غير ما تثقل بما هو غير ضروري إلا بالالتزام المبدئي والمعاني الروحية العظيمة ... ومع صعود قدرات الشعب وصعود معانية الروحية فإن هذا سيكون سلم وصولي إليك....
فاذهبي وسأصعد إليك بإيماني إن شاء ربي وربك يا زبيبة....!
لقد حزت على معاني الحرية ودرجتها يا زبيبة مثلما كنت تقولين وتتمنين وهي بالتأكيد أرقى من أي معنى ودرجة للحرية التي نتمتع بها هنا على الأرض ولكنها ستكون هي الأخرى مقيدة وليست مطلقة أتعرفين كيف؟ ولماذا يا زبيبة؟ ذلك لأنك حتى باستشهادك اخترت نوع المكانة التي حزتها بالجهاد ولكن لن يسمح لك أن تتحولي إلى مستوى أقل من مستوى الذي وصلت إليه وعندها ستحرمين من التمتع بحالة المستوى الأدنى وبذلك تكونين كبعض الملوك على الأرض مع الفارق النوعي الذي لا يصلح معه التشبيه ... ستكونين ضمن درجتك في قصرك في عليين والملوك الذين انتقدتهم وانتقدهم معك الآن ألا يستطيعون أيضاً آن يخرجوا من قصورهم ويعيشوا وسط الشعب بصورة صميمة سواء لزمن مؤقت آو على طول الخط ولكن بفارق نوعي مفهوم كالفارق بين الجنة والجحيم...

أتعرفين لماذا لا تستطيعين أن تختاري ما هو جديد غير اختيار خط البداية الذي رسمه استشهادك من اجل مبادئ الشعب والأمة؟ ذلك لان الحرية المطلقة لا يحوزها إلا صاحب العرش العظيم إلهك والهي يا زبيبة الله الرحمن الرحيم هو وحده القادر على أن يعمل أي شيء وكل شيء مما هو أقل أو أكثر قياسا بقدرته سبحانه الحال ونقيضه من غير أن يوصف بالازدواجية : الجنة.... النار.... الملائكة ....والشياطين... الأرض...السماء... الليل... النهار... الظلام.... والشمس وكل بمقدار وعلى أساس حكمته وحكمه وهنا ترين أن ليس ثمة حرية مطلقة حتى ونحن نحوز أعلى معانيها اذ يبقى هناك ما هو اقل وأدني مما هو غير متاح أمامنا...

متعنا الله بأعلى المعاني وصفات الحرية والاقتدار المؤمن...

عاشت زبيبة في السماء........

عاشت زبيبة على الأرض.......

****

شيع الشعب زبيبة وحمل أبناء الشعب نعشها كل يسعى ليتبارك بها .بكاها الشعب والجيش وكان الملك في مقدمة من حملوا نعشها مسافة بعينها كوقف رمزي منه ... وبكاها بحرقة وبعد أن واراها التراب في مثواها الأخير أمر الملك بأن توضع جثة زوجها الذي قتل مع من قتل في حفرة على مسافة محسوبة منها.......

وعندما عرف الشعب ذلك رجمه بالحجارة وبكل ما وقعت عليه يده من شارك في ذلك من قاذورات وبقى ذلك تقليدا سنويا في حياة الشعب يأتي الشعب في توقيت سنوي واحد يصادف السابع عشر من كانون الثاني ... من كل سنة ميلادية ليرجم الخاسئ الذليل ويرجم معه الغزاة والخونة ... وبعد أن يلعنهم يضع أكاليل الورد والغار ويترحم على زبيبة: شهيدة الشعب وملهمته في الحياة والممات.

وكان عرب قد أعلن ان زبيبة زوجته قبل دخول المعركة وأنها انفصلت عن زوجها الخائن وأنه شاهد على ذلك بل وهو القاضي في هذا باعتباره ولي آمر الناس..

هكذا هو الفارق بين الشهداء والأحياء ..والأحياء والأموات أو الأموات الجيف بين المجاهدين والمناضلين وبين من يخون الله والوطن والشعب والأمة... وبين من يحرر شعبه ووطنه وأمته ..ومن يتخلى عن هذا أو يخون...

عاشت حياة العز والممات الذي يرضى الله ويغيض العدى...

والله اكبر..

وليخسأ الخاسئون..

ماتت زبيبة ..عاشت زبيبة هكذا أصبح هتاف الشعب يتردد في أركان المملكة كنوع من المناكدة لشعار الملوك:عاش الملك ..مات الملك عندما يموت أحدهم ويتولى الآخر مكانه ليحمل صفته على أساس قانونه الوراثة!! وليس قانون الشعب والأمة ... وفي نفس الوقت كان واضحا أن هتاف الشعب هذا إنما يحمل معارضة واضحة لقبول أن يحكم المملكة ملك مرة أخرى بغض النظر عن صفته...

وسط هذا الظرف الذي انتهت فيه المعارك بانتصار الجيش والشعب ضد المؤامرة الكبرى في المملكة التي لم تكن تستهدف حياة كرسي الملك فحسب أو بالدرجة الأساس وإنما الوطن بالتجزئة وتوزيع الأسلاب على الدول الخارجية التي حركت وساندت الأمراء المتآمرين وزودتهم بوسائل التخريب والتدمير... وسط هذا الظرف ووصف حال الجيش والشعب تداعى من يحمل عنوانا ميزته المعارك والمواقف سواء وسط الشعب أو وسط الجيش وتداعى الجميع وانحشرت معهم عناوين وشخوص لا يحملون هذا الوصف وإنما وصف مصلحتهم وانتهازهم للظرف ليكونوا على أساس وصف ما يأملون تجارا كبارا مزارعين كبارا بعض من كانوا وجوه مناطقهم على أساس ما يملكون وعلى أساس قانون الوراثة للمشيخة وليس على أساس الموقف والتضحية في هذه المعركة المصيرية وآخرون غيرهم كل على وصف نيته وليس موقفة الباسل....
أليس هذا هو شأن كثير من الحالات إن لم ينتبه إلى ذلك علية القوم ومن يمثل ضميرهم وإرادتهم؟ ألا يضحي الشعب وجيشه في الغالب وفي نفس الوقت هناك من يتصدر عناوين الادعاء أو ينتفخ كرشه بالسحت ممن ليس له ناقة أو جمل في ميدان التضحية والصبر والعطاء!!؟

وهكذا انعقد مجلس الشعب بممثله وآخرين مندسين لا يمثلونه وهم قلة ذلك لان المعركة حسمت إلى حد بعيد قضية من يحمل صفة ممثل الشعب ولكن هنالك داخل بعض النفوس من الضعف ما يسمح بأن تتجاهل تجربة الشعب ومستوى التضحية لأنها لم تنضج فيها بعد معاني أن تكون أمينة على الشعب في ميدان ما ، ومنه أن تطرد الضعف من داخلها ليس ضعف الخوف فحسب وإنما كل ضعف وأي ضعف بما في ذلك مجاملة من لا يستحق المجاملة على حساب الحق...

هكذا وجد أولئك القلة في نفوس من ضعفوا ثغرات تناسب هواهم ليتسللوا منها ليشغلوا كراسي في مجلس الشعب لا يفترض أنها مخصصة لوصفهم.

انعقد مجلس الشعب من أناس من مختلف الشرائح كل يحمل عنوانه ووصفه رجالا ونساء عسكريين ومدنيين زراعا وحرفيين وصناعيين وغيرهم ولكن أكثر ما لفت الانتباه امرأة عليها المهابة بينه بدت من طبيعة لبسها وتصرفها أنها من

الريف كانت تحمل على كتفها عندما دخلت القاعة طفلا لم يتجاوز العام من عمرة وقد وضعته في حجرها بعد أن جلست على احد مقاعد القاعة ..

ابتدأ النقاش حول مصير الحكم والملكية بإدارة أكبر الحضور سنا وكان رجلا وقورا هو الآخر وذو مواقف يعتد بها ويتميز بها عن غيره ، كان هذا باديا عليه من خلال ثقته العالية بالنفس وكان ذا قدرة بدنية كبيرة لا تناسب عمرة الذي يقترب من الخامسة والستين .... أليست الثقة بالنفس قدرة لمن يحملها على أساس قاعدتها واستحقاقها الصحيحين!؟

ضرب كبيرهم وهو يتصدرالاجتماع على المنضدة التي كان يجلس خلفها وجلس إلى يمينه أحد قادة الجيش والى شماله امرأة تحمل سيفا بدا من مظهرها أنها كانت ضمن صفوف المقاومة الجماهيرية للغزاة داخل قصر الملك.

انتبه الجميع عندما سمعوا ورأوا منسق الاجتماع وهو يضرب بقبضته على المنضدة وعندما تجاهلوا هذا... أو انشغلوا بكلام جانبي مع بعض من كان موجوداً بالقاعة نبههم رئيس المجلس بصوت لا يخطئ أحد جديته: على الجميع أن ينصتوا... وقبل أن نبدأ يحسن بنا بل الواجب والوفاء يقتضيان أن نقف حدادا على أرواح الشهداء تتقدمهم روح زبيبة بنت الشعب رمز الفداء والبطولة لهذا الشعب العظيم وقواته المسلحة الباسلة ونحيي الجرحى وندعو لهم بالسلامة ... ولم يترك الجمهور المحتشد في هذه القاعة الفرصة لرئيس المجلس ليواصل بما هو إضافي حيث ضجت القاعة بالتصفيق العاصف عندما سمع الجمهور اسم زبيبة يتردد واختلطت الزغاريد (الهلاهل) والتصفيق العاصف بالبكاء والنحيب بل لقد دمعت عيون الكل حتى من لم يبك لفق دمع عيونهم نشيج أو عويل وحتى العسكريين بكوا بصمت مع أن وظيفتهم أعدتهم ليكونوا جلدين لأن المعارك التي يخوضونها تجعل كلا منهم غالبا ما يرى صديقا له أو مقاتلا يعتز به يخر أمامه أو على مقربة منه قتيلا أو جريحا يدعه بعد أن يأمر من يقوم بواجب محدد إزاءه ليتابع واجبة القتالي بل لا يجد العسكرية ضمن تعليمات محددة أن من الحكمة أن يشغل أي مقاتل بإخلاء جريح أو قتيل من المعركة قبل أن تنتهي ...لكي لا تتبعثر جهود القوة القتالية ولكي لا يجد أحد ما ينشغل به عن المعركة غير واجباتها وفق الخطة التي ينفذها....

نعم حتى العسكريين بكوا بعد أن سمعوا اسم زبيبة ..وهل غير زبيبة من يستحق أن تدمع العيون وأن تنزف القلوب دما عليها.

كانت الهتافات تعلو...
عاشت زبيبة ملهمة الشعب وابنته......
عاشت زبيبة رمز البطولة ....والمجد....

وليخسأ الأشرار....

ولم يهتف للملك إلا واحداً من بين التجار من غير استحقاق أسكته الأقرب إليه بإشارة أشعرته بأنه نشاز في دعوته وصوته ....بالإضافة إلى أن صوتاً واحدا يكون مسموعا يحتاج لأن يكون على حق وليس اجتهادا باطلا....

وبعد أن قالوا ما قالوه تمجيدا لمعركة التصدي والصمود ورموزها وأبطالها عادت القاعة تهدأ ولكن ما أدهش القريبين من المرأة التي كانت تضع الطفل في حجرها أو الذين كانوا يعرفون وصفها أنها وحدها من بين النساء الحاضرات لم تبك وضلت صامتة لا تتكلم وعندما كانت النسوة القريبات منها يسألنها أو تلمح تساؤلا في عيني أي منهن تبتسم قليلا وتقول : لم يعد في عيني دمع تذرفانه أو ينضح منهما....

ثم إن أولادي الخمسة وهذا الذي في حجري هو ابن أكبرهم لن تردهم الدموع إلي وحسبي أنهم صاروا جزءً من رموز الشهادة والمجد لهذا الشعب العظيم وقد جئت إلى هنا لكي أعين من يحتاج إلى عون داخل نفسه أو خارجها لكي لا يضيع المتحذلقون معاني الشهادة والبطولة والوفاء وبذلك تضيع زبيبة ويضيع جهد وجهاد أبنائها الذين ضحوا بأرواحهم إلى حين .... فمستوى ما قدمه هذا الشعب يقتضي أن نحافظ على أمن دولتنا ووحدتها في حرز أمين وأن نهتدي إلى من يقودنا على أساس صفاته المتميزة وأن يحكم بالعدل حاضراً ومستقبلا وإلا حققنا للعدو جانبا من أمانيه الخائبة ومنها أن لا تكون لتضحية الشعب جدوى وأن لا يحترم مقصدها بما يشجع كل أبناء الشعب الآن وفي المستقبل على أن يضحوا من أجل المثل العليا ...

- إنني يا أخيه أو يا ابنتي تصف كل واحدة من المتسائلات على أساس عمرها إنما أركز ذهني واستجمع ما تبقى لي من قوة داخل كياني لأحافظ على مقصد دماء أبنائي ودماء زبيبة لذلك ولهذا السبب لا أشارك في الهتاف ولا في البكاء لكي لا أفرط ببقايا القوة لأرقب من يحاول تجميل الألفاظ أن يغدر بحصيلة تضحيات أبنائي...أبنائنا... أبطالنا... ودم زبيبة بنت الشعب وملهمته... وعلى هذا ترين أنني استمع وأحاول أن افهم ما أرى حولي وأمامي ولا أشغل نفسي وحالي بغير هذا الآن...

لدى سماع النسوة والرجال هذا الكلام كفكفت النسوة دموعهن ودارى الرجال دموعهم أو مسحوها بكوفياتهم أو أيديهم وقالوا جميعا لتلك المرأة الماجدة:

- حياك الله ..وكان في عونك..سنكون جميعا حراسا للمبادئ التي ضحى لها أبطال العراق وماجداته الأحياء منهم أو أولئك الذين عند ربهم يرزقون ... ولن

نسمح لدعي..أو دجال أو ضعيف بأن يتجاهل تضحيات أبنائنا ... إخواننا ..أخواتنا ...رموزنا.... لن نسمح بذلك أبدا وإن معاني الذكرى ستجعل الذاكرة متقدة في قاعدتها الصحيحة وستجعل الإرادة لا تنثني عن المعنى التاريخي الوطني الإيماني المكلفة بالمحافظة عليه...
وسط هذا الظرف سمع الجميع طرقات يد رئيس اللجنة على الطاولة ...انتبه الجميع ...وبعد أن افرغوا جزءً من شحنات ما تحتبسه صدورهم من خلال دموعهم صارت نفوسهم أكثر سلاسة وطباعهم أقل شططا خارج مستلزمات المحافظة على الهدوء والانضباط في القاعة....

- قال رئيس الجلسة : واسمة(عبد ربه) :

- أذكركم بقواعد وأصول الكلام في هذه الجلسة... ابتداءً ينبغي أن يتوجه الكلام إلى القصد مباشرة لأن نفوسنا عانت من اللف والدوران وأهله وأن نقتصد في القول ....في الوقت الذي نراعى اللياقة ،علينا أن لا نسرف في تلميع الكلمات.. لأن الذهب يحمل وصفه حتى لو علاه التراب وغير الذهب هو الذي بحاجة للتلميع إبعادا للصدأ عنه ليتوهم من يتوهم بأنه ذهب وفي كل الأحوال من حق كل من تقر له الأغلبية بالحضور أن يتكلم عن الموضوعات التي ستعتمد للمناقشة ضمن جدول أعمالنا ولكن ليس لأي احد أن يتكلم مرتين في موضوع واحد مادام هناك من يريد أو يرغب في الكلام ممن يحضر الجلسة وأن يطلب كل متكلم الإذن بالكلام برفع يده اليمنى- إشارة للرغبة في الكلام وأن من يعطي الكلام هو رئيس الجلسة وإذا لم يكن لديكم اعتراض أو تعديل على نظام الجلسة هذا ننتقل إلى جدول الأعمال لتبنيه بإرادة الأغلبية....

- رفع نوري الجلبي يده وعندما أذن له رئيس الجلسة كان واضحا للجميع أنه ممن كانوا يسمون أنفسهم علية القوم ولم يكن له موقف واضح إلى جانب الشعب والجيش وقد تسلل إلى هذه الجلسة من غير استحقاق ....

وقف وقال:

- اعتدنا في السابق أن تكون الأسبقية بالكلام لعلية القوم ووجوههم وليس للعامة فلماذا تقلبون التقاليد الآن؟

أجابه رئيس الجلسة:

- إن مجلسنا هذا ينعقد الآن وهو سيد نفسه وما يقرره بالأغلبية يغدو ضوابط يقلدها من يتبع المجلس ويؤمن بقراراته في حياته....

رفع احد العسكريين يده ...وقال:

- أوافق على ما قاله رئيس الجلسة ولكنني أردت أن أوضح شيئا: إذا وجب أن نأخذ بكل قديم مثلما هو فعلام اجتماعنا هذا إذن ؟

صفق له أغلبية من في القاعة....

طلب احمد الحسن الكلام برفع يده وظهر من هيئته أنه كان من المبرزين الذين قادوا المقاومة في صفوف الشعب ضد الغزاة وان عمره لم يبلغ الأربعين عاما ... وبعد أن أذن له رئيس الجلسة وقف ليقول:

- مع أنه يصعب أن نكون أمام سياق واضح في اجتماع كهذا لو اعتمدنا الكلام الذي قال صاحبنا هناك وأشار بيده إلى نوري الجلبي الذي أراد أن يغير سياق ونظام الجلسة ولكن اسمحوا لي أن أقول: من الذي أعطاه الحق ليتصور أنه من علية القوم الآن ليحفظ لنفسه الأسبقية في الكلام على غيره!؟
وما هي صفات من يكون ضمن هذا الوصف؟...
وعندما أجاب نوري الجلبي عما قاله احمد الحسن بأن هذا ما ورثناه عن أبائنا قال له:

- إن الموروث من العادات وبخاصة كهذا يطبق على من يؤمن بها أو تفرض فرضا عليه من ذي سلطة ويكون فرضها قسرا وصاحبنا نوري ليس ذا سلطة في هذا المكان والأسلاب الموروثة توزع وفق استحقاق الورثة... لذلك لا نؤمن بما تقول ولسنا أبناء أبيك لتعطينا من أسلابه ما نرثه ولست قادرا على أن تفرض علينا تقليدا انتفعت به ضمن ظروف وقانون حكم مبني على وراثة العرش نحن بصدد مناقشته وقد نحصل على النصاب الكافي من الموافقين على تغييره .

صرخ نوري الجلبي بعد أن رأى أن حجته تعرضت إلى التعرية...

-أتعني أنك تغير نظام الحكم الملكي!؟

ومع انه اعتمد نوعا من التمثيل ليظهر الأمر كأنه مفاجأة غير سارة قالها بصوت مسموع إلا انه قال ذلك بصوت لا ينم عن ثقة ولا اقتدار ولم يكن مؤثرا وبعد أن ابتسم احمد الحسن...قال:

- نعم إذا وافق المجتمعون هنا بأغلبية الثلثين سوف نغير النظام...

قال نوري الجلبي...

- وتغير النظام؟..

أجاب احمد الحسين بصفة وإرادة الشعب:

- نعم ونغير الملك فمن الذي ملك الملك يا صاحبي غير غياب إرادة الشعب عن ميدانها في غفلة من الزمن أو القوة وسياسة الدول الخارجية التي غالبا ما تفرض بل وفرضت كل الملوك في منطقتنا ومنهم الملوك في وطننا الكبير ضد إرادة ورغبة الشعب ؟

الآن وبعد أن حضرت إرادة الشعب في ميدانها وبعد أن صارت إرادة القوة الغاشمة أو القوة المشبوهة الأجنبية غير ممكنة لتضغط على الشعب فإن من يمثلون الشعب وقواته المسلحة الوطنية وحدهم الذين يقولون رأيهم الحاسم فيما لهم وما عليهم!...

سكت نوري الجلبي الذي جاء متسللا إلى الجلسة من غير استحقاق ولم يحر جوابا .
بادر رئيس الجلسة ليقول:

- أرجوا أن لا تتعجلوا في مناقشة أمر لم نضعه بعد في جدول الأعمال .... وعلينا أن نواصل جلستنا
كرر رئيس الجلسة:

- هل هناك من يعترض على نظام الجلسة؟....

رفعت أم الشهداء الخمسة يدها وأذن لها رئيس الجلسة فقالت:

- إن أي جلسة ينبغي أن تعرف هويتها حتى لو بشكل أولي وإذا كنا لم نتفق بعد على شعار تنعقد هذه الجلسة تحته فلا أظننا لا نتفق على تمجيد الشهادة والشهداء.....

ضجت القاعة بالتصفيق... والهتاف..

- إن زبيبة شهيدة الشعب وملهمته ورمز بطولته وتضحيته لذلك اقترح أن تتصدر صورتها اجتماعات مجلسنا هذا وأن توضع عالية على الجدار خلف منصة رئاسة الجلسة بحيث تبدو كأنها فوق رؤوسكم ويراها كل من في القاعة وبذلك يتحدد الاتجاه العام لجلستنا في الأقل.....

ضجت القاعة بالتصفيق ولكن قلة ضئيلة فقط من الذين لم يصفقوا تأييدا للمقترح هم الذين كانوا على ما يظهر عكس هذا الاتجاه....

قال رئيس الجلسة:

- نعم فاز اقتراح أم الشهداء ...لنضع صورة زبيبة في صدر قاعة الاجتماع ونعلقها فوق رؤوسنا تقديرا لها...
طرق رئيس الجلسة المنضدة التي أمامه وقال:

- بعد أن صار واضحا أن الأغلبية الكبيرة تؤيد نظام الجلسات لننتقل في مناقشاتنا إلى جدول الأعمال....
إن نقطة الأساس في جدول أعمالنا في موضوع الحكم الذي نبهت إليه زبيبة في وصيتها للملك بأن يجعل إرادة الشعب هي الحاسمة في شكل الحكم وكيفيته ولأن الإرادة للشعب الآن فعلى الشعب أن يقول قولته
ومع أن الملك لم يكن في القاعة وان إرادة الشعب كان حضورها قويا من خلال ممثليه فقد تهيبت الأغلبية من مناقشة هذا الموضوع وكان سبب التردد الذي بدا بوجه عام على من في القاعة هو هيبة الحكم أو الخوف من التأثير الشخصي للحاكم والوفاء للموقف الأخير الذي وقفه الملك وتقديرا لموقف زبيبة منه على وفق ما ورد في رسالتها إليه ... ولم يتحول هذا المزاج إلى أن خاطب احد ممثلي الشعب من أولئك الذين ما زالت ملابسهم ملطخة بالدماء جراء المعارك التي اختلطت فيها دماء جروحه مع دماء جروح من أصابهم وهو يلتحم بهم بالسيف أو الخنجر بعد أن كسر رماحا ورماحا في صدور من ورد حومته في ساحة الوغى...بقوله:

- لا أحد منا له ضغينة شخصية إزاء هذا الملك وبخاصة بعد أن قاتل معنا ولكنه ما كان أصلا ليكون ملكا من غير دعم الشعب بصورة غير مباشرة أمام من كان ينافسه على الكرسي من الأمراء ودعم القوات المسلحة له على أساس فكرة: إن لم تكن أمامك إمكانية وفرصة الاختيار وفق ما تريد فاختر أهون الشرور أما أبوه وأجداده فقد ضقنا ذرعا بهم ولم يخلفوا للشعب غير الماسي ولو كشفت لكم ظهري على سبيل المثال لرأيتم أنني واحد من بين الألوف التي ألهبت سياط الجلادين ظهورهم وتركت أثارها عليهم ...ناهيك عن الجوع والتخلف والذل الذي أصابنا وأصاب دورنا كشعب جراء حكمهم ... وحتى عندما نقول أن هذا الملك يختلف عن الملوك الآخرين فنحن المسئولون بالدرجة الأساس عما يعتبر أفضل منهم في خواصه ...ألم تحمل زبيبة بنت الشعب إزاء تكليفها ضمنيا كأنه صادر بإرادة الشعب لتحوله من موقف إلى موقف ومن نوع إلى نوع آخر!؟ ...الم يكن

الشعب هو المتفضل على الملك بما في ذلك ما ادخل في قلبه من إيمان بالله بعد أن كان ضالا ؟ ثم ... أليس الشعب هو الذي أنقذ حياته وشرفه كرجل قبل أن نتحدث عن شرفه كملك أمام غزو الغزاة ومؤامرة المتآمرين؟... هل قمنا بكل ذلك لنأتي بملك مرة أخرى على رؤوسنا؟... وإذا كنا قادرين على أن نضمن سلوك هذا الملك في حد أدني نرتضيه للشعب والوطن وما نؤمن به من مبادئ فكيف لنا أن نضمن من يرثه على قاعدة الملكية والوراثة!!؟ ...

ما أدرانا ربما يحكمنا(صبي) أو طفل.... أو يحكم أبنائنا إلى حين بل قد يحكمنا مختل من أبناء هذا الملك أو احفاده من بعده .....!
غصت القاعة بضحك الناس الموجودين فيها.... أعقبها تصفيق حاد تأييدا لأفكار المتكلم....
وواصل كلامه:

- **في كل الأحوال أرجوا أن تفصلوا بين الرأي الشخصي لآي منا بالملك وبين رأينا الموضوعي والمبدئي بالنظام الملكي لكي لا تختلط الأمور....**

رفع آخر يده وكان واضحا انه من بين كبار التجار الذين يتاجرون بين العراق وبلاد عيلام... قال:

- **إن الملكية أمر واقع سواء قبلنا آم لم نقبل.... إنها نظامنا منذ زمن طويل وان الشعب استقر عليه ... ثم كيف لنا أن نتاجر في الخارج أو الداخل ما لم نستقر على حال؟....**

غمزه أحد الجالسين بقربه وهم بأن يسترسل لولا تنبيه رئيس الجلسة له بالقول:

- **هل تريد أن نستقر على هذا الحال الذي نختاره أم على ما ورثناه لأنه يلاءم مصالحك ؟.... ابتسم من سمع الكلام...**
استرسل التاجر:

- **علينا أن نتلاءم مع الحال مثلما هو لتستقر تجارتنا إذ أن الطريق المعروف مساؤه أفضل من الطريق الذي لا نعرفه إلى أن يقود حتى لو بدا لنا انه الأفضل عند خط البداية ...ثم أليست الحكمة الشعبية القائلة (اليد التي لا تستطيع قطعها قبلها) حكمة صحيحة؟**

تساءل أحدهم بعد أن استأذن:

- **هل أنت بما تلم الآن أفضل أم أبوك الحمال الذي كان يحمل بضائع التجار في سوقهم من قبل؟ ولماذا لم تقبل بالحال الذي ورثته عن أبيك!؟ وهل الشعب**

ملزم بأن ينمي ملكيتك في ظرف وحال يقبل اللا مشروع ليغتني من يغتني مثلما امتلكت ملكية تاجر كان قد استخدمك كاتبا لدية عطفا منه على أبيك وعندما مات التاجر لم تكن له سوى ابنة واحدة فاستوليت على ملكيته وتريد الآن أن تبقى الأمور على ما هي عليه وفق هواك بما في ذلك إبقاء الحكم ملكيا لكي تؤمن على ملكيتك الحرام في ظل من قدمت لهم الرشوة من المسئولين عن عدم قول الحق أو تنفيذه بأمانة؟.... هل هو موقف خلقي يا صاحبي أن نبقى على الخطأ أو الانحراف لنصون أو نحافظ على مصالح غير مشروعة في الوقت الذي يتحمل الشعب في حاضرة ومستقبلة ثقل وعبء مساوئ ما يفترض أن يجري تغييره؟.....

دوت القاعة بالتصفيق ... وعندها خرج من القاعة متعثرا من أثار هذا النقاش وهو لا يلوي على شيء. ...خرج وهو يلعن اليوم الذي أتيح أمام الشعب فيه أن يقف الموقف الذي يحقق الصمود ومن ثم النصر على الغزاة ليمتلك من بعد ذلك إرادة المناقشة والحوار والوعي اللازم ليقول كلمة الحق...
رفع شميل يده وكان في عمر الأربعين عاما وبعد أن أذن له رئيس الجلسة بالكلام .... قال بعد أن سبق ما أراد أن يصل إليه بمحاضرة عن الوفاء واحترام القانون والتقاليد بطريقة تمثيلية لا يخطئها النظر أو الفكر الثاقب ....

- أنا لا أريد أن أدافع عن الملكية ولكنني أريد أن أدافع عن حق الملك في الملكية باعتباره قاتل معنا ... وان زبيبة التي هي رمزنا الآن كانت راضية عنه حتى قبل وفاته بقليل......

هكذا قال (قاتل معنا) وقبل أن يسترسل في كلامه قاطعه أحد الجالسين من قادة المقاومة موجها الكلام إلى رئيس الجلسة...

- إن المتكلم قال إن الملك(قاتل معنا) وهذا يعني انه كان ضمن من قاتلوا في معركتنا الوطنية الكبرى ضد الغزاة والمتآمرين وهذا غير صحيح ...إن هذا الشخص ..لم يقاتل معنا وكان يعمل بالمضاربة في سوق الصيارفة ويعمل على إضعاف عملتنا الوطنية من أجل مصلحته وكان يحتكر الطعام على حساب مصلحة الشعب فأرجو أن يطلب منه رئيس الجلسة أن يوضح قصده من الحضور... أين ومتى قاتل معنا هو وأبوه؟.. ذلك لان أباه مثله كان همه الاشتغال في المضاربة في سوق الصيارفة بل وغالباً ما كان هو وأبوه يساقان إلى المحاكم بتهمة تزييف العملة ... ولكن النظام الملكي لكثرة ما فيه وفي أجهزته من ثغرات كان يتيح أمامها من خلال أجهزة القضاء المهترئة والشرطة فرصة الإفلات من العقاب بما يقدمانه من رشاوي إلى من يعنيهم الأمر أو ما يقدمانه من وثائق مزورة هي الأخرى كدليل على براءتهما....

قام شميل اليهودي ليقول:

- نعم ..قاتلت في هذه المعركة ضد الغزاة فقد دفعت البدل النقدي بدلا من الخدمة العامة لأنني لم أجد أن الاستنفار لمقاومة الغزو الأجنبي يشملني ومع ذلك تبرعت وبعثت عبدي بعد أن دفعت له أربعة أضعاف الأجر الذي كنت قد عينته له قبل ذلك حيث كنت أعطيه أجرا قليلا إضافة إلى آكل بطنه وما نتحفه من أسمال ثيابنا قبل ذلك
نهض ضابط من قادة المقاومة في القوات المسلحة وقال:

- إنني استغرب كيف يقبل كلام هذا الدجال؟ وكيف يسمح له بالاسترسال بالكلام في هذا الاجتماع الذي له قدسيته كانعكاس لاهدافه وتكوينه على أساس الأغلبية؟... إنني اعرف شميل واعرف أن له ابنا تجاوز العشرين من العمر ولكن غيبه عن المعركة وان خدمته العسكرية لم تكن منتظمة في الغالب ضمن صفوف الجيش اذ كان يتهرب من الخدمة بطرق ملتوية بما في ذلك تقديم تسهيلات وإغراءات لضعفاء النفوس ... وفي كل الأحوال فإنني اجزم لانني متأكد مما أقول أن ابنة لم يكن ضمن صفوف الجيش في هذه المقاومة الباسلة التي تعرض فيها الوطن والشعب إلى اقسي وأخس أنواع المؤامرات ... وان شميل نفسه مشمول بدعوة الاحتياط على أساس النفير العام ولم يكن ضمن المقاتلين أيضا.... يضاف إلى ذلك أنه كان يقوم بتهريب قسم من أبناء الأسرالثرية خارج الوطن ليتخلصوا من الجندية وبهذا فانه يوجه طعنة مباشرة للوطن والشعب لان الوطن من غير جيش يكون مشاعا أمام من يسعى ليملكه بالقوة... انه بهذا يفقد حق المواطنة ومن يفقد حق المواطنة يفقد حق تمثيل الشعب في هذا المجلس العتيد ولذلك اقترح أن يطرد من مجلسنا بل ويطرد من بين صفوف شعبنا...

هاج الجميع مؤيدين الفكرة إلا عدداً قليلاً ظل صامتا منطويا على نفسه خشية غليان ممثلي الشعب داخل المجلس وقالوا بصوت عال:

- اطردوا شميل ..فليخسأ شميل... اطردوه من مجلسنا... اطردوه من وطننا واللعنة عليه اليوم والى يوم توعدون...
دفع بعضهم شميل من أكتافه وخرج متعثرا بعد أن سقط ونهض عدة مرات وترك قسما من ملابسه وحاجياته تسقط منه من غير أن يكلف نفسه بالتقاطها...

استأذن عسكري لم يكن يرتدي بدلة معركة وبدا من هيئته وهيئة ملابسه أنه لم يقاتل في صفوف المقاومة وأن كل ما هو عليه يوحي بأنه واحداً من ضباط المقرات الخلفية في العاصمة التي يقضي بعضهم كل أو جل خدمتهم فيها في الجيوش التي لا يطبق فيها نظام عادل للخدمة وليس للخدمة في جبهات القتال وزن يذكر في خط خدمتهم وترقيتهم أو إن نظامهم السياسي ليس من الوصف الذي يقيم وزنا لهذا ويضمن العدالة بين الناس ومنهم من أبناء الجيش ...نهض

كأنه في طروادة وجهه ويديه ورقبته يشبه ربات البيوت في الأسر المترفة وبعد أن عرف بنفسه بما قدم من إبداعات في المقدمة منها انه اصدر عددا من الكراسات والكتب في التهذيب وأصول تناول الطعام ونوع التصرف عندما يكون الأمر بين الضباط في مطعمهم وان له محاولات في شؤون التعبئة والسوق العسكري وقال:

- إن الملك ملكنا وقد ورث الملك عن أبيه وإذا حرمناه ورثه معنى ذلك أننا سنعتمد قانونا يحرم كل الوارثين في الشعب من إرث أبائهم وهذا شيء خطير ... وفي ظني أن حرمان الشعب بما في ذلك أبناء القوات المسلحة من أن يرثوا أي شيء مادي أو اعتباري من أبائهم أمر لا يوفق علية الشعب ولا القوات المسلحة ولا أظنني أجافي الواقع إذا قلت بل حتى الموجودين داخل هذه القاعة ويرتجون إرثا ما من أبائهم لا يقبلون ذلك اللهم إلا أولئك الذين لا يعرفون أبائهم أو لا يرتجون شيء من أبائهم لأن آباءهم لا يملكون شيئا.
طلب الكلام أحد رجال جبهة القتال والمقاومة في الجيش مثلما تشير إلى ذلك هيئته وملابسه من شداد يضمد فيه جرحا على عضد يده اليسرى ...فقال:

- اشكر الله واشكر قادة المقاومة ومنهم رئيس هذه الجلسة أن هيئوا لنا فرصة الحوار في هذه القاعة فجعلوا الضعف يذر فرنه زاهقا من صدور من يوصفهم به بعد أن بان الاقتدار على قاعدة إيمانية ومواقفه المشروعة إزاء قضايا الشعب والوطن وهنا التمس عفوكم إذ أشير إلى عورات من ينبغي أن يشار إلى عوراتهم بعد أن جعلهم التهتك لا يعبهون بها وتجاسروا إلى المدى الذي لم يعودوا يستحون فيه مما يظهرونه منها بعد أن صارت جزاء منهم وانما راحوا يرجون لها لتكون أخلاق الشعب وسلوكه مثلها وليس على قاعدة ومسار آخر...

إن القول المأثور(الشمعة تطرد الظلام مثلما يطرد الإيمان الشيطان) حكمة حصنت مواقفنا من قبل وجاء المؤتمر ليجعلها راية هداية لمن يهتدي وإشراقة شمس على مهبط كل ظلام ..إنني باختصار أقول أيها الإخوة والأخوات الحضور رفاقي وأبنائي البررة كوصف لمن ينطبق عليه هذا الوصف إن هذا الضابط قبل في جيشنا الباسل في غفلة من أصحاب الغفلة وعدم قدرة أصحاب القدرة على قول رأيهم إن أباه كان عميدا في الجيش وانه توسط لدى أبي هذا الملك متوسل له بالقول إن أعلى تكريم يكرمه به الملك هو أن يمسك ركاب حصانة ليقبل قدمه عندما يمتطيه الملك وقد بقى يقبل حذاء الملك السابق في ركابه حتى توفاه الله.. .. وان أم هذا الضابط كان همها أن تدعوا إلى حفلات ما جنة مختلطة رجالا ونساء وبعد أن يختار الملك من تعجبه منهن تتولى أم هذا الضابط استطلاع مطاوعتهن لرغبة الملك لتقتادها مع استمرار الاحتفال إلى مخدعه وان هذا الضابط هو وزوجته لا هم لهما إلا حضور الحفلات الليلية وبإمكاني أن استدعي أمامكم مئات الضباط لا على التعيين لتوجه لهم أسئلتكم مباشرة لتعرفوا كم منهم

وجه هذا الضابط دعوة إليه ليحضر إلى بيته بحجة تناول وجبة غداء أو عشاء وبإمكانكم أن تسألوهم لتعرفوا كم منهم يعرف مواقع غرف النوم في بيتي وأين يقع الصالون.. وأين..وأين..!؟ وهل يحضر أولئك المعارف إلى البيت في غياب صاحبة أم لا؟ وهل صادف وان حضروا من غير عوائلهم ؟ وهل دعتهم ربة البيت زوجة هذا المتحذلق ليتناولوا المرطبات أو الشاي أو القهوة في غياب زوجها عن البيت !؟ ثم إن هذا الضابط لم يصادف أن خرج ليدرب أحدا من ساحات العرضات أو في التدريب الإجمالي ولو طلبتهم منه أن يفتح سرية للدفاع أو الهجوم لعجز عن ذلك عدا عن القول انه لم يدخل معركة دخلها الجيش ضمن واجباته المقررة أبدا فهل يصلح سيداتي وسادتي رفاقي وأبنائي إخواني وأخواتي هل يصلح مثل هذا أن يحمل صفة مؤتمركم ؟ بل هل يصلح أن يحمل صفة مقاتل في جيشكم الباسل؟ وهل يجوز له بعد اليوم أن يرتدي ملابس العسكرية التي صارت رمزا وشرفا لمن يحملها!؟

دوت القاعة بالتصفيق وتعالت الهتافات بحياة الجيش والشعب وصاح العسكريون...

- إننا بريئون منه ... انه سبة علينا إن بقي ضمن صفوفنا ...مرة أخرى دوت القاعة بالتصفيق والهتاف بما يشير إلى أن الجميع أيدوا موقف العسكريين وعندها خرج صاحب القول الأخطل والموقف المشين متعثرا حتى بالهواء ظنا منه انه حواجز ولولا انه كان يرتدي بدلة عسكرية لانهالت عليه الضربات من كل جانب...

رفع شخص لقبوه(صائد الأمراء) يده طالبا الكلام وقد عرف بهذا الوصف كاسم علم له بدلا من اسمه الذي ضاع وسط صولاته البطولية وهو يصطاد بحربته أو سهمه وحتى بخنجره ويجندل من فوق حصانه هذا أو ذاك من الأمراء أو كبار التجار وكأنه مختص ومكلف باصطيادهم وحدهم....

ومع انه كان راجلا من غير حصان لكنه بدا كأنه ذئب يهاجم شاة منعزلة عن قطيعها حيثما ظفر بأي منهم على مقربة منه وكان لشدة سرعته وقوة بدنه وذراعه لا يدع أحدا يفلت منه ليعيش بعد ذلك وإذا ما لحق بحصان وتثبت بذيله أو بأي وسيلة تسمح له بان يمسك به كما ينبغي أو حتى بركاب الخيال لقصر في قامته ما هي إلا كلمح بصر حتى تجد الفارس والخيال بعد أن يسقط الحصان يتدحرجان على الأرض وبخفة وثقة تراه جاثما فوق صدر الفارس ليقطع رأسه أو يدع الرمح يتخلله حتى يخيط عليه الأرض من تحته
ولقصر قامته كاد يوصف بالقصير لولا الخشية من أن يكون هذا الوصف غير لائق به بعد تلك البطولات ذات الباع الطويل التي عرف بها وهو يجندل الواحد بعد الآخر مع براعة فائقة في قدرة تفادى ضربة برمح أو طعنة بسيف أو رمية

بنبلة....

كان صائد الأمراء يتمتم بمقاطع وأصوات غير مفهومة بعد أن أذن له رئيس الجلسة بأن يتكلم ويحمر وجهه تارة ويصفر تارة أخرى خجلا مما هو فيه من حال يمنعه من الكلام مرة وأخرى حنقا منه على ما تسبب في ذلك بل كان أحيانا يبدو كأنه طائر أطبق على رقبته فخ فلاح في حقل ترى جناحه يرفرف وتارة يقفز بخفة من مكان إلى آخر دفاعا عن روحة خشية أن تزهق...... وعندما وجد انه عاجز عن أن يبلغ كلاما مسموعا ومفهوما لدى من في القاعة أسرع إلى جارة على الكرسي الملاصق له واستنجد به بعد أن سحبه بيده ليخلي مقعده ويقف إلى جانبه ومن حركاتة فهم الجميع انه اخرس وانه استعان بأقرب المحاربين منه ليفسر كلامه لمن هو في الجلسة وكان صديقا قديما له وأحد المحاربين البواسل أيضا في الجيش الشعبي للمقاومة المسلحة....

استمر صائد الأمراء يتمتم أحيانا ويطلق أصواتاً كما الطيور أحيانا أخرى ومع ذلك كان يستخدم الإشارات ويقوم صديقة بين حين وآخر ينقل الكلام إلى المستمعين بمقاطع مفهومة كأنه يترجم من لغة إلى أخرى...قال:

- أحييكم أيها الإخوة والأخوات وأحيي تضحياتكم وأركع ساجدا لله العزيز القدير أمام مشهد نهر دماء الشهداء سيد الأنهار وأطهرها ... أنا العبد الطائع لله صائد الأمراء مثلما سميتموني وبه ارتفعت منزلتي لازداد تواضعا لا احد منكم يعرف قصتي ولا تعرفون لماذا لم استهدف حياة كائن من كان إلا إذا كان تحت وصف أمير أو تاجر كبير ممكن كانت معرفتي بهم واسعة .....بل كنت لا أطلق سهما أو أسدد ضربة رمح أو طعنة سيف على أحد حتى على من كان يستهدف حياتي في حومة المنازلة وأراه على هذا الوصف بأم عيني حيث كنت أتفادى ضربته بوسيلة أخرى غير تسديد ضربة إليه ومع أن ذلك ليس محرما من وجهة نظري وانه حق لي وفق شرائع رب السموات والأرض لكنني لم أشأ أن اشغل قدراتي بمن هو ليس أميرا أو تاجرا كبيرا امتلك من غير حق وعدل لأنهم السوسة التي نخرت الجذع الباسق لكل شجرة أو نخلة في بلادنا إنهم(خنياب) الحياة والسم القاتل واللوثة المدنسة لكل ثياب بيض ولكي تعرفوا كل ذلك ها هي قصتي:

كنت تابعا لأحد أولئك الأمراء ومحل ثقته وقد دربني على فنون القتال لأحمي ظهره في الليل والنهار حيثما رافقته في حله وترحاله طلبا لصيد أو مهمة من المهمات .... حاول هذا الأمير في أحد رحلات الصيد أن يخطب فتاة آية في جمال الخلقة من أبيها وكان الأخير سيد قومه ومن اشرف الناس سمعة وعملا وموقفا وعندما قال له والد الفتاة إن ابن عمها يريدها وهي تريده ، سأله أن يبيت الكلام إلى اليوم التالي ليأخذ رأيها هدده بالموت إذا لم يوافق على تزويجه إياها بعد أن رآها تملا قربتها من غدير مما اضطر الأب لان يزوجه إياها وخشية من أي طارئ

صمم الأمير على أن يدخل عليها في مخيمه الذي كان يجاور عرب(سلف) أهلها بدلا من أن يصحبها معه إلى العاصمة ليجرى مراسم الزواج هناك وفق ما يفعله الأمراء والحق أقول انه أغدق على والدها ولكن كل عطاياه لم تزد الوالد إلا حزنا على ابنته لزواجها من ذلك الأمير لان من عادة هذا الشريف وأهله أن لا يزوجوا بناتهم إلا لأبناء أعمامهم على أن يخترن من يخترنه منهم بعد أن يبدي أي منهم رغبة في الزواج من إحداهن ويرفضن من يرفضنه وعند ذلك يكون قرار الآباء أو أولياء أمورهن تحصيل حاصل ولقد عرف أولئك الناس بهذه الميزة التي جعلتهم محل احترام حتى الناس الذين لا يأخذون بتقاليدهم تلك ذلك لان هذا التقليد جعل الانحرافات الاجتماعية بين الجنسين بأقل ما يمكن لديهم وجعل حياتهم الزوجية مستقرة تمام الاستقرار والتلاحم قائم بينهم والمشاكل والمشاحنات الأخرى تكاد تكون حالة نادرة ...ولهذا رأى والد الفتاة أن زواج الأمير من ابنته عمل اضطر إليه وانه خرق تقليدا يفترض به أن لا يخرقه وان عليه أن يحرص على ما سنته القبيلة لنفسها ... أليس عار على من يقود قوما أن يقبل راضخا بان يخرق عنصر خارجي تقاليدهم وعرفهم المقتنعين به!؟

في ليلة الزفاف بل أصحح لا قول في ظهر اليوم نفسه حاول سيدي الأمير آنذاك _قال (سيدي) بتهكم اراده أن يظهره كما فهم المترجم من إشارات الأخرس صائد الأمراء وهو يبتسم مع من في القاعة _ أن يدخل على البنت في خيمته لكنها رفضت بعد أن عنفته وعندما أعاد الكرة عليها هددته بعد أن رمته بأقذع كلام يستحقه ومن بين ما قالته لذلك الأمير :

- إن وصفك وسمتك ليس وصفة وسمة أمير وانما وصف وسمة ****ة مما ينطبق عليك وإلا كيف تقبل معاشرة امرأة لا ترغب فيك بل تحتقرك لإصرارك على معاشرتها بينما هي لا تريدك!!... ألا تعرف كم تحتقر النسوة من يجبرهن على مسلك غير شرعي وهن غير راغبات فيه!؟
وعندما حاول أن يقول لها انه خطبها من أبيها قالت له بعنف:

- لقد نهبتني من أبي ومن أهلي وقبيلتي ولم تخطبني ... نحن نستنكف من أن يقترن اسمنا بك . وبأمثالك... وسوف أقف منك هذا الموقف الذي لن يتغير...
وعندما سمع هذا الكلام منها اضطر للخروج من الخيمة .... وقد سمعت هذا كله لأنني كنت انتظر على مقربة من الخيمة لألبي طلبات مولاي ولأنها تعمدت التحدث بصوت عال لإيصال رسالة إلى الخارج.

وابتسم ابتسامة احتقار أيضا لكلمة(مولاي) ومعه الأغلبية بنفس روحية الاحتقار لهذه الكلمة ثم قال:

- عندما وقعت عيناه علي وهو يخرج من الخيمة تعثر بأطراف ثوبه المنسوج

من الحرير وسقط عقاله على الأرض فالتقطته وناولته إياه بعد أن نفخت التراب من عليه بطريقة كنت فيها كمن يبصق على شخصية ذلك الأمير لحقارته خاصة عندما قال لي قبل أن يأخذ عقاله من يدي ويضعه على رأسه: انقل إليها إبريقا من مغلي زهور البابونج وقل لها إن سيدي يحبك وان عينيه لم يعرفا طعم النوم مذ رآك على الغدير ..وانه...وانه ..علها تعطف على سيدك...لأنها إن لم تفعل سأجن أو اقتلها...

وعندما قلت لها متعجبا:

- أتقتلها سيدي؟ كيف تفعل ذلك ونحن وسط أهلها؟ ثم كيف لك أن تلحق بأهلها عارا بقتل ابنتهم يوم زفافها إليك ؟ وما عسى أن يقول الناس في ذلك كله!؟
أجابني وعلامة الشر بادية عليه:

- إذا لم تطاوعني في النوم معها ومعاشرتها عليك أن تدس لها السم في الطعام....
ولكي اسبر غوره وأعرف مستوى تصميمه على الشر قلت له متعجبا:

- أنا أدس لها السم سيدي!؟
قال:

- نعم تدس لها السم في الشراب أو الطعام ثم نقول إن أفعى لدغتها ...وبإمكاننا أن نحضر أفعى من هذه الفلاة ونقتلها ونلقيها على أرض الخيمة ونقول إننا قتلنا الأفعى بعد أن عضتها ولكننا لم نستطيع أن نسعفها لننقذ حياتها...
قلت له:

- هل أنت جاد يا سيدي؟
قال بحدة وتصميم:

- نعم كل الجدية وإذا لم تطاوعني الملعونة هذه الليلة ولم تدس لها السم بعد ذلك سوف أقتلك واقتلها لذلك ليس أمامك إلا أن تقنعها .
وعندما حاولت أن أهدئ من روعة قال لي:

- اسمع لا مجال لغير ما قلت والحكمة لدي : إذا وجدت شمعة لدى جارك ولم تستطع سرقتها لتنير بها بيتك المظلم فدمرها بضربة سهم لتنطفئ إلى الأبد وقد تحرق بيت صاحبها

وحين أفصح ذلك الأمير ال** عن مكنونه عرفت تصميمه على الشر فقلت له**

- سأحاول ولكن أرجو أن لا تستعجل علي وأن تعطيني فرصة لما تبقى من اليوم ويوم غد .
قال بصورة حازمة وقاطعة:

- جزءً مما تبقى من الليلة القادمة وكل ما تبقى من نهار اليوم فقط لا غير، دلفت غالى الخباء(الخيمة) بعد أن استأذنت من سيدتي

لاحظ المجتمعون أن الأخرس ومن يترجم إشاراته وتمتمته لم يستهزئا بكلمة سيدتي .
واصل الأخرس كلامه:

- فقلت لها باحترام لقد سمعت وعرفت كل ما قلته لذلك) الآدمي) اقصد الأمير وقد فهمت ذلك.... وأنا أتعاطف معك في موقفك وكل تفاصيل قولك ولكنني أرجو حلمك وصفحك لتسمعي مني وليس لي بعد أن تسمعي مطلبا ويشهد الله على أنه ليس لي رغبة غير أن تشاركينني في أمر إنقاذك بمحاورة هادئة إنقاذك سيدتي وليس إنقاذي .. إنقاذ حياتك وسمعة والدك وليس حياتي ... وليس حياتي...

عندما سمعتني أردد كلمة حياتي مرتين حملقت في وجهي مندهشة بعد أن رفعت رأسها الذي كان مطرقا من قبل إلى الأرض لكي لا تنظر إلى وجهي مفترضة أن كل من في مخيم الأمير أعداؤها وأعداء أبيها وأعداء خطيبها وأعداء قبيلتها ولعلها كانت تقول في نفسها (وأعداء كل حر شريف)

حكيت لها ما قال الأمير لي وركزت على القول أنها إذا لم تتظاهر بأنها مقتنعة سواء من تلقاء نفسها أو بتأثير مني فتقدير الأمر متروك لها..

وقلت لها: مع كل ما قلته لك والله لو أمرتني الآن بأن اقتله لقتلته ولأذهب فداء لمعاني القصة العالية التي يضمها جناحي ولو أمرتني لان أتسلل معك إلى حيث منزل والدك لفعلت ما تأمرين ولكنني أعلم بأنك تعرفين أن اي من هذين الحالين يورث العار الذي لا تقبلينه لنفسك ولوالدك الطيب واهلك الشرفاء ولكنني أردت أن أقول ذلك لأؤكد لك أن غايتي ليست إنقاذ نفسي وانما إنقاذك وإنقاذ شرفك وليس لي بعد ذلك حجة إذا ما ناقشتني سيدتي في ما قلت وأنا طوع بنانك في ما تأمرين .

سمرت عينيها في عيني طويلا كالمنومة مغناطيسيا وكانت نظرتها لا تنم عن أي تعبير غير التصميم على شيء لم تستطع تخمينه حتى كادت تلك النظرة تخجلني

من نفسي لأنني لم استطيع أن أقدم لها حلا مرضيا غير أن تطاوع من لا تريده على نفسها وأنا رجل يملك كل شروط الرجولة ..أليست حالة محرجة أن يحاول رجل مثلي بغض النظر عن صفتي كتابع لأمير إقناع امرأة بمطاوعة رجل على نفسها في الوقت الذي ترفضه روحها ومن ذلك مع اختلاف القصد رأيت أن يقطع رأس كل قواد وقواده... سواء فعلوا فعلهم ال** لإنسان عادي أو أمير أو تاجر أو ذي مال.**

قالت لي زوجة الأمير

- أحسنت وبارك الله فيك بل سأقول له إن حجتك أقنعتني لكي أجعلك ذا حظوة عنده وبذلك تبقى قريبا مني لأستشيرك فأنت الأمين علي ما أجد إن استمزج رأيك فيه... وكتحصيل حاصل علي أن أطمئنك لن أقول له تفاصيل ما قلته لي الآن...

- لقد طرت من الفرح بعد أن تخلصت من تلك المحنة الشائكة
صمت الأخرس وسالت دموعه كأنها مطر ينساب فوق أديم الأرض في نهاية فصل الخريف...
كفكف دموعه وقف صامتا ومعه كل من كانوا في القاعة منتظرين سماع الجديد من الكلام مما يفصح به (مترجمة) بعد أن يتلقى الإشارات منة حتى اضطر رئيس الجلسة أن يقول:

- وماذا بعد؟

- أقنعت الأمير بعد أن أشرت عليه أن يدخل إلى الخيمة على وفق أمرها لي.... وسمعتها تقول له..... إن تابعك أقنعني بحجته وسأكون طوع بنانك ولكن لي طلب أرجو أن لا تخيب ضني بعدم الاستجابة له وهو تقليد عائلتي وأهلي فان من تتزوج غريبا من بناتهم تبقى عنده مثل الضيف لمدة شهر يكون الزواج كاملا بعدها ويكون الزوج قد استضاف والد الزوجة وأهلها وعشيرتها خلال هذا الشهر ...وقالت له: لا أضنك ترضى أيها الأمير أن أكون اقل شأنا من أي من بنات العشيرة اللائي الزمن أزواجهن بهذا فإن وافقت فهو دين في رقبتي لك وان لم توافق تتحمل مسؤولية شعوري الدائم بأنك اغتصبتني

وعندما حاول أن يقلص الزمن رفضت ظبيه....
ورغم انه جعل ثمن كل يوم تقلصه من الثلاثين يوما قطيعا من الإبل من مئة ناقة مع عدد مناسب من (الزمل) أو ألف شاة أو كيلو غرامات من الذهب فقد رفضت ظبية كل هذا.....
هذا ما عرفته منها بعد ذلك أثناء رحلتنا قاطعين القفار إلى العاصمة بعد أن رضخ الأمير لطلبها مضطرا طمعا في رضاها عنه وقد وقعت المؤامرة واشتد القتال في

الأسبوع الثاني من وصولنا للعاصمة وقررنا بعد المذاكرة فيما بيننا أن نلتحق بالمقاومة أنا بصفتي ووصفي كما هو وهي متنكرة بزي شاب ولم أعرف حتى يومنا هذا الخطة التي كانت تضمرها في نفسها...

وهل اختطت ما اختطته لنفسها آم أن الأمر لم يكن إلا محاولة لكسب الزمن بانتظار فرج صاحب الفرج العظيم الرحمن الرحيم....
سكت الأخرس ..وأجهش بالبكاء بصوت مسموع... بعد هنيهة عاد فتماسك ..والغضب باد في عينيه والاعتداد بنفسه والثقة بها بائنا عليه ..قال بصوت متهدج ولكنة قوي وواثق:

- **قد تتساءلون أيها السيدات والسادة متى ، وكيف فقدت لساني!؟**

- دخل علي الأمير في اليوم التالي لوصولنا العاصمة هو وعشرة من حرسه بصورة مفاجئة وربطوا يدي خلف ظهري وكتفوا رجلي وداس احدهم على فكي بعد أن طرحني أرضا وقال لي: اخرج لسانك لنربطه بخيط حتى لا تتكلم عما أسرك به الأمير ...وصدقتهم أو هكذا تظاهرت مضطرا وربطوا لساني بخيط ثم سحبوه بقوة وقطعوه بخنجر كان هذا ال** يحمله بيده وأشار إلى الأمير وهو يتميز غيظا حتى تصور من كان واقفا أو جالسا بقربه أن صائد الأمراء سيهجم عليه ليمزقه ولكنه لم يفعل**
صاح الجميع:

- **الله اكبر... يسقط الأمراء والملوك**
- **تسقط الملكية..**
- **عاش الشعب...**
- **عاش الجيش....**

واصل الأخرس كلامه:

لاحظت أن من بين حرس الأمير العشرة ثلاثة من أبناء كبار التجار الذين جاء بهم ليبعدهم عن الخدمة العسكرية ويكونوا قربه في مشاريع الليل والأنس الم يعد مفهوما وواضحا لماذا استهدف الأمراء بالدرجة الأساس في هذه المعركة الشريفة وبعدهم التجار كأهداف لصولاتي؟... الم تعد مفهومة من هذا ومن غيره مساوئ الأنظمة الملكية ؟ ...أما الآن وقد فرج الله على الجميع فإليكم شاهدي لتسمعوا منه إذا أردتم المزيد
بينما كان صاحبه يترجم أشاراته دلف صائد الأمراء إلى الرواق المجاور له على

بعد مترين منه وعاد ممسكا برقبة شخص يداه ورجلاه مقيدة وفمه معصوب بقطعة قماش فكها وحل قيد رجليه وقال له بإشارات عصبية كان يترجمها المكلف بذلك:

- السّت الأمير؟

- نعم

- الم أجندلك في ساحة الوغى وجها لوجه وليس غدرا كما تفعل؟ بعد أن تشبثت بحصانك الذي أمسكت برقبته ولويتها وأسقطته على الأرض وأنت فوق ظهره ثم وثبت على صدرك وجردتك من سلاحك وأوثقت يديك ورجليك وحملتك إلى الخلف وجعلت ظبية حارسا عليك حتى انتهت المعركة؟

سكت الأمير وأطرق برأسه إلى الأرض خجلا ثم صاح الأخرس به محتدا:

- لقد سمعت كل ما قلته للمجلس لان أذنيك وعينيك غر معصوبة عندما كنت مرميا في الرواق قبل قليل فقل لهم: أحقا كان ما قلته أم باطلا ؟ وإذا لم تجب استعنت بغيرك ليتكلم....

وما أن لفظ هذه الجملة حتى نهض احدهم من وسط جمهور القاعة تصور الجميع انه احد شباب المقاومة حيث كان يرتدي عدة حرب كاملة وملابس تدل على المهابة والوقار وأماط اللثام عن وجهة وقال بصوت امرأة:

- أنا ظبية بنت سيد قومه... إن كل حرف نطقه صائد الأمراء صحيح وكذلك كل كلمة ومعنى واشهد الله أن كل ما قاله صحيح ولكنني أرجو أن يهديه إلي ولا يؤذيه لأنني كنت قد أخذت عهدا على نفسي أمام الله أن أعفو عنه إذا مكنني منه ثم إنني قلت لهذا المخلوق عندما طلبت منه أن يمهلني شهرا حتى اقبل معاشرته معاشرة زوجية كاملة انه إن فعل ذلك فهو دين منه علي .. ولا اعتقد أن صائد الأمراء يقبل أن تبقى ذمتي حاملة الدين لمثل هذا الشخص ...!!وما أدراني بل ما أدراكم ... ربما انضمت فجيعتي إلى فجيعة صائد الأمراء وفجيعة كل من فجعة أمير أو ** من أتباعهم وأتباع ملوكهم لتتحول إلى ما اغضب الله عليهم ومكننا منهم... ألا يستحق الله القادر منا أن نفي بعهدنا له حتى لو لم يعرف العهد إلا هو سبحانه ؟ ولكي أوضح هذا الأمر أقول إن عهدي لله أن أوفر لهذا الخالب حياته لذلك ارجوا أن يقبل أخي صائد الأمراء _باعتباره الذي مكنه الله من هذا ال**** _ أن يقبل بسجنه مدى الحياة بدلا من قتلة وله مني سداد الدين بأن اعتبره مهر زواجي منه إذا قبل والدي وأيد رغبتي في الاقتران به وقبل صائد الأمراء بما اعرضه عليه وإذا لم يبارك والدي الزواج منه فهو حر بما يفعله بالمهر..**

عندما سمع الأخرس كلامها قال بعد أن كفكف دموعه:

- بل تأمرين يا سيدتي وأخيتي إلا إذا أراد الله غير ذلك لذلك أقول لك أمام هذا الحشد الخير من الرجال والنساء لك ما تفعلين به وما تشائين وأنا واثق من انك ستختارين تسريحه بعد أن يطلقك ... وليس سجنه...
وأود أن أقول أنني حتى عندما مكنني الله منه في ساحة الوغى لم يكن دافعي الأساس ما أضمره من حقد على تصرفه إزائي بل تعبيرا عن موقفي وغضبي ضد نظام حكم فاسد هو ونماذجه الشريرة وانتصاراً مني لقضية الشعب ..لذلك لا يهمني بعد الآن وبخاصة بعد التماس ظبية بل أمرها لي إن بقى يعيش ملعونا وبدون كرامة أو مات خاسئا مدحورا غير مأسوف عليه .

قاطعته ظبية قائلة -:

- إن الزواج لم ينعقد بيني وبين هذا الخاسئ وإن المهر لم يتصرف به والدي كما علمت منه وانه استلمه من هذا ال** خوفا من بطشه بالعشيرة كلها وليس به وبي فحسب وانه لم يدخل بي مثلما رويت لذلك فانا لست مدينة له بشيء .**

قال صائد الأمراء:

- على أية حال هو الآن ملكك تتصرفين به وفق ما تشائين مع أن قدره ووزنه وتأثيره بين الناس قد انتهى وهو الآن ميت ... بل ميت قبل الآن بعد أن مات ضميره وعناصر الخير والفضيلة والأمان في نفسه فأنا اعرف هذا الصنف من الناس واعرف أن تأثيرهم ينتهي عندما ينتهي عنوان السلطة كصفة ارتكاز بل ومتكأ لمن يحملها وأريد أن أسدي معروفا لأختي وسيدتي لأنها وثقت بي مع أنني فقدت لساني الذي تصور هذا الخائب انه بقطعه يمنعك من معرفة حقيقته ولم يفهم انك حتى لو لم تعرفي هذا من قبل يكفي أن تعرفي أفعاله ومنها قطع لساني بالإضافة إلى محاولته الزواج منك بتلك الطريقة لتعرفي كل شيء..
على أية حال لك أن تتصرفي...وأنت حرة في ما تعرضين على من غير أن تشعري بدين إزائي... وأنا حر فيما اختاره وأظن أنني قد سددت دينك علي دين الثقة بي والاطمئنان إلي... ضجت القاعة بالتصفيق والهتاف وبالسباب واللعنات للنظام الملكي والأمراء...

رفع أحد يديه مستأذنا بالكلام وكان واضحا من هيئته للجميع انه احد إقطاعيي الريف ولكنه لم يكن احد شيوخ أو وجوه أي من العشائر أو القبائل في المنطقة التي خمن البعض أو عرف انه منها ذلك أن هذا النوع من الإقطاعيين لا يسكنون

الريف عادة وانما يستخدمونه فحسب ، انهم في الغالب الأعم يتعاملون مع ثمرة وليس مع جذره لأنهم بالأساس من المدينة يقتطع الحاكم بأمره ما يقتطعه لهم من ارض يفترض أن يستثمرها أو يزرعها الفلاحون كل ضمن منطقته وليس آخرون من خارج المنطقة

قام من طلب الإذن بالكلام بعد أن أذن له رئيس الجلسة بذلك وقد عرف انه إقطاعي من آهل المدينة يسكنها ويدير إقطاعيته في الريف من خلال وسطاء قال:

- **ليس لدي مشاعر إنسانية تجاه هذا الملك خاصة بعد أن انحاز للدهماء بتأثير زبيبة وصار كأنه منهم وليس لي أن أفضل حكما على حكم تحت تأثير أي من أنواع المعاني والقيم الأخلاقية بل انظر إلى كل أمر وأي أمر على أساس مصلحتي الذاتية مع أنني اعرف أن حديثي في موضوع القيم ونظرتي إليها قد لا يروق للأكثرية الساحقة في هذا المكان وخاصة بعد أن اختلطت عناوين معروفة ووجوه نعرفها بوجوه لم نلتق بها إلا وسياطنا فوق رؤوسنا أو على ظهورنا... إن ما يهمني لأقول كلمتي مع أي صف وبصف من أكون هو مصلحتي ومصلحة عائلتي ورزقنا الحلال من عرق جبيننا ومصير استثمارنا في الريف**

عندما قال(وعرق جبيننا (ضحك كثيرون في القاعة استهزاء منه وتساءل احد الجالسين بقربة بصوت مسموع قائلا:

- **نعم يا صاح أن (عرق جبيننا) يزداد في هذه القاعة أيضا لا حياء منك بسبب قولك وإنما من ثقل كرشك الذي انتفخ بحصيلة عرق اجبن الفلاحين وما يواجهونه من تعسف وجور في الريف ودليل على ما تقوله هو أن علامات وأثار الشمس لم تبد على وجهك ولم تلوح أبدا مثل وجهي الذي يكاد يلبس جلد خارجيا بعد أن أحرقته الشمس ولم يعد يعرف فيه مكان عيني السوداويين إلا بالكاد... غصت القاعة بالتصفيق...**

عاد الإقطاعي ليقول:

- **قلت إن كلامي قد لا يروق للكثيرين ولكنه يروق لي وربما لآخرين غيري بل إنني اقسم بديني انه يروق لكل من يملك أرضا ويستخدم في أرضه جهد غير جهده وجهد عياله... ولكن ما يفرق بيني وبينهم هو أنني ربما أتكلم وفق ما أؤمن به فيما يحجم الآخرون .**

أتعرف لماذا لا أحجم وهم يحجمون ؟ ذلك لأنني لا أقرأ ولا اكتب وليست لي رغبة في السلطة ...بينما هناك من لهم رغبة في أن يكونوا عناوين في السلطة الجديدة

سواء في ظل نظام ملكي أو في نظام آخر غيره... لذلك فهم يجاملون هوى الموجودين في هذه القاعة بل انهم يقيسون نبض رضاهم أو انزعاجهم بالتمعن المسبق في عيونهم بعد كل لقطة يقولونها ألا يفعل هكذا من يخطط للاستحواذ على السلطة من خلال عناوين بيدها قرار ذلك؟ وليس من خلال مؤهلاته وقدراته واستحقاقه؟ أتعرفون لماذا لا اطمع بآي عنوان في السلطة الجديدة!؟ لأنني لا أريد أن يكون العنوان عبئا علي ولا أريده أن يقيدني بآي التزامات وإنما استخدمه فحسب لمصلحتي ألا يرى كل حر مصلحته وفق وجهة نظرة ؟ ويسعى إليها وفق طريقته!!؟...

إن طريقتي أيها السيدات والسادة هي أن استخدم عناوين السلطة من خلال عنواني ومالي أنا الإقطاعي الكبير صاحب القصور الفارهة والخدم والعبيد بل صاحب الحرس والحشم أيضا... أتعرفون كيف؟ أن لي من ينصت إلى كلامي بل وأحيانا أمري لأنني من مالي الوفير أوفر جزءً استخدمه لمن أراه ضروريا لخدمتي فأعطيه لقائد الشرطة مثلا يطاوعني فيستخدم الضرائب وبذلك ادخر أضعاف ضريبة الأرض مما أعفى منه مقابل هذا العطاء وهكذا افعل مع كل ذي سلطة أجد أن مصلحتي تقتضي أن أعطيه لتنمو أكثر فادعوا على موائد الخمر والقمار من أشاء وبذلك اعرف أسرار الاستيراد والتصدير وحركة الأسواق الداخلية والخارجية وعندها اضرب ضربتي لأزيد ثروتي ...إن سلطتي في زيادة مالي ولا سلطة لعنوان لا يملك مالا...
ثم عسى السلطة الجديدة أن تمنحني من امتياز إذا كنت احد عناوينها؟ وهل العنوان أعلى من الامتيازات التي أتمتع بها الآن !؟ وهل يزيد ارضي؟ إنني لا احتاج إلى ذلك بل حتى لو رغبت في ذلك فان السلطة التي تحمل إرادة عامة للشعب من الناس وتنبثق منها لا تستطيع أن تقطع ما تقطعه لي زيادة على ما املك...
لقد ورثت ما ملكته عن أبي أتعرفون كيف؟... لقد دعا والدي رحمة الله الملك وكبار موظفي قصره والوزراء وعناوين كبيرة أخرى دعاهم إلى وليمة أولمهم فيها ألوف الذبائح من مختلف الأنواع: من الإبل حتى العصافير.. وفرش الأرض بالحرير من الباب الخارجي لقصر الملك حتى باب دار والدي.... وقد كلفتة هذه الوليمة مئات ألوف الشيقلات كان قد أضاف ما احتاج منها إلى ما لدية قرضا من يهودي بعد أن اتفق معه على كيفية استرداد المال مع الفوائد التي طلبها ذاك المرابي اليهودي.... وبعد أن لعبت الخمر وهوى الملاح من النساء اللائي أحضرهن والدي خصيصا لهذا الدور صاح اليهودي:

- ما لذي يستحقه مضيفنا هذا يا جلالة الملك؟ بعد أن رفع كأسه قائلا:) في صحة الملك) ودعا له بدوام سلطانة وصولجانه وعندما قال الملك:

- ماذا تقصد يا شميل؟

قال شميل:

- أتساءل فحسب يا جلالة الملك عن مكافأتكم لمضيفنا وكيف تكون لائقة بما عرف عن جلالتكم من كرم؟
وبعد أن نبه بصوت عالي حاجبة الأكبر للإصغاء قال الملك:

- مكافأة مضيفنا على كرم ضيافته أن يختار أي ارض من مملكتي ويطلق بها العنان لجواده يوما كاملا من شروق الشمس حتى مغيبها وتكون كل تلك الأراضي ملكه وله أن يستثمر جهود الفلاحين الذين يسكنونها أو يسكنون إلى يمين مسار جواده أو شماله على مد البصر ... له كل ذلك... وله أن يستغنى عنهم .
وهكذا ملكت هذه الأراضي بوصية من والدي رحمة الله لان ذلك اليهودي أهدى خادمته لأبي الذي تزوجها عرفانا منه له بعد أن اقترض من ذلك المال وكنت ثمرة زواجهما ومدلل والدي بين إخواني من نساء أخريات فأوصى لي والدي بالثقل الأكبر من ثروته.
ولذلك فأنا لست طماعا ويكفيني حتى الآن ما عندي من ارض ولكني ما أريد أن اطمأن إليه : هل تحددون ملكية الأرض أم تبقونها مثلما هي؟ وهل تنشئون نظاما خاصا بالأجور وتعقدون علينا الأمر وتوفرون مستلزمات ان يتمرد علينا الفلاحون أم لا؟ والاهم من كل ذلك هل تبقون سلطتنا قائمة على المال وفق هوانا ؟ وعلى النساء وفق رغبتنا ومبتغانا!؟ أم تتدخلون في هذا؟ وعلى أساس جوابكم الذي آمل أن يكون صريحا كقولي سأحدد مع من أكون وفي أي اتجاه وما إذا كان النظام الملكي أفضل لنا أم نظام بديل غيرة ولا شيء آخر غير هذا!!

****

رفعت إحدى ممثلات المقاومة يدها وأذن لها رئيس الجلسة فوقفت وفق العادة التي صارت كأنها عرف تلك الجلسة منذ بدايتها أو في الأقل منذ أن وقف صائد الأمراء واستمر على هذا الحال حتى روى للجالسين روايته كلها وبعد أن حيت رئيس الجلسة وشكرت ربها الذي هو رب الشعب والجيش وليس رب الملوك والأمراء والتجار والمترفين ومن له صلة بمصالحهم أو وضعهم قالت:

- أنا ابنة فلاح... نزرع قطعة ارض استأجرها والدي من الدولة بإيجار باهظ وتقع على السياج الخارجي للعاصمة على مقربة من قصر صيفي لأحد الأمراء وكانت إحدى الأميرات إذا ما أرادت أن تروح عن نفسها مشت إلى مزرعتنا لترى كيف يعمل الفلاحون في الأرض وكانت من طبيعة أسئلتها تبدو بنتاً ذكية متطلعة لمعرفة ما هو خارج حدود قصرها وصادف أن يكون اقرب مكان خارج حدود

قصرها هو أرضنا التي نزرع فيها أشجار كرم (عنب) ننتظر الموسم كله حتى يحل فصل الصيف لنقطف ثمرها ونبيعه وإذا تعذر علينا ذلك جففناه لنجعله ***با نقتات به من الخبز في فصل الشتاء وكنت صبية أو ربما بذلك العمر الذي تسمونني فيه طفلة ...على أية حال أنا الآن أتذكر كل شيء مما أريد أن أقوله في هذه الجلسة ولا يختلط علي شيء منه كنت أنا وأختي الاثنتين وأخي نتسابق لنحضر لها البساط عندما نراها تتجه عصرا إلى مزرعتنا وكان والدي يحضر لها بيديه أفضل عناقيد العنب ليقدمها لها وهي ترفل بالديباج والحرير وتتعطر بألوان من العطور لا اعرف قبل الآن ما هو نوعها ولكننا كنا نبقى كما كلاب الصيد بعد ذهابها نقتفي أثرها لنشم بقايا عطرها بين أي شجيرات تحبس كثافتها رائحة العطر لحين أو هكذا كان يُخَيل إلينا أننا نشمه حتى بعد مغادرتها وعندما كرر والدي تقديم العنب لها بيده مباشرة أكثر من مرة ورأت والدتي أنها كانت تتعمد تأخير نفسها إلى ما بعد المغرب الأمر الذي يفسد علينا حلب البقرة خاصة إذا ما أطلق احدهم عجلها الصغير متصورا أننا حلبناها لان هذا يعني أننا سنبقى من غير عشاء إذ نقتسم حليب البقر بيننا وبين العجل الصغير أو بالأحرى تحتفظ البقرة أم العجل بما يكفي له من حليبها وترفس من تحلب إذا ما ألحت عليها أكثر مما يتسع ضرعها لنا وللعجل وأعتقد أن سبب انزعاج أمي وغيرتها من الأميرة هو خشيتها من أن تخطف آبي منها مع أن ذلك بعيد عن الواقع وليس خسراننا حليب البقر ...لقد رأيت والدتي في اليوم التالي وقد وضعت المنجل على رقبة والدي بعد أن أمسكت به من رقبته في الحقل بعد ذهاب الأميرة مباشرة وهددته قائلة:

- **إن فعلتها مرة أخرى سوف اقطع(لوزتك) حنجرتك بهذا المنجل اترك ذلك لي انه واجبي تجاه امرأة ضيف في بيتنا أو مزرعتنا فأنا من يقدم لها العنب في بعد أن اغسله في (طاسة) أو صحن..**

وقالت مازحة بمرح:

- **من يومها لم يجرؤ والدي على أن يقوم بغير ما أمر به ومن ذلك يتبين لكم أن المرأة تستطيع مواجهة الحياة بل وتستطيع أن تواجه زوجها!!**

غصت القاعة بالضحك...
عادت لتقول:

- **تكررت زيارات الأميرة لنا من حين لآخر وفق نفس الطريقة وكانت تتعمد أن تطيل البقاء في بيتنا وعندما تعود إلى قصرها تتجاوز المرور بالمزرعة وتأخذ طريقا آخر يوصلها إلى سياجها الخارجي ولكنها كانت حريصة على أن تدخل القصر من باب جانبي وعندما كنا نقترب من الباب تطلب منا أن ننتظرها أنا ووالدتي ريثما تتهامس مع عجوز تنتظرها وتشير إلينا بعد ذلك إما بالبقاء حيث**

نحن لنتمشى معها قرب السياج أو تعطينا إشارة انصراف فننصرف وقد عرفنا منها كل شيء في ما بعد وكانت محرجة بعد أن أحست بما ينتابنا من حرج جراء اعتذارنا لها من أن مزرعتنا لم يعد فيها عنب نقدمه لها ذلك أن عبيد الملك صاروا يحظرون علينا الذهاب إلى مزرعة العنب ليلا مما أدى إلى خلو المزرعة من العنب بعد أن صار يرتادها أناس لا نستطيع أن نتبينهم بسبب عدم قدرتنا على الاقتراب منهم نظرا لتحذير وأوامر عبيد الأمراء وبسبب ظلمة الليل
قالت الأميرة أن السبب الأساس الذي دعاها لتثقيل علينا في زيارتها المتكررة هو هذا...
وعندما رأت علامات التعجب بادية علينا قالت:

- إنها حفلات الأمراء والأميرات الأخريات إذ بعد أن يضيق بهم القصر هم وضيوفهم من الجنسين وبعد أن تلعب الخمر فوق رؤوسهم ينتشرون خارج القصر تطبيقا للعبة الأرنب والقط الوحشي وذلك بأن تختفي النسوة عن الرجال أو هكذا يتظاهرون ويحاول الرجال بعد أن يستديروا عنهن برقابة عجوز يضعنها لهذا الواجب لئلا يستديروا برؤوسهم إليهن حتى لا يتسنى لكل واحدة منهن ضمن زمن تقديري اتخاذ ما تظن انه يخفيها عنهم وبعد إشارة من العجوز ينطلق الرجال يفتشون عنهن في الحقل فإذا أرادت إحداهن من تريد تصرفت بحركة تجعله قادرا على الاهتداء إليها وان لم يعجبها من يكون قريبا منها وهو يبحث عن ضالته (كرصت*) خنست* كما دراجه* عندما تعاكس صيادا دفاعا عن نفسها فلا تطير أمامه خشية سهم يوجهه إليها أو حصاة حتى لو وطأة قدم الصياد ظهرها .
هكذا كانت تفعل من ليس لها رغبة في من يمر بقربها فهي تختفي بين الكروم ولأنني _ قالت الأميرة_ لا أحب هذا المستوى والنوع من العادات والسلوك ولكي لا أحرج نفسي وأحرج ضيوف أبي كنت الجأ إليكم وعلى هذا وجدتموني أؤخر عودتي إلى القصر حتى اضمن خروجهم منه إلى لعبتهم وأعود لأدخل غرفتي واقفل علي بابها من الداخل .

وواصلت الأميرة حكايتها:

- ليس هذا كل ما جعلني أثقل عليكم بهذه الزيارات التي قد تؤخركم عن أعمالكم وهي كثيرة مثلما عرفت بعد اختلاطي بكم وإنما أيضاً لأن بين من يوصفون بالقط الوحشي أميرا لا أحب أن أرى وجهه وأتجنب حتى الكلام معه
وأعترف لكم بأنني استغربت لقول الأميرة ذلك خاصة عندما قالت :

إنه يقول لها انه يحبها ذلك لان لصورة الأمير والأميرة مكانها في مخيلتي حيث كنا نستمع لحكايات العجائز في شهري كانون الأول وكانون الثاني الطويلين الذين غالبا ما يتسلى بهما الفلاحون بالحكايات التي تتحدث عن أميرة تختطف أو أمير جريح في ظروف مؤامرة أو حرب .... استغربت من قول الأميرة أنها كانت تتجنب

البقاء في القصر أساسا بسبب ملاحقة الأمير الذي يحبها: حتى أنها قالت : هل يجوز أن يسلم المحب من يحبه لغيرة؟ فقد كان ذلك الأمير يعرف ما ارتدي من ملابسي ولكنني إذا اختفيت مع من يختفين لا أجد انه يهتدي إلي فحيث ما وجد أنني أتعمد أن اجعله يراني يتجاهلني ويذهب إلى غيري بعد أن يقترب إلى احدهم ليهمس في آذنه ومن طبيعة الحركات عرفت انه يدله علي ليشاغلني حتى يجد غيري وعندما سألتني والدتي قلت:

إنني ارفض اقتراب أي احد مني ومللت من هذا الحال وفي نفس الوقت مللت من أن أرى وجه من يسمى خطيبي ومللت من سكن القصور وأكل القصور وملابس القصور وعلاقات القصور واتجهت إلى ما يقرب الإنسان إلى الله والأرض والإنسان ... اتجهت إلى الريف وكان بيتكم الأقرب إلي ولو أتيح لي أن اختار ربما قلت أنكم الأقرب إلى نفسي.

وعندما قالت ذلك أجهشت بالبكاء حتى اضطرت والدتي بعد تردد لان تقبلها على رأسها لتخفف ثقل الأمر عليها ولتقول لها أن هذا الأمير نذل و** و**** لكنها بعد أن جلست إلى جانبها تساءلت : ألا يحتمل يا عزيزتي أن تكوني قد تخيلت ذلك في سلوك الأمير؟ أو أن يكون عدم اهتدائه إليك محض صدفة وليس بقصد منه ضمن نية مبيتة ؟ ثم تعود والدتي لتقول : أنا أختك يا خير الله بغض النظر عن أي تفسير لكل شيء وآي شيء كيف يقبل خطيبك الأمير على شرفة أصلا إذا كان يدعي انه يحبك أن يشركك بمثل هذه اللعبة الرخيصة؟... أليس الرجل سياج المرأة ؟لقد صار هذا النذل بهذا التصرف بوابتك إلى الجحيم.**

عندما تدخل والدي محاولا مناقشتها حول جانب من الأمور استرسلت لتقول: أنها كرهت كل شيء في حياتها وإنها كرهت الأشياء الجاهزة التي تهيئ لها وتعامل الدواجن في حقل عجوز حريصة تحفظ دجاجها في قن خشية أن يتسلل إلى واحدة منهن ابن أوى أو ثعلب فتراها تطعم دجاجها وتسقيه وتحفظ البيض وتضع من تحتضنه وتداي صغارها وأمهم بعد ذلك:

وصرخت بتبرم صرنا كالدواجن ولكن بفارق كبير بين حرص العجوز على دجاجها من الثعالب في مثلنا وبين حالنا في القصور إذ أن الرجال المسئولون عنا هناك لا يلعبوننا في القصر خشية علينا من ثعلب أو ابن آوى وإنما حرصا على عزلنا عن الشعب لكي لا نتأثر بمفاهيم الشعب بالمعايشة تحت ذريعة المحافظة على تقاليد القصور والملوك والأمراء ..لذلك أحببت حياتكم وقد وجدتها الأقرب إلى نفسي بل هي نفسي لو أردت أن أعيش...هل يمكن لقائل أن يقول انه يعيش من غير أن يشم رائحة الأرض ورائحة الإنسان الحقيقة كما هي وان يعمل طعامه بيده ويرتدي ملابسة ويغسل جسمه بنفسه من غير رقيب أو من غير يعينه!؟ إن حيات القصور مليئة بما هو زائف من الألوان والأشكال وما هو فاسد من الهواء المحجوز بين جدران سميكة بل حتى ال***ات التي تحتجز في حدائقها تختلف عن ال*****ت الطليقة التي تشعرك بغنى الطبيعة وحيويتها**

- هل ترى يا حضرة (قرة نحس) النحس الأسود
موجهة كلامها إلى الإقطاعي الكبير الذي تكلم قبلها أن مثل هذا النظام يستحق أن يكون نظام هذا الشعب ؟
وعندما قال لها:

- نعم لان فيه شرفاء والدليل على ذلك تلك الأميرة التي كانت تزوركم والتي استشهدت بها.
قالت:

- نعم على المستوى الشخصي لا أقول إن أي نظام ملكي لا يوجد فيه أي شخص شريف إلا أنني أقول انه ليس له دور في تحصين ناسه ابتداء من الموجودين في القصر الأول للملك إلى آخر من في السلسلة من الخدم ومن باب أولي ليس له دور في طبيعة تكوينه في تحصين وحماية الشعب وإذا ظهر استثناء منه فهو استثناء لنفسه مثلما هو حال الأميرة التي أشرت إليها من بين المئات من الأمراء والأميرات فهل يمكن أن نضع القانون والحكم المركزي على استثناء؟آم نجعل من قاعدة الكثرة من الناس أساس أي قانون أو استنتاج وهل يصح أن نجعل الشعب أمام مجهول يخلف والده في الحكم حتى لو كان جيدا عندما يتولى الحكم مليكنا هذا؟ هل تفضل يا حضرة الإقطاعي أن يكون بيتك مُسَيجا وله باب ومفتاح الباب لديك؟أم تفضل غير ذلك ؟! قالت إن ما نريده هو آن يكون الشعب سياج الوطن وان يكون مفتاح الوطن بأيد أمينة معروفة للشعب من اختيار تسلسلها وفق شروط موضوعية على من تنطبق عليه بعيدا عن تأثير المال والوجاهة الاجتماعية والعشائرية وكل ما هو على سياقها من الموروث وان يكون الأساس هو القدرة الذاتية وملائمة الخواص للمناصب والأوصاف الموضوعية كل على أساس ميدانه ونوع واجباته ...ثم هل تحب يا حضرة الإقطاعي أن تلقح بقرتك من ثور صنفه معروف بغزارة الحليب وضخامة الجسم؟ آم من ثور لا تعرف خواصه!؟

عندها تساءل الإقطاعي قائلا:

- ماذا تقصدين بهذا!؟

- إذا كنت لا تعرف ماذا تقصد فبأي حق تملك كل هذه المزرعة التي يعمل الآخرون فيها كالعبيد؟ أليست البقرة والثور جزءً من حياة الفلاحين مثلما الملكة والملك جزءً من حياة النظام الملكي الذي تريد أن يستمر!؟ إن ملوكنا في هذا القصر لا نعرف أخوالهم يا حضرة الإقطاعي بل أحيانا نجهل حتى أصول أعمامهم مثلما نجهل أخوالك من تابعة اليهود التي أهداها لوالدك!؟

- وهل يهم أن تعرفي أخوالي يا بنت الناس ؟ قال الإقطاعي. ؟

أجابته ممثلة المقاومة زهراء:

- صحيح أنا بنت ناس ولكن بنت إنسان واحد معروف محدد الأوصاف والجذور أي بنت إنسان من الشعب ولكنني لزيادة التعريف بنت فلان وجدي فلان وجد والدي فلان ... وخالي فلان ....وأبوه فلان؟.... وأجداده فلان... وفلان...وفلان....وفلان....وفلان....وفلان أقول لك حتى ينقطع نفسي وأنا اردد أسماء أجدادي وأعمامي وأخوالي وأطاول معك في تعداد أسمائهم حتى الظهر الخمسين ولكن هل لك أن تعد لي أسماء أجدادك وأعمامك وأخوالك حتى الظهر الثالث .

- وهل يهم هذا في الحكم؟

- نعم هذا يهم لأن الشجرة الطيبة طيب ثمرها وثمرة الخبيثة خبيث ثمرها ومن لا يعرف أعمامه أو أخواله لا يهمه بعد ذلك أن يعرف الآخرون أعمامهم وأخوالهم فتحت غطاء الخؤولة حتى يتسلل الأجنبي ليحكم بلدنا وشعبنا وأمتنا وعند ذلك يكون نوع النظام طريقة للمهانة والذل بدلا من أن يكون طريقا للعز وسياجا أمينا للوطن ...عندما يكون من يحكمه مؤهلا وذا خواص أمينة ...ثم أريد أن اسأل هل ابن صاحب الملكية الكبيرة أشجع في ميادين القتال أم الفقراء وأصحاب الملكية الأقل؟

- وماذا يعني ذلك؟

- انه يعني الكثير في ترتيب النتيجة المتصلة بحوارنا.....

قال الإقطاعي:

- إن الأمر يعتمد على الإعداد...إعداد الأب لابنه

قالت له:

- نعم الإعداد والمحيط

قال الإقطاعي:

- نعم والمحيط

قالت له:

- وهل أعددت ابنك ليكون جنديا كما ينبغي أو مثلما يجب؟

قال:

- بل أعددت الفلاحين في مزرعتي فهم أكثر عددا من أبنائي ليكونوا مقاتلين جيدين ويحرسون المزارع وقد يستفيد الجيش منهم .

- لم تعدهم ليكونوا للجيش وإنما شقائهم أعدهم لذلك وتمسكهم بالمعاني التي على أساس يبنون بنيان نفوسهم وأجسادهم إذ أن الترف في بيتك لم يعد أبنائك ليكونوا مقاتلين جيدين داخل صفوف الجيش وترفك لم يعطهم فرصة معرفة للحياة وتذوق طعمها وأمهم لم تعلمهم المعاني الوطنية والقومية لبلدنا وأمتنا ...بل وأكثر من هذا اجزم بأن مربيات أولادك أجنبيات وأن مدرسي أولادك أجانب أيضاً وانك تعلم أولادك القراءة والكتابة ليس إلا تشبها منك بحال وقصور الأمراء والملوك هنا أو الذين تقع دولهم على مقربة منا كل ذلك بل وأكثر منه موجود في قصور الملوك لذلك لم يعودوا قادرين على قيادة الجيش ليحاربوا دفاعا عن فضيلة ولم نعد نتوقع وجود نخوة في رؤوسهم بعد أن صاروا بعيدين عنا وعن ربنا إن الأميرة التي أشرت إلى أنها موجودة الآن في بيتنا بعد أن التجأت إلينا ونحن نحميها ونسترها تعيش معنا ونعتبرها اختنا الكبيرة لكي لا تقول أنت أو غيرك أن الشعب أو (العوام) مثلما تسموننا غير وفي بعد أن ترقيتم عنا بمالكم الذي هدم فيكم أي خلق كريم وإذا أردت أن تقنع نساء المقاومة _قالت ذلك بازدراء _ بإبقاء الملكية وإبقاء مزرعتك التي سرقتها أنت وأبوك من ارض الشعب وزع علينا ثياب زوجتك الفاخرة وقسما من حليها لترضينا وأظنك قادر على ذلك ولو بجزء منها!! وقد تقنع قسما منا بتبني رأيك ..أما إذا وزعت ما يملك الملوك والأمراء وما يملك التجار وما تملكون على الشعب فقد تكون مرشحنا الأول للحكم ونكون لك كالسوار الذي يحيط بالمعصم نحميك ونقويك ولكن هل تغير التمنيات من افسد وفسد!؟ أم العمل والقرارات الحازمة التي لا تقبل المساومة والتردد؟

دوت عاصفة من التصفيق في القاعة أعقبها هتاف بحياة الشعب وكل ماجدة بهية وبالجيش وكل فارس صنديد... واللعنة على كل طامع على حساب الشعب أو رعيته.

عندما كانوا على هذا الحال داخل القاعة جاء من يهمس بأذن رئيس الجلسة أن

الملك مات في قصره وأن هذا خبر يقين جاء به كبير موظفي القصر...

أبلغ رئيس الجلسة الحضور بالنبأ قائلا:

- إنا لله وإنا إليه راجعون..... لقد فصل الله صاحب القول بما لم نفصل به وهو سبحانه أحكم الحاكمين ...إن الموت حق... وعلينا أن نشيع من كان ملك بلادنا إلى مثواه الأخير تقديرا لبلادنا أولا وتثبيتا لما ينبغي من تقاليد ترضى الله...وعلى الناس أن يرضوا بها طائعين ثم نعود بعد ذلك لمناقشة أمورنا لنبدأ من جديد بروحية وهمة جديدتين

رحم الله من مات.......
والمجد للشهداء........
والمجد لزبيبة..........
عاشت زبيبة...........
عاش الشعب...........
عاش الجيش..........

دراجه* : اسم لطائر في العراق
كرصت *"خنست*" : سكنت بدون حركة بتوجس وحذر